



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي لىابس بسيدى بلعباس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
- قسم العلوم الإنسانية -
- شعبة التاريخ -



العلماء الجزائريون بالمغرب الأقصى ودورهم في الحياة الثقافية خلال القرن 10 هـ / 16م

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ :

د/ محمد الزين

إعداد الطالب :

مسعود بقادي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة العمل	الصفة في اللجنة
1/ مكحلي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي لىابس	رئيسا
2/ الزين محمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة جيلالي لىابس	مشرفا ومقررا
3/ الاحمر قادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي لىابس	مناقشا
4/ الميلي عبد القادر	أستاذ محاضر "أ"	المركز الجامعي - آفلو-	مناقشا
5/ بن قومار جلول	أستاذ محاضر "أ"	جامعة غرداية	مناقشا
6/ موساوي مجدوب	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سعيدة	مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019-2020م



" يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "

صدق الله العظيم

سورة المجادلة الآية رقم (11)

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع الى روح أبي وأمي تغمّدهما الله برحمته الواسعة، وأسكنهما
فسيح جناته، راجيا من المولى عزّ وجل أن يجعله في ميزان حسناتهما، وصدقة جارية
ينتفعان بها، وأن يجعلهما ممن قال فيهم رسول الله ﷺ "إذا مات ابن آدم انقطع
عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له
إلى زوجتي ورفيقة دربي في السراء والضراء، والتي تحمّلت مسؤولية تربية أبنائي طيلة
إنجازي لهذا العمل، والى أبنائي: فيصل تقي الدين - كوثر نور الهدى - أشواق ندى
الريحان - ملاك وجدان - وقرّة عيني فاروق عماد الدين، آخر العنقود، والى جميع
الأهل والأقارب، والزملاء والأصدقاء (خاصة جلول عروسي والمأمون سعودي....)

قائمة رموز الاختزالات (Abbreviations):

باللغة العربية	باللغة الفرنسية
ج: الجزء	P:Page
ص: الصفحة.	éd: édition
ص ص: صفحتان فما أكثر.	N: numéro
د.ت: دون تاريخ.	Trad: Traduction
ط: الطبعة.	R. A :Revue Africaine
ع: العدد	S.I.H.M:Sources inédites du L'histoire du Maroc
مخ: مخطوط	R. l'.O.M.M: Revue l'occident musulman et de la .Méditerranée
خ.ع: الخزانة العامة بالرباط	
تر: ترجمة	
تق: تقديم	
تن: تنسيق	
تع: تعريب	
د.م.ج: ديوان المطبوعات الجامعية(الجزائر).	
ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	
س.ن.م: سلسلة ندوات ومناظرات.	
س.أ.ر: سلسلة أطروحات ورسائل.	
مرا:مراجعة	

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين:

يعتبر موضوع العلم والعلماء من المواضيع المهمة والمتشعبة، نظرا لخصوصية المصطلحات والمفاهيم المصاحبة للموضوع، ذلك أن رواد العلم يمثلون توجهات وأفكار متعددة إن لم نقل مدارس في حد ذاتها، وعليه فعملية الخوض في أنواع العلماء ومؤلفاتهم هو من الأهمية بمكان خاصة في الفترة الزمنية التي تمتد من نهاية العصور الوسطى الى بداية العصور الحديثة، ذلك أن مسألة نوعية العلوم وأنواعها تطرح بإلحاح خاصة في ظل عالم اليوم، الذي يعتبر عالم العلم والتكنولوجيا. فهل علم ذلك الوقت هو الذي أوصل الى عالم اليوم المزدهر والمتطور؟ والذي مس مختلف جوانب الحياة؟

إن المفارقة التي سجلناها في هذا الموضوع هو أن الجميع كان يهتم بالعلم، لكن الفرق بين العالمين الاسلامي والاوروبي هو نوعية العلم المراد الاهتمام به، فاذا كانت الشعوب الأوروبية المسيحية قد بدأت تتخلص تدريجيا من هيمنة الكنيسة فإن العالم الاسلامي عامة، ودول المغرب الإسلامي بصفة خاصة قد كانت محافظة جدا على إرثها الديني بل تشبثت به أكثر خاصة في ظل التهديدات التي كانت تترتب بهاء الدوائر، بدءا من غزو إسبانيا والبرتغال لسواحل المغرب الاسلامي، وانتهاء بسيطرة الدولة العثمانية على المشرق العربي في ظل جو مشحون بالصراع العقائدي بين العالمين المسيحي والاسلامي.

إن الواقع الذي كانت تعيشه دويلات المغرب الاسلامي مع بداية العصر الحديث من فرقة وانقسام وصراع سياسي، هو الذي فسح المجال لبعض العلماء كي يبذلوا قصارى جهدهم في الحفاظ على الإرث الحضاري الإسلامي متمثلا في العلوم النقلية (الدينية)، غير مبالين بالعلوم العقلية (الدينيوية) التي كان يتقنها (الكفار) بزعمهم، ومن ثمة إنتقل العالم الإسلامي من موقف الهجوم (التأثير) إلى موقف الدفاع (التأثر)، فأصبح بذلك التراجع والتقهقر سيد الموقف في مختلف المجالات: الدينية (انعدام الاجتهاد، والاكتفاء بالتقليد) والسياسية (الصراع على السلطة داخل البلد الواحد، ناهيك عن الصراع على الحدود) والثقافية (انعدام الإبداع وتشجيع المبادرة العلمية) والعسكرية (عدم التجديد ومواكبة تطور الأسلحة كما هو الشأن لدى بعض البلدان الأوروبية التي أصبحت تستخدم السفن البخارية وليس الاعتماد على المجاديف)... وهكذا ساد التخلف العالم الإسلامي الذي كان في يوم ما رائدا في هذه المجالات، ففتح بذلك المجال أمام العالم الأوربي المسيحي الذي أضحى السيد في المجالات المشار إليها سابقا.

إن المتتبع لمسار هذه الأحداث التي سادت العالم خلال الفترة الزمنية المشار إليها سابقا، يكاد ينبهر بما وصل إليه العالم المسيحي فهل كان العالم الإسلامي بالفعل بعيدا عن التفاعل الإيجابي مع أحداث هذا العصر.

إن الظرفية التاريخية التي مرّ بها العالم الإسلامي هي التي أوجدت هذه الانتكاسة والتراجع، والتقهقر الذي عاشه العالم الإسلامي -آنذاك-

وموازاة ذلك فإن العلوم والمعارف التي وصفناها سابقا بالنقلية (الدينية، التقليدية) هي التي جعلت العالم الإسلامي عامة وبلدان المغرب العربي بصفة خاصة تحافظ على شخصيتها، وتجعلها في منأى عن الذوبان في العالم المسيحي، ولاشك أن الفضل في ذلك يعود إلى مؤلفات علماء هذا العصر، التي جعلت شعوب العالم الإسلامي شعوبا محافظة على أصالتها، متشبثة بقيمها، تلك القيم التي جعل منها الإسلام -خير أمة أخرجت للناس- هذه الحقيقة هي التي لمسناها من خلال تتبعنا لحشيات هذا الموضوع البسيط في شكله المعقد في محتواه.

دواعي اختيار الموضوع :

ثمّة مجموعة من الأسباب والدوافع جعلتني أقتنع بضرورة الخوض في هذا الموضوع، وهي دوافع موضوعية (علمية) وذاتية (شخصية) والتي يمكن إبرازها في النقاط التالية:

- محاولة استكمال ما كنت قد بدأت في رسالة الماجستير -حول هجرة علماء تلمسان إلى فاس خلال نفس القرن- وهو ما جعلني أتساءل عن بقية علماء الجزائر الوافدين على المغرب الأقصى، وظروف تنقلهم ومجالات اهتمامهم إلى المناطق المهاجر إليها في المغرب الأقصى. محاولة إمطة اللثام عن مجهودات ومآثر العلماء الجزائريين خلال القرن 10هـ/16م .
- محاولة الامام بمحيط البيئة السياسية والثقافية التي كانت تسود المغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م .
- أهمية ودور التواصل الثقافي بين المغربين الأوسط والأقصى -من خلال تنقلات العلماء- وآثار ذلك على ثقافة البلدين.
- البحث في نوعية التأليف والمؤلفات العلمية لعلماء القرن 10هـ/16م، باعتبارها مرآة عاكسة للوضع الثقافي آنذاك.

المدونة من الدراسة : هناك مجموعة من الأهداف وجدت نفسي أضع لها تصورا من خلال هذه الدراسة أبرزها:

- 1 - حتمية استساعة مفهوم العديد من المصطلحات والمفاهيم، باعتبار أن أغلب المثقفين يؤكدون على أن انعدام وجود تفاهم بين شخصين أو أكثر مردّه الى عدم الاتفاق على تحديد معاني المصطلحات والمفاهيم- وما أكثرها في وقتنا الحالي-
- 2 - التركيز على دوافع وأسباب تواجد العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى، والظروف العامة للبلد المستقبل لهم .
- 3 - إبراز دور العلوم النقلية في احتفاظ البلدان المغاربية على هويتها الاسلامية رغم ما تعرضت له من مخاطر داخلية وخارجية .
- 5- التأكيد على حتمية وضروة التضامن والتواصل بين الشعبين الجزائري والمغربي عبر مختلف الفترات التاريخية، والتأكيد على اللحمة الثقافية باعتبارها نقطة تقاطع في ثقافة البلدين ماضيا وحاضرا وحتى مستقبلا .

الإطار الزمني و المكاني للموضوع:

الإطار الزمني: ق10/هـ/16م، ولا بد من الإشارة هنا الى عدم تقييدنا بالفترة الزمنية نفسها في ثنايا هذا البحث، لاعتبارات منها:

- طبيعة الموضوع
- ضرورة الربط بين الفترة السابقة والفترة موضوع البحث وحتى تلك التي تليه، وذلك لإعطاء فكرة واضحة المعالم عن آليات التواصل الثقافي بين البلدين
- أما الاطار المكاني فهو المغرب الأوسط(الذي سيعرف لاحقا باسم الجزائر)، والمغرب الأقصى(في ظل الدولتان المرينية والوطاسية -ردحا من الزمن- وطيلة حياة الدولة السعدية).

الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة : شغلنا (أنا والأستاذ المشرف) في ثنايا هذه الأطروحة إشكالية مركزية تتمثل في الإنتاج المعرفي والثقافي لعلماء الجزائر بالمغرب الأقصى والظروف المحيطة بذلك سياسيا وثقافيا، ولتسهيل مسار الدراسة فقد فككنا إشكالية البحث الى أسئلة فرعية منها :

- أي نوع من العلوم تم إنتاجه من قبل هؤلاء العلماء؟

- ماهي ظروف البلدين (المغربين الأوسط والأقصى) سياسيا وثقافيا؟ خلال الفترة موضوع البحث

- ما أنواع العلوم و المعارف الموجودة آنذاك؟ وهل تم تطويرها من طرف هؤلاء العلماء؟
 - ماهي الأسباب الذاتية والموضوعية التي جعلت علماء المغرب الأوسط يغادرون بلدهم في اتجاه المغرب الأقصى؟ ولماذا المغرب الأقصى بالذات؟؟
 ما أثر مؤلفات هؤلاء العلماء على الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى آنذاك؟

المنهج المعتمد في الدراسة :

إن طبيعة الموضوع هي التي تجعلنا نحاول اختيار منهج مناسب لهذه الدراسة التي نتمنى أن تثمر بأشياء جديدة نأخذها نخدم البحث العلمي من جهة، وإضافة لبنة جديدة للتاريخ الثقافي الجزائري-المغربي من جهة أخرى، وعليه فقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي مستعينا ببعض العلوم المساعدة له كالمناهج الوصفية الذي يتتبع مراحل وأطوار انتقال العلماء الجزائريين الى المغرب الأقصى خلال الفترة موضوع البحث، ثم المنهج التحليلي الذي يفسر الأسباب والمسببات والأبعاد الحقيقية لهذا الانتقال والظروف السياسية والثقافية المصاحبة له على مستوى البلدين (المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى) وكذا المؤلفات العلمية وآثارها على ثقافة البلدين ومن ثمة الوصول - بإذن الله - قدر المستطاع إلى الإجابة على تلك الإشكاليات المطروحة في الموضوع .

الخطة المعتمدة في الدراسة:

لقد قسّمت هذه الدراسة إلى مقدمة وفصل تمهيدي، وخمسة فصول، وخاتمة.
فالفصل التمهيدي تطرقت فيه الى اشكالية بعض المفاهيم كالعلم والدين والثقافة أردت من خلالها طرح هذه المفاهيم والمصطلحات وإعطائها بعدا أكاديميا كان هديني من ذلك هو توضيح الرؤى حول مدلول هذه المصطلحات وأبعادها في كل من العالمين الاسلامي والغربي (المسيحي)، وحاولت جاهدا وضع العلوم الدينية في موضعها الخاص بها بالنسبة للعالم الاسلامي باعتبارها تعكس شخصية وثقافة المسلمين ماضيا وحاضرا وحتى مستقبلا

أما **الفصل الأول** فقد خصّصته للأوضاع السياسية في المغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م، تناولت فيه:

أولا: الوضع السياسي للدولة الزيانية باعتبارها تمثل جزءا هاما من البحث (النصف الأول من ق 10هـ/16م) وحاضنة لعلماء الجزائر الذين انتقلوا طواعية أو قسرا الى المغرب الأقصى .

ثانيا: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م بدءا من الدولة المرينية وانتقالا الى الدولتين الوطاسية والسعدية.

والفصل الثاني تناولت فيه الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق 10هـ/16م، ففي الجزء الأول من هذا الفصل عرجت على الحياة العلمية والأدبية بالجزائر أثناء العهد الزياني (نهاية القرن 15م ومطلع القرن 16م)، وأبرزت من خلاله المؤسسات التعليمية ودورها في الحياة الثقافية آنذاك، أما الجزء الثاني فقد كان مخصصا للحياة العلمية في الجزائر خلال القرن 10هـ / 16م (العهد العثماني) والعوامل المؤثرة في المشهد الثقافي آنذاك.

أما الجزء الثالث من هذا الفصل فقد خصصته للحياة الثقافية بالمغرب الأقصى مع نهاية ق 9هـ- 15م وطيلة القرن 10هـ- 16م، وفيه ألمت بمميزات الوضع الثقافي للمغرب الأقصى في حياة الدول الثلاث المرينية والوطاسية بصفة عامة والسعدية بصفة خاصة.

أما الفصل الثالث: فقد إرتأيت أن أتناول فيه تطور العلوم والمعارف بالمغرب الأوسط والأقصى قبيل الفترة -موضوع البحث- بغرض معرفة مالذي أضافه علماء القرن 10هـ/16م على العلوم والمعارف السابقة، وركزت فيه على العلوم النقلية باعتبار أن معظم العلماء قد كانوا ملمين بها الى أبعد الحدود، دون أن أغفل عن العلوم النقلية التي وإن كانت محط اهتمام بعضهم غير أنها لم تحظ بما حظيت به العلوم النقلية، وذلك - طبعا - لاعتبارات موضوعية أولا، وللظرفية التاريخية ثانيا.

أما الفصل الرابع: فقد تناولت فيه عوامل وأسباب انتقال العلماء من المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م مركزا على عاملي الرحلة والهجرة من جهة وظروف البلدين السياسية من جهة ثانية. وهنا أدرجت أسماء ثلة من العلماء الذين انتقلوا الى المغرب الأقصى في ظروف جد متميزة، وحاولت قدر الامكان التعريف بهم وبالمناطق التي استوطنوها هناك.

أما الفصل الخامس، فقد كان فصلا محوريا خصصته لدور العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى في الحياة الثقافية خلال ق 10هـ/16م، وذلك من خلال إسهاماتهم في مجال التأليف، ودورهم في الحياة الثقافية من خلال الخطط الأربع الهامة وهي الخطابة والتدريس والقضاء والفتوى، والتي حضى بها ثلة من العلماء الجزائريين آنذاك .

الدراسات السابقة: اعتمدنا في هذه الدراسة على العديد من المصادر والمراجع التي لها صلة مباشرة بهجرة وتنقل العلماء الجزائريين من المغرب الأوسط الى مختلف مناطق وربوع العالم الاسلامي وليس

فقط الى المغرب الأقصى، وكذا المنتجات الفكرية لبعض العلماء الجزائريين، مع العلم أن العديد من هذه الدراسات كنا قد أشرنا إليها في رسالة الماجستير التي أنجزناها بكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، للموسم الجامعي 2013/2014م، والمتعلقة بـ "هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10 هـ / 16م" ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- زهراء النظام، "العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية-ثقافية خلال القرن 10هـ/16م" خدمنا الباب الثاني من الكتاب والذي خصّص للعلاقات الثقافية بين المغرب والجزائر، إذ استعرضت الباحثة في الفصل الأول العناصر الثقافية المشتركة بين البلدين وحصرتهم في ثلاثة جوانب: الأول المؤثرات التي تشبّع بها الموروث الثقافي المغربي والجزائري، ومنها التأثير الأوروبي والأندلسي والسوداني والعثماني. الثاني المراكز الثقافية التي احتضنت الحلقات العلمية، وكان لها إشعاع محلي وإقليمي مثل فاس ومراكش وتارودانت والجزائر وتلمسان ووهران. أما الثالث فقد خصّصته الباحثة للحياة التعليمية والتي تناولت فيه مواد التدريس (التفسير والقراءات والحديث وعلم الكلام والعقائد والفقه والنحو وعلم التاريخ والجغرافيا وغيرها)

- سعاد لبصير "هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر (1516-1830)" وهي دراسة مستفيضة وقيمة أبرزت من خلالها الباحثة دوافع وأسباب الهجرة الجزائرية في فترة التواجد العثماني بالجزائر .

- عمار بن خروف: "العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي" الجزء الثاني، استفدت منه خاصة في الجزء المتعلق بالجانب الذي عرّج فيه على مجموعة من العلماء الجزائريين الذين هاجروا و انتقلوا إلى المغرب الأقصى في- الفترة موضوع البحث -

- قاصري محمد السعيد، "المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى (1830 - 1930)" وعلى الرغم من معالجة الأستاذ قاصري للهجرة الجزائرية في الفترة المشار إليها (1830-1930) إلا أنه قد أفادنا في فصله التمهيدي، بالتطرق للمهاجرين الجزائريين نحو المغرب الأقصى في فترة ما قبل التواجد

الفرنسي، وذلك بالإشارة إلى مجموعة من الشخصيات الجزائرية العلمية التي هاجرت إلى المغرب، ورغم أن الأستاذ قاصري قد أخذ تراجم تلك الشخصيات من كتب عدة، ككتاب الدوحة لابن عسكرو، وكتاب البستان لابن مريم، وكتاب تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي ... إلا أنني استفدت من تلك الدراسة استفادة كبيرة .

- عمار هلال، "العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (الثالث إلى الرابع عشر هجري"، وهي دراسة مستفيضة تناولت موضوع انتقال العلماء الجزائريين ليس للمغرب الأقصى فحسب، بل للبلدان العربية والإسلامية هذا بالإضافة إلى مجموعة من المقالات، التي تناولت موضوع الهجرة الجزائرية نحو الخارج في الفترة العثمانية ونذكر منها :

أ - هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر للأستاذ كمال فيلاي

ب- هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني (1520-1830) للباحث بوشنافي محمد

ج - دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني (1516-1830) للباحثة سعاد لبصير

د - الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب، للباحث إبراهيم حركات، والذي سلط فيه الضوء على بعض رجالات الفكر الذين تقاطروا على المغرب في فترات زمنية مختلفة .

نقد مصادر و مراجع البحث

ثمّة العديد من هذه المصادر كنا قد اعتمدنا عليها هي الأخرى في رسالة الماجستير ووجهتنا هي الأخرى في هذا البحث وتوسعنا في دراستها وقد أفادتنا أيما إفادة في استقاء المعلومات من منابعها باعتبار أن من كتبها كان معاصرا لهذه الفترة الزمنية (ق10هـ-16م) أو قريبا منها ونذكر منها مايلي:

المصادر العربية : نذكر منها على سبيل المثال لالحصر:

- أحمد بابا التنبكتي، "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" والكتاب في جزأين، ترجم فيه صاحبه لثمانمائة واثنين (802) من الشخصيات، وتكمن أهمية الكتاب في كونه ذيلا على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المدني المتوفى سنة 799هـ. وبذلك كان مشاركا له في

موضوعه، موفيا ما نقص من مادته، ومضيفا عليه من جاء بعده من أعيان الفقهاء، حتى عصر المؤلف، وقد قال عنه الدكتور، عبد الجليل التميمي (إن الكتاب يعتبر سجلا للأعلام الأندلسيين، والتونسيين والمغاربة، والجزائريين، والطرابلسيين في القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر هجري / السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ميلادي) وقد أفادنا في ترجمة عدة شخصيات تلمسانية هاجرت إلى المغرب الأقصى خلال القرن ال 10 هـ / 16 م .

- أبو العباس أحمد ابن القاضي المكناسي، "درة الحجال في أسماء الرجال" الكتاب في ثلاثة أجزاء، ترجم فيه لألف وخمسمائة وتسعة عشر (1519) شخصية وهناك من لا تتعدى الترجمة فيه سطرًا واحدًا، استفدنا من هذا المصدر في ترجمة بعض الشخصيات التلمسانية التي هاجرت إلى فاس - في الفترة موضوع البحث - ولنفس الكاتب، "جدوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس"، يحتوي على تمهيد فصلّ فيه القول في بناء المدينة (مدينة فاس) وذكر خططها، ومعاهدها خاصة، جامع القرويين، وهذا التمهيد هو نقل لما كتبه مؤرخون آخرون عن فاس، مثل، جنا زهرة الآس، لعلي الجزنائي، والأنيس المطرب بروض القرطاس، لعلي بن أبي زرع، ويحتوي على ترجمة ستمائة وخمس وأربعين (645) شخصية، مرتبة ترتيبًا هجائيًا والكتاب في جزأين، استفدنا منه في ترجمة عدة شخصيات تلمسانية هاجرت إلى فاس - في الفترة موضوع البحث -

- محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر"، وتكمن أهمية هذا الكتاب في كونه ترجم لثلاثمائة وخمسة (305) شخصية، فهو يقدم صورة واضحة لأعلام المغرب من فقهاء وعلماء وشيوخ التصوف، في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، إذ أُلّفه سنة 985 هـ / 1577م، أي سنة واحدة قبل وفاته في معركة وادي المخازن 986 هـ / 1578 م، ورغم ما يؤخذ عن المؤلف في هذا الكتاب من مأخذ منها، إنبهاره ببعض الأساطير الممزوجة بكرامات الأولياء، وعدم تحديد تواريخ وفيات الأشخاص الذين يترجم لهم، غير أنه قدّم لنا خدمة جليّة بالتعريف بشخصيات جزائرية كانت قد هاجرت إلى المغرب الأقصى في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، ميرزا مكانتها العلمية والدينية خاصة في فاس، وللعلم فإن مخطوط دوحة الناشر موجود بالمكتبة العامة بالرباط في خمس نسخ، وفي المكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم : 2136

- أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" ترجم فيه صاحبه لمائة واثنين وثمانين (182) عالما وواليا، ولدوا بتلمسان أو عاشوا بها، وقد تفاوتت تراجم الشخصيات التي ترجم لها ابن مريم من حيث المعلومات، فبعضها لا يتجاوز السطرين، والبعض الآخر يترجم له في أكثر من صفحة، والملفت للانتباه هو أن معظم الشخصيات المترجم لها إن لم نقل كلها، لا تخلوا من ذكر كرامات ومناقب أصحابها، ولا غرابة في ذلك، فالكاتب متأثر بروح العصر، وقد استفدنا منه في ترجمة عدة شخصيات علمية كانت على اتصال مستمر بالمغرب الأقصى، خاصة فاس

- أحمد بن أبي جمعة المغراوي "جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان"، وهو في الأصل مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم، 2078، وتكمن أهمية الكتاب في كونه يعطي صورة حية عن واقع تاريخي للتعليم الابتدائي في المكاتب القرآنية لحفظ القرآن، وتعلم القراءة والكتابة بتلمسان والمغرب مع نهاية القرن التاسع هجري ومطلع القرن العاشر هجري / نهاية القرن الخامس عشر، ومطلع القرن 16 ميلادي، ورغم كون الكتاب يغلب عليه الطابع الفقهي كأحكام تتصل بالمعلمين وأجورهم، والتلاميذ وما يدفعونه من أثمان مقابل تعليمهم، إلا أنه أفادنا في أساليب التعليم، وسلوك المعلم مع تلاميذه في الفترة المدروسة .

- محمد بن الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفراني المراكشي "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي"، رغم أسلوب الإطراء تجاه الدولة السعودية الذي تميز به الكتاب، إلا أنه أفادنا في رسم صورة عن العلاقات السعودية الجزائرية خلال القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، وكذا إنجازات ومواصفات سلاطين الدولة السعودية بدءا بمحمد الشيخ وانتهاء بأحمد المنصور الذهبي

المراجع العربية :

- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، (للمرحوم) محمد حجي، والكتاب في جزأين، الجزء الأول يتناول في الباب الأول، المميزات العامة للمجتمع المغربي في العصر السعودي، أما الباب الثاني فقد تضمن الطابع العام للتعليم والمواد الدراسية وطرق التعليم في العصر السعودي أما الباب الثالث فقد أفادني إفادة كبيرة فيما يخص تأليف الكتب وأنواعها وكذا المكتبات في العصر السعودي، أما الجزء الثاني أفادني في الاطلاع على المراكز الثقافية في العهد السعودي سواء الحضرية- في المدن الكبرى والصغرى- أو في المراكز القروية- الأرياف-

- "العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع و العشرين الميلاديين / الثالث والرابع عشر الهجريين" (للمرحوم)عمار هلال، يمتاز هذا الكتاب بتخصيص جزء منه للعلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى من القرن الحادي عشر والثاني عشر ميلادي إلى القرن العشرين ميلادي، واستفدنا منه في الفترة المتعلقة بأواخر القرن التاسع هجري، وطيلة القرن العاشر هجري / أواخر القرن الخامس عشر وطيلة القرن السادس عشر ميلادي .
- "العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي"، الجزء الثاني، للباحث، عمار بن خروف، ورغم أن الكتاب يتناول الجوانب الثلاث إلا أنه أفادني بشكل كبير في المجال الثقافي فوظفت ما توصل إليه الباحث من عمق العلاقات بين البلدين في المجال الثقافي والذي كانت دعامة الكبرى ذلك الرعيل الأول من العلماء الذين كانوا بالفعل خزائن علم متنقلة
- "تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)" للمرحوم سعد الله أبو القاسم وهو موسوعة حقيقية تشمل عشرة أجزاء، اعتمدنا على نسخة، عالم المعرفة، طبعة، 2011 م . والأجزاء التي خدمت البحث هي الأجزاء الأربعة الأولى، فالجزء الأول أفادنا في إعطاء لمحة على الموروث الثقافي للجزائر مع أواخر القرن التاسع هجري/أواخر القرن الخامس عشر ميلادي، وحتى مطلع القرن العاشر هجري/16 ميلادي، ورغم ما امتازت به كتابات المرحوم سعد الله من تنوع وغزارة فإنه قد استطاع أن يرسم لنا الوجه الثقافي للجزائر آنذاك بذكره للمؤسسات الثقافية، والتعليم، وإبراز العديد من الشخصيات العلمية، وكذا التطرق إلى هجرة العلماء ابتداء من الصفحة 423 من الكتاب . والجزء الثاني ساعدنا في التعرف على أبرز العلوم الشرعية التي كانت تدرس آنذاك بالإضافة إلى علوم اللغة، والتاريخ والتراجم وبعض العلوم الأخرى. أما الجزء الثالث فكان مخصصا للتعليم ورجالاته وأبرز المراكز التعليمية في فترة القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، سواء في المدارس القرآنية والمساجد أو الزوايا، والجزء الرابع من هذه الموسوعة التاريخية الثقافية فقد خصص جزء كبير منه للطرق الصوفية (الفصلين الأول والثاني) وهو الذي استفدنا منه وحاولنا توظيفه قدر المستطاع.

- "تعريف الخلف برجال السلف"، لصاحبه أبو القاسم الحفناوي، دراسة وتحقيق، الدكتور، خير الدين شترّة الطبعة الأولى، 2012م الصادرة عن دار، كردادة للنشر والتوزيع، وهو في جزأين، استفدنا منه في ترجمة مجموعة من الشخصيات المتعلقة بالبحث، وقد ترجم المؤلف لأربعمائة وعشرين شخصية، والملفت للانتباه هو أن المؤلف يشير إلى المصدر الذي استقى منه ترجمة المترجم له، كأن يقول (من نيل الابتهاج) أو (من البستان في ذكر علماء تلمسان) أو (من خلاصة الأثر) ... الخ
- "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، لمحمد بن ميمون الجزائري، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، الطبعة الأولى الصادرة عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1972، رغم أن الكتاب يتناول ثلاث عناصر هامة من تاريخ الجزائر المتمثلة في: أولا سيرة الداوي محمد بكداش، فاتح مدينة وهران، ثانيا: وصف المعارك التي دارت بين الاسبانيين والجزائريين من أجل هذا الفتح المبين، ثالثا ذكر مجموعة من القصائد التي أنشدها منشدوها قبل وأثناء وبعد المعارك، إلا أننا استفدنا من هذا الكتاب من خلال ما أورده المحقق عن عصر الكاتب الثقافي، وعن مدلول الثقافة، وعن المراكز الثقافية، وعن الإنتاج الثقافي، وعن رجال الثقافة الذين أشار إليهم المحقق كابن جلال، وابن شقرون وغيرهما، والذين لهم صلة بموضوع البحث .
- "الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني"، لأحمد مروش وآخرون، ضمن منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر 1954، تتمثل أهمية هذا المرجع في كونه يعطي لنا مسحا عاما للمؤسسات الثقافية بالجزائر أثناء فترة التواجد العثماني من مساجد ومدارس، وزوايا بالإضافة إلى تطرقه لتيارات التصوف في الجزائر خلال الفترة المشار إليها في عنوان الكتاب
- "تلمسان في العهد الزياني"، للباحث عبد العزيز فيلاي، الجزء الثاني والذي أفادنا كثيرا في إعطاء صورة تفصيلية عن الحياة الثقافية، خاصة التعليم، في دولة بني زيان، وقد استثمرنا هذا الجانب وحاولنا توظيفه في فترة النصف الأول من القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي .

- "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس"، لمحمد بن جعفر الكتاني (توفي سنة 1345هـ/1927م) حققها ووضع فهرسها حفيد المؤلف الشريف محمد حزة بن علي الكتاني ضمن الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، في أربعة أجزاء، وهو "حسب علمنا" أكبر موسوعة لتراجم أعلام فاس ترجم فيه لألف وثمانمائة وواحد وثمانين (1881) شخصية ليست من الرجال فقط، بل كذلك من السيدات، وفي التمهيد الذي وضعه الكتاني تحدث عن تأسيس مدينة فاس وبعض فضائلها
- "الإعلام بمن حل مراكش و أغمات من الأعلام"، للعباس السملالي والذي راجعه، عبد الوهاب بن منصور موضوعه كما يقول محقق الكتاب (تراجم من حلّ مراكش و أغمات من الرجال النابغين سواء كانوا من أهلها أو من غيرهم) وجاء في تمهيد الكتاب، الجزء الأول وصفا لمدينتي مراكش وأغمات وبيان فضلها والكتاب في عشرة (10) أجزاء، ترجم فيه لألف وستمائة وخمسون (1650) شخصية، من بينها الشخصيات العلمية التلمسانية التي هاجرت إلى المغرب في الفترة موضوع البحث
- "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري (توفي سنة 1897م) ضمن مجموعة من الأجزاء، استفدنا من الجزأين الثالث والرابع الخاصين بالدول الثلاث المتعاقبة على الحكم في المغرب الأقصى (المرينية والوطاسية والسعدية)
- "جولات تاريخية" للباحث المغربي المرحوم محمد حجي، وهي عبارة عن مجموعة من الدراسات والمقالات جمعها صاحبها ونشرتها الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، سنة 1995، أفادتنا هذه الدراسة خاصة في الموضوع المعنون بالتعليم في المغرب خلال العصر الحديث، وصورة أدق العصر السعودي الأول (1505م - 1603م) وأشارت نفس الدراسة إلى هجرة بعض العلماء الجزائريين إلى المغرب مع مطلع القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، خاصة بعد دخول الأتراك إلى الجزائر وتضييق الخناق على كل من يعارض سياستهم المتصلبة خاصة العلماء كما يقول في الصفحة 128 من الكتاب.
- "المغرب في عهد الدولة السعودية" دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية و مختلف المظاهر الحضارية للباحث عبد الكريم كريم، والذي أفادنا خاصة في فصله التاسع عشر

المتعلق بالحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة السعدية والذي اعتمد فيه على كثير من المخطوطات والمصادر المتنوعة الموجودة بالمكتبة الملكية بالرباط

المقالات و الرسائل الجامعية: وهي عديدة ومتنوعة نذكر منها:

1- المقالات المتخصصة :

- مقال للمرحوم عمار هلال، بعنوان "العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين العاشر والعشرين الميلاديين / الرابع و الرابع عشر هجري"، وركزت على فترة القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي فوجدت أن أغلب العلماء الذين هاجروا في هذه الفترة هم من علماء تلمسان

- مقال للباحث أرزقي شويتام، الموسوم ب"العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)" والذي أعطى فيه لمحة عن العلاقات بين الأقطار المغاربية خلال الفترة العثمانية فإن المقال قد سلط الضوء كذلك عن بعض الشخصيات العلمية التي هاجرت إلى المغرب الأقصى خلال القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، وكانت هذه الدراسة القيمة موجهة لي للولوج إلى الموضوع ليس من باب العلاقات السياسية فقط بل كذلك من باب العلاقات الثقافية

وهناك مقال بعنوان "دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني(1516-1830)" للأستاذة سعاد لبصير، أفادني كثيرا في معرفة الأسباب والدوافع الحقيقية لهجرة عدد كبير من العلماء الجزائريين نحو مناطق متعددة من العالم، بسبب ما أفرزته السياسة العثمانية، ونتائج تلك الهجرة خاصة على المستوى الثقافي في الجزائر

-مقال "هجرة العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني(1520-1830)" للباحث بوشناني محمد، إذ أنني وجدت في هذا المقال جزءا مخصصا لثلة من العلماء الجزائريين الذين توجهوا فرادى وجماعات الى المغرب الأقصى، في ظل ظرفية تاريخية متميزة (سياسيا وثقافيا)

2 - الرسائل الجامعية :

- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، اشراف، د، عبد المجيد قدور، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، كلية الآداب والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2013/2014م، وهذه الرسالة هي بمثابة ارتكاز عملي -في هذا الموضوع- على

اعتبار أننا تناولنا فيها نفس الفترة الزمنية-موضوع البحث-والمعلقة بالقرن العاشر الهجري،السادس عشر الميلادي-وتناولنا فيها ثلة من علماء تلمسان الذين كانت وجهتهم الى فاس،بسبب الظروف السياسية التي كان يعيشها المغرب الأوسط آنذاك،وقد وظفنا العديد من اقتباسات المذكورة في موضوعنا هذا،خاصة في الفصل الثاني والثالث،وذلك حفاظا على وحدة الموضوع من جهة،وارتباط ذلك بالفترة الزمنية(فترة ق10هـ/16م) من جهة أخرى

- بكاي هوارية،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي،اشراف،بودواية مبخوت،كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية،قسم التاريخ والآثار،شعبة التاريخ،جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-2013/2014م،رغم طول الفترة الزمنية التي تناولتها الباحثة(ثلاثة قرون) إلا أن استفادتي كانت كبيرة من هذه الأطروحة خاصة ما تعلق منها بالجانب الثقافي خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين/الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين،سواء في المغرب الأوسط أو المغرب الأقصى.

- امحمد بوذبية،المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب تلمسان وفاس "نموذجا" في القرن 10هـ،مذكورة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث-تخصص الدولة والمجتمع في المغرب الكبير-اشراف أرزقي شويتام،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،بوزريعة،2010/2011م،أفادتي هذه الدراسة في تطرق صاحبها الى الحركة الفكرية والتعليمية في كل من تلمسان وفاس كنموذجين للدولتين الزيانية والسعدية -خلال الفترة موضوع البحث-بالإضافة الى التقاليد العلمية في المدينتين وأثرهما على تطور الحياة الثقافية

- محمد بوشقيف،تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14-15م)،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط،باشراف،عبدلي لخضر،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية،قسم التاريخ،جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان،2010-2011م،أفادتي هذه الأطروحة في أهمية التعليم ودوره في ازدهار الحياة الثقافية بالدولة الزيانية،بالإضافة الى تطرق صاحب الأطروحة الى مراحل وطرق التدريس خلال الفترة المدروسة،وكذا حركة التأليف التي كانت هي نفسها في المغربين الأوسط والأقصى خلال الفترة يمتاز بها التعليم في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي،كما تطرق صاحب الأطروحة الى مجالات العلوم سواء العقلية أو النقلية ومميزاتها خلال

الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، وأخيرا أعطى لنا الباحث ثلة من المنتجات العلمية للعديد من علماء الفترة المدروسة، والعديد من منتجات هؤلاء العلماء هي التي ستكون محور دروس العديد من العلماء الجزائريين في مجالس العلم بالمغرب الأوسط والأقصى خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي.

- الصالح بن سالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال (1549-1664م)/مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير، اشراف، اسماعيل سامعي، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-2013-2014م، رغم تحديد الباحث للإطار الزمني للدراسة وهي فترة حياة الدولة السعدية بالمغرب الأقصى، إلا أن العلماء الجزائريين الذين أشار اليهم الباحث في هذه المذكرة قد كان لهم ارتباط بحياة الدول التي سبقت الدولة السعدية وهو ما جعلني أقارن بين هذا الكم من العلماء الذين لهم علاقة بموضوع البحث بأولئك الذين سبقوهم، سواء من المغرب الأوسط أو من المغرب الأقصى.

- رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، بإشراف، بالعربي خالد، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة لجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2015-2016م. أفادتني هذه الأطروحة في الاطلاع عن كتب عن المؤسسات التعليمية بالمغرب الأوسط أيام فترة الدولة الزيانية، بالإضافة الى أصناف العلوم والمعارف المتداولة بالمغرب الأوسط (خاصة العلوم الدينية) والتي كانت قاسما مشتركا بين المغربيين الأوسط والأقصى واستمرت حتى ق10هـ/16م - أي الفترة موضوع البحث-

- سعاد لبصير "هجرة ونفي أهل العلم و الدين من الجزائر في العهد العثماني (1516-1830)" والتي تعتبر بحق رقدا لأهم هجرات علماء الجزائر خلال العهد العثماني، رغم أن العلماء لم يكونوا كلهم معارضين للسلطات العثمانية إذ أثبتت الأستاذة أن بعض حكام الجزائر من العثمانيين كانوا مقرّبين جدا من بعض العلماء أصحاب الطرق الصوفية، غير أن بعضهم الآخر كان معاديا للأتراك فهاجر أو هجر من الجزائر إلى مناطق مختلفة من البلاد العربية والإسلامية

- قاصري محمد السعيد "المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى (1830-1930)"، أفادتنا هذه الرسالة في فصلها التمهيدي الذي ذكر فيه الباحث أن

أصول الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى قديمة، فهي تارة فردية وتارة أخرى جماعية وأعطى لنا أمثلة بدأها بحجرة أبي الطيب المسيلي (توفي سنة 538 هـ / 1143 م) الذي انتقل إلى المغرب عبر الأندلس، وتولى القضاء بفاس إلى أن توفي، ثم تناول مجموعة من الهجرات عبر مراحل تاريخية مختلفة، بما فيها القرن العاشر هجري/16 ميلادي

- صباح بعارسية "حركة التصوف في الجزائر خلال القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي" وإن لم يكن موضوعها ظاهرة الهجرة والرحلة والانتقال من الجزائر إلى المغرب فإنها أمت بظاهرة التصوف في أبعاده المختلفة من حيث الأسباب والمراحل والتطور والتي هي روح العصر في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، فإن هذه الرسالة ساعدتنا كثيرا في فهم الظاهرة ومدى تأثيرها في المجتمع الجزائري جماعات (مختلف شرائح المجتمع) وأفراد (الفئات المثقفة من علماء وحتى فقهاء) أما عن الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة فأهمها:

- حجم كتب الطبقات والتراجم (التي اعتمدت عليها في استيقاء معلومات موضوع البحث) والتي كلفتني جهدا معتبرا لقراءتها خاصة وأن معظمها كان بصيغة (p d f)، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب: درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي، والذي يشتمل على ثلاثة أجزاء، فالجزء الأول به 447 شخصية، والجزء الثاني به 430 شخصية، والجزء الثالث به 745 شخصية أي بتعداد 1522 شخصية في مجموع الأجزاء الثلاث، والمتعب في هذا أن مؤلفها رتبها ترتيبا على حروف المعجم ولم يرتبها ترتيبا زمنيا داخل كل حرف وهو جعلني أقرأ ترجمة كل هذه الشخصيات علي أظفر بعالم جزائري في الفترة -موضوع البحث- يضاف إلى ذلك كتب أخرى هي بمثابة موسوعات تراجم للعديد من الأعلام بما فيها الشخصيات العلمية الجزائرية التي انتقلت إلى المغرب الأقصى في فترات زمنية مختلفة ومنها على سبيل المثال، كتاب الأعلام بمن حل مراكز وأعمات من الأعلام للسملالي في عشرة أجزاء، وكتاب موسوعة أعلام المغرب لمحمد حجي، وهو الآخر في عشرة أجزاء.

- قصر المدة التي قضيتها بالمغرب الأقصى "12" يوما فقط، والتي لم تكن كافية للإطلاع على المخطوطات الخاصة بالعلماء الجزائريين

- انشغالي بالتدريس في الثانوية، وكذا تدريس ساعات إضافية بالجامعة، ومسؤولية العائلة والأبناء (خاصة إجراء عملية جراحية لابني فاروق في الجزائر العاصمة على مستوى القلب، وكادت

ساعتها أن أتخلى عن الأطروحة نهائياً، لولا قدرة الله على شفائه وكذا تشجيع الزوجة لي على المضي قدماً لإتمامها)

وهنا لا يفوتني أن أوجه الشكر الجزيل والامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور محمد الزين، على قبوله الإشراف على هذا العمل، وعلى توجيهاته السديدة، وجدته في العمل، وفضائله عليّ التي لا تحصى، كل ذلك كان في أستاذية رفيعة، وتواضع كبير، وقد صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله من لم يشكر الناس لم يشكر الله، فكلمة شكر غير كافية في حقّ أستاذي الفاضل، الدكتور محمد الزين، فكل ما أتمناه هو أن يجعل الله مجهودات عمله معي، في ميزان حسناته

وهناك شكر خاص للأستاذ الدكتور مكحلي محمد على الدعم المعنوي الذي قدّمه لنا، كما أتقدم بالشكر مع خالص الدعاء وحسن الثناء لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني بقبول مناقشة هذه الرسالة، شاكرًا لهم جهودهم وسائلاً المولى عزّ وجل أن يفتح عليهم بما يكمل حلقات هذه الرسالة لإظهارها بأكمل صورة، وأن يجعل ملاحظاتهم متممة للنقصان ومقومة للمضامين.

وأخيراً فإنني مهما قدّمت من عمل فإنه يبقى ناقصاً لأنه لا يمكن الإمام بمختلف جوانبه خاصة في فترة زمنية قصيرة مخصصة لدراسة هذا الموضوع فإن وفقت في ذلك فبفضل من الله وعونه، وإن كان هناك تقصير فمن نفسي. وعزائي في ذلك قول الثعالبي "إن أول ما بيدوا من ضعف ابن آدم، أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب من غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عديدة" وشاطره الرأي العماد الأصفهاني بقوله: (إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتاباً في يومه، إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، ودليل على استيلاء النقص على جملة البشر*).

والله ولي التوفيق.

* حسان محمد حسان، ابن حزم الأندلسي عصره ومنهجه وفكره التربوي، دار الفكر العربي، د.ت،

الفصل التمهيدي: إشكالية المفاهيم (العلم- الدين - الثقافة)

العلم ودلالته

العلم والعلوم عند الأوربيين

نماذج من رواد العلم في أوربا

الثقافة ومدلولاتها

فضل العلم الديني

نماذج من العلوم عند المسلمين في المجال الديني(العلوم النقلية)

فضل العلم العقلي(الديني)

نماذج من العلوم عند المسلمين في المجال العقلي(الديني)

أضحى علمنا المعاصر عالما واحدا بفضل الوسائل التكنولوجية الحديثة والفضل كل الفضل الى ما أحدثه العلماء من اختراعات في مجالات عدة، وعندئذ يطرح تساؤل كبير حول العلم الذي حققت به البشرية هذه القفزة النوعية، وهل أصبح هذا النوع من العلوم المتوصل اليها حاليا هي اسمى ما يتغنيه الانسان للبحث عن الرفاهية والتطور، خاصة وأن هذا العلم مبني على أساس مادي بالدرجة الاولى. وأمام هذا الواقع وهذه التحديات يعاب علينا نحن كمسلمين عدم التفاعل بجدية أكثر للتحكم في هذه العلوم بسبب ارتباطنا بإرثنا الحضاري الديني الذي لايعطي أهمية لهذه الحياة (مهما حدث فيها من تطور) لأنها لا تساوي جناح بعوضة كما ورد في الاثر "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء"¹. وعندما يرتبط العلم بالدين فتلك إشكالية أخرى تطرح أكثر من وجهة نظر خاصة في عالم أصبح يؤمن باللموس (المحسوس أو المادي) أكثر من المسائل الغيبية (الميتافيزيقا أو التي تعرف بما وراء الطبيعة) وفي ظل هذا الوضع أصبح العالم الاسلامي يتعرض الى أفكار هدامة ومتناقضة من طرف أبنائه قبل أعدائه، ولعل مسألة التوفيق بين العلم والدين هي من الصعوبة بمكان، ولذلك جاء هذا الفصل التمهيدي ليلقي نظرة بسيطة على مفهوم العلم ومفهوم الدين وكذا ثقافته باعتبارها الوعاء الذي يجمع بين الدين والعلم في سلوكيات الفرد والمجتمع فما هو مفهوم العلم وما علاقته بالدين وأي دور لثقافة المجتمع في التوفيق بينهما؟

إشكالية المفاهيم

في أول حصة دراسية جمعتنا في السنة الأولى ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة مع الأستاذ عميرايو أحمد² أتذكر جيدا عبارته الشهيرة "حدد مصطلحاتك كي أتناقش معك" ومنذ ذلك الحين وأنا لا أقدم علي تسجيل مصطلح من المصطلحات إلا وأبحث عنه في القواميس أو الكتب، وقد تعلمنا منه "جزاه الله كل خير" أن نتأني في اختيار المصطلحات والمفاهيم ووضعها في إطارها الزماني

¹ - رواه الترميذي وابن ماجه

² - أستاذ التعليم العالي بجامعة الامير عبد القادر بقسنطينة له العديد من الأبحاث والدراسات في التاريخ الجزائري

والمكاني ذلك أن ضبابية المفاهيم واختلاطها هما مشكله الفكر الإنساني وهو ما ذهب إليه الباحث عبد الكريم غلاب¹.

إن المفاهيم تلعب دوراً رئيسياً في فهمنا للعالم والأحداث والأفكار من حولنا ودوراً آخر لا يقل أهميته في التأثير على انتقاءنا لخياراتنا وقناعاتنا وعقائدنا²، وللمفاهيم والمصطلحات دورة حياة معينة بغض النظر هل تطول هذه المدة أم تقصر بمعنى أن لها بداية تصل بعدها للذروة ثم تتوارى أو تموت فاسحة المجال لمجموعة أخرى من المفاهيم والمصطلحات لتحل مكانها³ والغرض من كل هذا وذاك هو الوصول إلى الحقيقة وما سبيل الحصول على الحقيقة إلا بالبحث بمنهج علمي عن مكونات الحقيقة ولكل من هذه المكونات مفهوم لا تتضح الحقيقة بغير وضوحه⁴. والحوار سبيل البحث عن الحقيقة فلم تنشأ الأفكار والنظريات والحضارات ولم تزدهر جميعها إلا بالحوار، ولا يستقيم حوار دون تحديد المفاهيم حتى يكون حوار السامعين المفكرين لا حوار الصم المغلقين⁵ وأول ما تصاب به الأمم في أطوار تراجعها الفكري والمعرفي والثقافي مفاهيمها، وأول ما يتأثر بعمليات الصراع الفكري والثقافي مفاهيمها كذلك. وأهم الأمراض التي تعترى المفاهيم، الميوعة ثم الغموض، فالميوعة تنشأ عن تساهل الأمم في مفاهيمها فقد تستعير إسماً أو مصطلحاً من نسق معرفي آخر بطريق القياس القائم على توهم التماثل والتشابه لتداوله مع مفاهيمها كمفهوم مرادف مساو أو بديل أو مترجم⁶.

¹ - عبد الله عبد الكريم غلاب، أزمة المفاهيم وانحرف التفكير، مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة الثقافة القومية 33، ط1، بيروت، لبنان، مارس 1998، ص 7

² - عبد الله بن بجاد العتيبي، أزمة المفاهيم والمصطلحات، جريده الرياض، عدد 14134، الثلاثاء 16 سفر 1428 هـ / 6 مارس 2007م. "www.Alriyadh.com /230365"

³ - عبد الله بن بجاد العتيبي، أزمة المفاهيم والمصطلحات، جريده الرياض، مرجع سابق

⁴ - عبد الله عبد الكريم غلاب، أزمة المفاهيم وانحرف التفكير مرجع سابق، صفح 8. وإذا كنا نتفق إلى حد بعيد مع الباحث عبد الكريم غلاب في ما ذهب إليه فإننا نؤكد على أن الحقيقة مهما كانت وفي أي علم من العلوم خاصة العلوم الانسانية، فإنها تبقى نسبية وليست مطلقة فما أراه أنا ايجابي في ظرفية تاريخية ما، قد يراه غيري سلبى - والعكس صحيح -

⁵ - نفسه، ص 8

⁶ - نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة، المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1414 هـ / 1994 م، ص 8

ولعل من أبرز المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بموضوع بحثنا هذا هو مصطلح العلم والثقافة وعلاقتهما ببناء شخصية الأمة فما مفهوم العلم؟ ومن هو العالم؟ وماهي الثقافة؟ ومن هو المثقف؟ وهل كل عالم مثقف؟ وهل كل مثقف عالم؟

كثيرة هي التساؤلات التي تطرح في هكذا موضوع خاصة إذا حددنا الفترة الزمنية بالقرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي، وهي الفترة التي شهدت تباينا كبيرا في العلم والثقافة بين العالمين - آنذاك- العالم الإسلامي (الذي كانت تتزعمه الدولة العثمانية)والعالم المسيحي(الذي كانت تتزعمه امبراطورية اسبانيا الكاثوليكية).

العلم ودلالته:

يعرّف العلم لغة بأنه إدراك المرء للأمر على حقيقتها، وهو مصدر الفعل علم وجمعه علوم¹، كما يعني العلم لغة الكشف عن الشيء لمعرفة حقيقته، أما اصطلاحا فهو معرفة المعلوم من الذوات والصفات والمعاني على ما هو عليه وهو مصدر علم يعلم علما². وهو كذلك إدراك ما من شأنه أن يعلم، موجودا كان أو معدوما(على ما هو به) في الواقع كإدراك الإنسان أي تصوره بأنه حيوان ناطق، وكإدراك أن العالم وهو ما سوى الله تعالى حادث³.

إن مفهوم لفظة "science" الانجليزية والتي ترجمت إلى لفظة علم، يقابلها في اللغات الأجنبية الأخرى كاللاتينية "scientia" والفرنسية "science" "يدخل ضمن نشاط فكر أعم هو الفلسفة، حيث كانت الفلسفة تبحث ضمن ما تبحث في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والطب، فكان الفيلسوف يجمع بين الفلسفة والعلم والأدب وغير ذلك دون تمييز قاطع بين هذه

¹ - شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، 1425 هـ/2004م، ص624، يراجع: المنجد في اللغة والأعلام، ط43، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2008، صص 526-527.

² - علي عبد الفتاح، أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، مكتبة ابن كثير، ط1، الكويت، 1431هـ/2010م، ص 86

³ - جلال علي القذافي الجهاني، من خزانة المذهب المالكي، درا ابن حزم، ط1، بيروت، 1427 هـ/2006م، ص

المجالات¹، ويطلق العلم أيضا في التراث الإسلامي على الفرع من المعرفة الذي له موضوع ومسائل فيقال: علم الفقه، وعلم الطب،... الخ².

يرتبط العلم بكلمة "عالم" فالكلمة الفرنسية "savant" والاطالية "scienziato" والألمانية "wissenschltler" والروسية "ucheny" تشير أيضا الى الفلاسفة والمؤرخين والمثقفين... والعالم بالمعنى الضيق للكلمة هو صاحب المعرفة العلمية³، وعلى العموم فإن العلم (بمجال واسع من المعرفة الإنسانية، يكتسب بواسطة الملاحظة والتجربة، ويتم توضيحه عن طريق القواعد والقوانين والمبادئ والنظريات والفروض)⁴، وقد يرتبط اسم العالم برجل الدين فرجل الدين في المفهوم الغربي هو قصة طويلة عاشتها أوربا من أجل التحرر من سيطرة الكنيسة وباباواتها التي وقفت في وجه كل حركة إصلاحية، متهمة رجال الفكر والعلم والفلسفة بالخروج عن تعاليم الدين المسيحي الذي يمنحهم القداسة، إن لم يكن بأنفسهم فبنسبتهم⁵.

إن كلمه رجال الدين اصطلاح أجنبي أطلقه الغربيون على الباباوات والقساوسة والرهبان وصفا لهم وتحييدا لهم بعد الثورة التي قامت من أجل التخلص من قبضتهم وإبعادهم عن الحياة السياسية التي أفسدوها، وهذا ما يعطينا فكرة عن خطورة وصف علماء المسلمين برجال الدين من طرف المستشرقين والعلمانيين⁶. وفي الواقع أن فترة العصور الوسطى - في أوربا - كانت فترة صراع بين اللاهوت والعلم لا

¹ - علي جمعة محمد واخرون، بناء المفاهيم، دراسته معرفيه ونماذج تطبيقية، المعهد العالمي للفكر

الاسلامي، ط1، القاهرة، 1418 هـ / 1998 م، ص 293

² - نفسه، ص 293

³ - نفسه، ص 293/294

⁴ - kerrod, roland the concise dictionary of science, arco publishing, inc. new york. 1985. p. 199

⁵ - أحمد لبزة، أثر العلماء في الحياة السياسية دوله بني حماد نموذجا، مذكره مقدمه لنيل درجه الماجستير في العلوم الاسلاميه تحت إشراف احمد شريفني، جامعه الجزائر1، كليه العلوم الإسلامية قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية، الموسم الجامعي 2013 / 2014، ص 30

⁶ - نفسه، ص 31

بين العلم والدين¹، ذلك أن الخصومة الموهومة بين الدين والعلم مستحيلة وإلا فلو كان بين الدين والعلم خصومة وعداء، لتحطمت قواعد العلم قبل أن يهتز ركن واحد من أركان الدين². ويرتبط العلم عادة بالقراءة أو بكثرتها لأنها تؤدي لا محالة إلى المعرفة، ولأن القراءة هي مفتاح للعلم، ذلك أنه عندما سئل فولتير عن سيقود الجنس البشري أجاب: "الذين يعرفون كيف يقرؤون"³ ويضيف مونتسكيو قائلاً: كي تعرف قليلاً عليك أن تقرأ كثيراً، أما عباس محمود العقاد فيعطي القراءة بعداً آخر في حياة الإنسان إذ يقول في هذا الصدد: "القراءة وحدها هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة، لأنها تزيد هذه الحياة عمقا، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب"⁴

العلم والعلوم عند الأوربيين :

إن أساس النهضة الأوربية الحديثة هو اعتمادها على العلم التجريبي بالدرجة الأولى، ولعل ما أحدثته الثورة الصناعية من اختراعات لهُو من قبيل تمجيد الرجل الأوربي للعلم بالدرجة الأولى، من الناحية الفكرية فقد تغيرت المفاهيم الدينية المألوفة في العصور الوسطى وتحررت العقلية الأوربية من سيطرة الدين بعدما كان قد استخدم الإقطاعيون الديانة المسيحية وتعاليم الكنيسة لنشر المفاهيم الفكرية التي تتلاءم مع مصالحهم الاقتصادية وامتيازاتهم الطبقية، كما احتكرت الكنيسة الأمور الثقافية وحاربت المفاهيم العلمية والأفكار الحرة التقدمية التي تتعارض مع مصالحهم⁵. أما في عصر النهضة الأوربية فقد قامت الحركة الإنسانية ببعث الثقافة الكلاسيكية وأصبح الفن يضاهاي أجماد الآثار الإغريقية واكتسبت العلوم نزعه تحررية وشرع الأدباء والفلاسفة يهاجمون الأفكار القديمة وليدة العلاقات الإقطاعية وطالبوا أيضاً بفصل السلطة السياسية عن الدينية⁶

¹ - أندرو ديكسون وايت، بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، تر، اسماعيل

مظهر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة جمهورية مصر العربية، د.ت، ص 18

² - نفسه، ص 15. من مقدمة مترجم إسماعيل مظهر للكتاب السابق لذكر .

³ - زيد بن محمد الرماني، كيف تقرأ كتابا قواعد وأساليب، دار الحضارة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، د، ذ، ط، ص 19

⁴ - نفسه، 19

⁵ - بن سولة نور الدين، العلم في العصور الوسطى، مجله مركز جيل البحث العلمي، مجله الكترونية متعددة

التخصصات، العدد 4 ديسمبر 2014م، ص 134

⁶ - نفسه، صص 134، 135

إن فترة -العصور الوسطى-أوما تسمى كذلك بالعصور المظلمة- كانت قد ملأت أوروبا بالأديرة،وأقنعت البسطاء أن نصيبهم في ميراث الأرض هو حرثها وزرعها لأمرء الإقطاع وأن ميراثهم الحقيقي هو ما كان يسميه الدكتور حسين فوزي بالقيراط الخامس والعشرون،"فالحياة ذاتها خطيئة فما بنا بمجد الحياة،بالعلم بالفن بالفكر بالمال بالجمال بالقوة بالسعادة بالحرية بالمساواة،مجد العالم زائل،وكل هذه الكنوز لا معنى لها إلا في العالم الآخر"¹،ذلك أن تعاضم سلطة الكنيسة أدى إلى غلبة الدين على الفكر،فأصبح اهتمام الناس على الحياة الآخرة على حساب الحياة الدنيوية واقتصر التفكير العلمي في نظر السلطة الكنسية في البحث على الأدلة المنطقية التي تدعم الاعتقاد الديني².ويرى الباحث بن سولة نور الدين أن الفترة الممتدة ما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر ميلادي قد كانت عصر تقدم سياسي واجتماعي بسبب ظهور حركة الترجمة،من العربية واليونانية،كما شهدت ظهور مجموعة من الجامعات كالسربون وغيرها مما أسهم في تقدم علم اللاهوت والفلسفة،وظهر صراع بين السلطة الدينية والمدنية،وظهر مناصرون لكل منهما،فهناك من كان ينظر إلى البابا على أنه خليفة الرب وظله على الأرض،ومنهم من كان ينادي بأن الإمبراطور يستمد قوته من الرب،ومنهم من كان ينادي بالوحدة فالجانب الروحي والديني للبابا والجانب الإداري للإمبراطور³،وبالمقابل أجمع الجميع على رد اعتبار الحضارات"الجاهلية"ولاسيما حضارة اليونان والرومان لأنها حضارات اعترفت بالإنسان والحياة وبكل ما تحت الشمس⁴

نماذج عن رواد العلم في أوروبا:

وحري بنا ونحن نتحدث عن بداية استفاقة أوروبا من هيمنة الكنيسة أن نعرض على ذكر ثلاث علماء أوريين استطاعوا بأفكارهم أن ينقلوا أوروبا إلى مرحلة جديدة من الاهتمام بالعلم والتي تمثل بالفعل إرهاصات العلم الحديث في عصر النهضة الأوروبية وهم (على سبيل المثال لا الحصر):

¹- لويس عوض، ثوره الفكر في عصر النهضة الأوروبية، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1407 هـ / 1987، ص 6

²- بن سولة نور الدين، العلم في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 135

³- نفسه، ص 137 نقلا عن فوزي خليل الخطيب "تصنيف المعارم والمعارف عبر العصور"

⁴- لويس عوض، ثوره الفكر في عصر النهضة الأوروبية، مرجع سابق، ص 6

أ- روجر بيكون¹ Roger bacon (1214-1292)

أطلق عليه اسم الفيلسوف الأوروبي العربي بسبب معرفته اللغة العربية وذلك بعد زيارته لفرنسا التي كان يدرس فيها الفلسفة وقد سعى روجر بيكون لإعطاء مشروعية للعلم كما كان يحاول جاليليو من قبل أن يشرح للكنيسة بأنه قد حان الأوان كي يستمع اللاهوتيون إلى ما يقوله العلم، قبل فوات الأوان وقد حكم عليه بالسجن لأن تعاليمه مستحدثه وأنها خارجة عن المؤلف فضلا عن خطورة أفكاره الجديدة في الفلك وشراسة هجومه على لاهوتي عصره² وكانت عنده توقعات علمية هائلة، كصناعه منطاد وطائرة ذات أجنحة، كما وضع في عام 1242م، إرشادات لصناعه ملح البارود التي أخذها الأوروبيون عن العرب والصينيين وقد بدأ يشيع استعمالها في الأسلحة في القرن الرابع عشر³.

¹ - عُرف بإسم "المدرس العجيب" Doctor Mirabilis، وُسِّمَ "بيكون الاول" (قبل فرانسيس بيكون). فيلسوف انجليزي وباحث طبيعي، شغف بالعلوم الطبيعية وكان يقوم بإجراء تجارب ومشاهدات للظواهر الطبيعية. مع انه عاش في فترة قاحلة حضارياً كان يسودها، الفكر الديني المسيحي والتفسيرات الخرافية لكنه اهتم بالرياضيات واعتبر أن التجربة وحدها هي الوسيلة لليقين في العلم وتسبب اهتمامه الكبير بالكيمياء لاثام القساوسة المسيحيين وغيرهم له بأنه ساحر. من أفكاره الفلسفية أن الحكمة والإيمان لا ينفصلان. روجر بيكون كان راهبا كما كل علماء وقته إذ الأديرة كانت هي مراكز الثقافة في اوروبا، لكن رغم ذلك كانت له رؤية علمية لدرجة أنه كان يقول ان دراسة الرياضيات تساعد على فهم الدين وهوبذلك يعتبر من رجال العصور الوسطى وليس من رجال النهضة لانه كان يعتقد أن الهدف من المعارف الانسانية هي خدمة الدين وهذا شيء طبيعي توفي سنة 1294م، والتاريخ الرسمي لبداية النهضة هو 1453. لكن مع ذلك خدم النهضة من ناحية انه دعا لجمع المعارف بملاحظة الطبيعة وكان يقول لو فكرنا في موضوع ما ووصلنا الى نتيجة لا بد أن نمتحن النتيجة بالتجربة كي نرى اذا كان هناك فرق بين قياس الذهن وقياس الايد ، اوالتفكير المجرد والتجربة العلمية، مؤلفاته كان فيها كلام يعتبر غريبا بمفاهيم العصور الوسطى فكان مثلا يتكلم عن مراكب تمشى في البحر بقوة البخار وادوات تكبير وتصغر مثل التليسكوب والميكروسكوب، وأشياء أخرى عرضته للاثام بالسحر. هذه الأفكار وغيرها كانت نتيجتها أن الكنيسة اهتمته بالهرطقة وسجن اربعة عشر سنة وحظر البابا مؤلفاته يراجع: أيوب أبو دية، علماء النهضة الأوروبية، ط1، دار الفرابي للنشر والتوزيع، بيروت ،لبنان، 2011م، ص 38 ومابعدها

² - أيوب أبو ديه، علماء النهضة الاوروبية، مرجع سابق، صص 41/42

³ - نفسه، ص 42

ب- كامبانيلا: "1639-1568"campanella¹

قام كامبانيلا بقراءة التراث اللاتيني في عصره الكلاسيكي باللاتينية، ودخل وهو في عمر الرابعة عشر دير بلاكانيكا، والتحق بسلك الرهبان وسمى نفسه الفرير "الأخ"، ودرس اللاهوت في كوزتينيزا بعد أن ترك ديره عام 1588، وهو في سن العشرين، وقرأ عندئذ أعمال الفقيه تيليسيو، وتمثل أهمية تيليسيو في أنه كان ينادي باستخلاص الحقيقة من طبيعة الأشياء وليس من العنينة وأقوال الثقات ولا بمجرد الدليل النظري، وكان هذا بدايات المنهج العلمي الحديث القائم على المشاهدة والتجربة²، وقد ظل كامبانيلا حتى هذه المرحلة داخل حضيرة الإيمان المسيحي التقليدي، يقبل مبدأ الخلق من العدم ومبدأ سقوط الإنسان وخلاصة المسيح... لكنه كان يفصل العلم عن الدين ويقول أن العلوم الطبيعية لا تدخل في نطاق العقيدة ولا شأن للكنيسة بها وعنده أن العلم يعتمد على المعرفة الحسية الاستقرائية (الملاحظة والتجربة) وليس على الاستنتاج العقلي المجرد³

منذ عام 1593 اشتهر كامبانيلا بدعوته لتنظيم عالمي للمجتمع تحت قيادة بابوية جديدة وكانت هذه بدايات حلمه بالمدينة الفاضلة للإنسانية كلها، وبإصلاح الكنيسة وبعودة البشر إلى حالة البراءة الأولى... وفي عام 1599 حوكم كامبانيلا في نابولي بتهمة الزندقة واثارة الفتنة، وتحت وطأة التعذيب اعترف كامبانيلا بالتهمة ولكي ينجوا من العقاب ادعى الجنون وانتهت المحاكمة بسجنه

¹ - راهب وفيلسوف وشاعر إيطالي، (1639 / 1568م) أثناء زيارته لنابولي سنة 1590 قام بنشر كتابه (Philosophia Sensibus Demonstrata) الذي تناول فيه عدد من النظريات الطبيعية، حيث اتهم بسببها بالهرطقة وتم سجنه، تعرف على جاليلو جاليلي في بادوا، وقام بالدفاع عنه، ثم عاد سنة 1598 إلى ديره في قلورية، واتهم حينها بمحاولة انشاء جمهورية ثيوقراطية فتم القبض عليه وحُوّل إلى نابولي تمت ادانته وتعذيبه سنة 1602 بالهرطقة. خلال سنوات سجنه الـ 27، قام كامبانيلا بكتابة عدة أعمال وراسل الكثير من العلماء المعاصرين له. و في سنة 1623 أنهى كتابه مدينة الشمس (la Civitas Solis) ، الذي تناول فيه تصور للمدينة الفاضلة مبني على المنطق وحب الله، تم اطلاق سراحه سنة 1626، وتم اعتقاله مجددا سنة 1629 في روما، وفور اطلاق سراحه لجأ إلى فرنسا التي توفي فيها سنة 1634. كامبانيلا كان مُعاديا لفكر أرسطو. لقد قام في نفس الفترة مع فرانسيس بيكون بمحاولة لاصلاح الفلسفة وجعلها تعتمد على الملاحظة والتجريب. يراجع:

لويس عوض، ثوره الفكر في عصر النهضة الأوروبية، مرجع سابق، ص 302 وما بعدها

² - لويس عوض، ثوره الفكر في عصر النهضة الأوروبية، ص 302-303

³ - نفسه، ص 303

مدى الحياة، بعد أن اقتنع المحققون بجنونه وظل سجيناً مدة 27 سنة¹ ومما تجدر الإشارة إليه، و الذي يدل دلالة قاطعة على روح التحدي الذي ميز حياة كامبانيلا هو ذلك الشعار الذي اتخذته لنفسه في قوله "الن أصمت أبداً" ويقول عن نفسه: لقد ولدت لأقاتل ثلاثة شرور الطغيان والسفسطة، والنفاق وقد كتب خلال حياته 88 كتاباً أهمها كتاب "مدينة الشمس" (سنة 1602) وهو في السجن، ولعل أبرز ما يمثله كتاب مدينة الشمس أمران :

أولهما: أنها تعد أكبر قاعدة في علم المعرفة لفلسفة العلوم التي قامت عليها الحضارة الأوروبية الحديثة وثانيهما: دعوة كامبانيلا إلى إلغاء الملكية الفردية وإلغاء نظام الأسرة²

ج - نيكولاس كوبرنيك³ "Nicolas copernicus" 1473 1543 "ولد كوبرنيك شرق بولندا ودرس في جامعته عام 1497م، حيث تعلم اليونانية والرياضيات وفلسفة أفلاطون وعلم

¹ - لويس عوض، ثوره الفكر في عصر النهضة الأوروبية، مرجع سابق، ص 304/305

² - نفسه، صص 306-307-308

³ - هو راهب وعالم رياضياتي وفيلسوف وفلكي وقانوني وطبيب وإداري ودبلوماسي وجندي بولندي كان أحد أعظم علماء عصره. يعتبر أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جزءاً يدور في فلكها في كتابه "حول دوران الأجرام السماوية". وهو مطور نظرية دوران الأرض، ويعتبر مؤسس علم الفلك الحديث. الذي ينتمي لعصر النهضة الأوروبية - 1400 إلى 1600 ميلادية - ومسؤولياته الجسم اعتبر الفلك بمثابة الهواية لكنه مع ذلك صاغ إحدى أهم النظريات في التاريخ محدثاً ثورة في علم الفلك وبالتالي في العلم المعاصر مشجعاً العلماء والباحثين على تحدي القوانين السائدة وتقديم العلم على العقائد الدوغمائية. أنفق ميكواي كوبرنيك 20 عاماً من العمل على نظرية مركزية الشمس وكان عمله الأساسي تحت عنوان "حول دوران الأجرام السماوية" وقد انتهى من هذا العمل في عام 1539 م، وظهر عمله هذا لأول مرة في عام 1543م في مدينة فيرمبورك قبل وفاته بعدة أيام. ألف بحثاً راح يعرضه على أصدقائه وزملائه، وخلاصة هذا البحث أن الشمس هي مركز هذه المجموعة التي من بينها كوكب الأرض. كما ألف كتاب عدد دورة الأجرام السماوية في سنة 1533 ألقى سلسلة من المحاضرات في روما. عرض فيها مبادئ نظريته دون أن يثير غضب الكنيسة عليه، وعندما أكمل كتابه عن دورة الأجرام السماوية، لم ينشره خوفاً من الكنيسة أيضاً ولم ير هذا الكتاب النور إلا يوم وفاة نيكولاس. في هذا الكتاب أثبت: أن الأرض تدور حول نفسها. وأن القمر يدور حول الأرض. وأن الأرض والكواكب الأخرى كلها تدور حول الشمس. ترجع شهرة كوبرنيكوس إلى تبنيه فكرة وجود الشمس وليس الأرض كجسم ثابت في مركز المجموعة الشمسية - نظرية العالم المعروفة وقتها - على أن تتحرك الأجسام الأخرى حولها. وبنظرة مركزية الشمس هذه وقف كوبرنيكوس مناهضاً لتعاليم بطليموس عن مركزية الأرض، التي ظلت وقتها طويلاً غير قابلة للطعن. وقد استند

الفلك واللاهوت ثم أكمل دراسته في جامعة بادوفا بإيطاليا حيث درس القانون والطب... يتمثل العمل الذي قام به كوبرنيك في اكتشافه لمركزية الشمس أي أن الشمس ثابتة وأن الكواكب الأخرى بما فيها الأرض هي التي تدور حول الشمس، وكان قد نشر نتائج مراقباته للأجرام السماوية في 27 بحثاً، وقد عارض بذلك في أبحاثه نموذج بطليموس الذي لم يتطابق مع ملاحظاته للحركات السماوية¹. نشر كتاب كوبرنيك عام 1534م بالرغم من أنه أنجزه قبل ذلك الزمن وأهداه إلى البابا في روما بوصفه رئيس الكنيسة الكاثوليكية، وربما فعل ذلك خوفاً من اضطهاد الكنيسة التي اعتنقت المنظومة الأرسطية للكون آنذاك ورفضت أن تكون الشمس هي مركز مجموعتنا الشمسية بأفلاكها السبعة التي كانت معروفة آنذاك². وبما أن الأرض لم تعد هي مركز الكون بعد نظرية كوبرنيك فقد بات ضرورياً تفسير حركة الأجسام الأرضية نحو مركز الأرض بنظريات أكثر حداثة المشكلة التي حلها

كوبرنيكوس في نظريته التي قدمها في هذا الكتاب إلى أن حركة الأجسام السماوية يمكن تفسيرها بطريقة أفضل وأبسط إذا تركنا فكرة وجود الأرض في مركز الكون. أما الدليل على صحة تعاليم كوبرنيكوس فقد أعطاه كبلر بعد 80 سنة. بعد أن حرر نظرية كوبرنيكوس من نقائصها، وإن ظلت جداول تحسب على أساس كتاب كوبرنيكوس، كما استعملت بعضها كأساس للتقويم الجريجورياني. ويأتي الدليل على أن كوبرنيكوس كان معروفاً جداً أثناء حياته من البحث عنده عن نصائح لتعديل التقويم الذي طال التخطيط من أجله، خمسة أشخاص لعبوا دوراً محورياً في نقل أوروبا من حالة السبات العميق إلى مرحلة النهضة، هؤلاء الأشخاص هم كوبرنيكوس، البولندي، والدنماركي براهه، والألماني كبلر، والإيطالي جاليليو والإنجليزي نيوتن. ولعل أكثر هؤلاء الأشخاص تأثيراً هو كوبرنيكوس لأنه هو صاحب الضربة الأولى التي زلزلت كيانات الجمود القائمة في عصره بل وصدعتها بغير رجعة وجعلتها غير قابلة للإصلاح. إن نتائج أطروحات كوبرنيكوس قد تخطت حدود الفلك لتؤثر في الدين والسياسة والفلسفة والثقافة الإنسانية كلها. فقد قال كوبرنيكوس أن الأرض تدور وأنها ليست مركز الكون ضارياً بذلك بنظرية بطليموس وأرسطو عرض الحائط والتي استمرت 20 قرناً والتي دعمتها الكنيسة لمدة 12 قرناً وجعلت مجرد التشكيك في هذه النظرية كفراً. إذن الأرض تتحرك والكنيسة كانت كل هذه السنين الماضية على خطأ، كوبرنيكوس نفسه كان رجل دين فهو كاهن كنيسة فراونبورج في بولندا يراجع: أيوب

أبو دية، علماء النهضة الأوروبية، مرجع سابق، ص 74 وما بعدها

¹ - أيوب أبو دية، علماء النهضة الأوروبية، مرجع سابق، ص 75

² - نفسه، ص 76

يوهان كبلر Johannes kepler "1571-1630" بقوانينه حول حركة الكواكب ثم إسحاق نيوتن Isaac newton "1634-1727" باكتشافه قانون الجاذبية¹

هذه النماذج الثلاث التي تعرضنا لها ليست وحدها من صنعت إرهابات النهضة الأوروبية، ولولا طبيعة البحث وخصوصيته لأمكننا الحديث عن مئات العلماء الأوربيين الذين كان لهم الفضل في تطور العلوم لكننا استشهدنا هؤلاء الثلاثة لبنين للقارئ والباحث في التاريخ الأوربي أن النهضة الأوروبية لم تكن وليدة الصدفة بل كان وقودها تضحيات هؤلاء العلماء وإيمانهم الكبير بقيمة وأهمية العلم، ولولا تضحيات أمثال هؤلاء العلماء لما وصلت أوروبا والعالم ككل الى هذا التطور المذهل، الذي خدم ويخدم الانسانية جمعاء.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن كثيرا من علماء النهضة الأوروبية اضطهدوا اضطهادا كبيرا من طرف محاكم التفتيش التي أنشأتها الكنيسة منذ عام 1233م لمحاربة الهرطقة (الهرطقة هي كل انحراف ولو بسيط عن العقائد المسيحية) على غرار الفيلسوف الايطالي جيور دانوبرينو "Giordano Bruno" 1548-1600 الذي كان راهبا في البداية ثم أنتقل من الدراسات اللاهوتية إلى الفلسفة وعوقب بالسجن لمدة ثمانية سنوات وبعدئذ قطعوا لسانه وأحرقوه بتهمة الكفر بسبب اعتناقه نظرية كوبرنيكوس عن دوران الأرض، كذلك العالم الشهير جاليلي الذم توبع بنفس السبب، لكنه فضل التراجع والنجاة من حكم الإعدام²

الثقافة ومدلولاتها:

تعبر الثقافة عن الخصائص التي تتميز بها أمة من الأمم، وتختلف طبيعة الثقافة وخصائصها من مجتمع الى آخر، بل من بيئة الى أخرى والثقافة ليست علوما أو معارف جاهزة يمكن للمجتمع أن يحصل عليها، وإنما تتراكم الثقافة عبر مراحل طويلة من الزمن وتنتقل بذلك من جيل الى آخر. فما هي الثقافة وما علاقتها بالعلم؟

تعتبر كلمة ثقافة من الألفاظ الأكثر شيوعا في الاستعمال لدى المفكرين والكتاب، حسب تخصصاتهم ومذاهبهم، ولذلك تختلف أوجه استعمالها خاصة في الجانب الاصطلاحي، ولذلك يصعب أن نجد لها

¹ - أيوب أبو دية، علماء النهضة الأوروبية، مرجع سابق، ص 81

² - بن سولة نور الدين، العلم في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص 137

مدلولاً واحداً. فالثقافة مصطلح له وجوه عدة، وكل تعريف لهذا المصطلح يحمل معنى له خصوصيته وتترتب عليه آثاره، فالثقافة إذا كانت لفظاً مطلقاً يراد بها الأخذ من كل علم بطرف¹ و**الثقافة لغة**: من ثقف ثقفاً وثقفاً وثقافة أي صار حذقاً، ونقول ثقف الكلام ثقفاً أي فهمه بسرعة وظفر به وأدركه² وفي لسان العرب لابن منظور رجل ثقف لقف إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به، ويقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم، وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقاً³. والثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها⁴ أما اصطلاحاً فتوجد العديد من التعريفات ومنها أنها مجموعة من العقائد والقيم والقواعد التي يقبلها أفراد المجتمع، وهي كذلك وسيلة تعمل على الجمع بين الأفراد عن طريق مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية والمعرفية وغيرها⁵. يوجد هناك أكثر من مائة وستين تعريفاً للثقافة، لعلماء ينتمون إلى تخصصات مختلفة منها الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والطب العقلي والاقتصاد والسياسة والجغرافيا⁶. ولا شك أن

¹ - عمر الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، دار النفائس، ط 13، الأردن، 1432هـ، ص 21، كثيراً ما يتم الخلط بين الثقافة والحضارة ولذلك نحن نتفق إلى حد بعيد مع المفكر والباحث سلامة موسى (رغم توجهاته الإيديولوجية) الذي يعرف الثقافة بأنها عبارة عن معارف وعلوم وآداب يتعلمها الناس ويتقنون بها (أي يتقنونها) وقد تحتويها الكتب ومع ذلك فهي خاصة بالذهن، أما الحضارة، فمادة محسوسة في آلة تخترع وبناء يقام، ونظام حكم محسوس يمارس، ودين له شعائر ومناسك، وعادات ومؤسسات، فالحضارة مادية والثقافة ذهنية. **يراجع**: سلامة موسى، **الثقافة**

والحضارة، مجلة الهلال، القاهرة، ديسمبر، 1927، ص 27

² - المنجد في اللغة والأعلام، ط 43، مرجع سابق، ص 71

³ - ابن منظور، **لسان العرب**، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ت) مج 1، ص 364، **يراجع**: مالك بن نبي، **مشكلات الحضارة (مشكلة الثقافة)**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر، دمشق، 1420هـ/2000م، ص 19

⁴ - أحمد فؤاد محمود، **أضواء على الثقافة الإسلامية**، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط 1، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م، ص 11

⁵ - الموسوعة العربية العالمية، الجزء 8، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية، 1999م، صص 39/43/44

⁶ - عبد الغني عماد، **سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات... من الحداثة إلى العولمة**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، لبنان، فيفري 2006، ص 31 **يراجع كذلك**: محمد سبيلا وبنعبد العالي، **الثقافة والطبيعة - سلسلة دفاتر فلسفية - دار توبقال للنشر**، ط 1، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص 12

أقدم التعريفات وأكثرها شيوعاً هو تعريف الأنثروبولوجي الإنجليزي إدوارد تايلور (1832-1917) والذي قدمه في كتابه الثقافة البدائية، والذي يذهب فيه إلى التعريف التالي: "الثقافة أو الحضارة بالمعنى الإثنوغرافي الواسع: هي كل مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين"¹ وقد تحدث كثير من الدارسين عن الثقافة وفرقوا بينها وبين الحضارة، فأعادها بعضهم إلى اللفظ اللاتيني "culture" وهي تعني حرث الأرض وزراعتها². وفي أواخر القرن الثالث عشر ظهرت متحدرة من Cultura اللاتينية، التي تعني العناية الموكولة للحقل وللماشية، وذلك للإشارة إلى قسمة الأرض المحروثة³. في القرن الثامن عشر بدأت فيه كلمة ثقافة تفرض نفسها في معناها المجازي، بهذا المعنى تم إدراجها في قاموس الأكاديمية الفرنسية (Dictionnaire de L'Académie Française) (نشرة 1718م) وهي في أغلب الأحيان متبوعة بمضاف يدل على موضوع الفعل كأن يقال "ثقافة الفنون" "ثقافة الآداب" "ثقافة العلوم" كما لو كان ضرورياً أن يحدد الشيء المعنى به تثقيفاً⁴. وتدرجياً تحررت كلمة ثقافة من متماتها المضافة، وتم المرور من ثقافة بوصفها فعلاً (فعل التعلم) إلى ثقافة

¹ - عبد الغني عماد، سوسولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مرجع سابق ص

² - محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2001/2000، ص 23، وفي اللغة الإنجليزية حيث نجد معنى الثقافة في الكلمة Culture معنى مجازي انتقلت إليه الكلمة من المعنى الحسي الأصلي وهو معنى الزراعة أو التربية (المادية) ولهذا تدخل كلمة Culture في تركيب كلمة الزراعة في الإنجليزية، ونظير ذلك كلمة الثقافة في العربية مجاز مأخوذ من تثقيف الرمح أي تسويته. يراجع: ت، س، إليوت، ملاحظات محو تعريف الثقافة، ترجمة شكري عياد، دار التنوير للنشر، ط1، القاهرة، 2014م، الهامش رقم، 1ص27، كذلك: نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة، المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلاله المفهوم، مرجع سابق، ص 20

³ - دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر، منير السعيداني، مرا، الطاهر لبيب، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء، بيروت، ط1، مارس، 2007، ص 17

⁴ - نفسه، ص 18/17

بوصفها حالا (حال الفكر وقد أخصبه التعليم، حالة الفرد ذي الثقافة) وأصبحت الثقافة بذلك جملة المعارف التي راكمتها الإنسانية خلال تاريخها ونقلتها منظورا إليها على أنها كلية¹ ولكي نربط مفهوم الثقافة بموضوع بحثنا يجدر بنا التساؤل عن ماهية الثقافة الإسلامية وعلاقتها بالعلم؟ فالثقافة الإسلامية هي ثقافة محورها الإسلام، مصادره وأصوله، وعلومه المتعلقة به والمنبثقة عنه، والثقافة الإسلامية يقصد بها المفاهيم الصحيحة عن الله والكون، والإنسان، والحياة... عن الله كخالق للكون، وعن الكون كمسخر للانتفاع الإنساني وعن الإنسان كمستخلف في الأرض لاستعمار الكون، ومسئول عن تصرفاته، الحسنة والسيئة، وعن الحياة كمجال للعمل الإنساني على أسس إسلامية². ولقد بدأت إرهاصات الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب منذ أول أيام الفتح، فقد أدخل الفاتحون (كتاب الله) الذي يعتبر كتاب لغة وبلاغة وفقه وقانون ونظام اجتماعي³ والمراد بالثقافة هنا معناها الخاص المضاف إلى الإسلام والذي يستخرج منه مصطلح الثقافة الإسلامية وقد ورد في تعريف الثقافة بمعناها المضاف تعريفات عدة، فعندما تضاف إلى الأمة فإنه يراد بها تراث الأمة الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة⁴، وثقافة الأمة في جوانبها المختلفة تشكل أسلوبها في الحياة، فعقيدة الأمة وتاريخها ونظرتها للحياة والأفكار والنظريات التي تدور في عقول أبنائها ومفكرها وتدون في كتبها ودراساتها تشترك جميعا في تحديد الأسلوب الذي يحكم حياة الأمة، ويضبط مسارها⁵. والثقافة الإسلامية هي كذلك مجموعة من القيم الاجتماعية والصفات الخلقية المكتسبة والمستمدة من التعاليم الإسلامية بقصد سعادة الفرد والمجتمع، وثقافة أمة يجب أن تقوم على أساس من القيم التي تسود المجتمع، وهي قيم تتصل اتصالا مباشرا بالعقيدة

¹ - ديس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص 18

² - أحمد فؤاد محمود، أضواء على الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص 13

³ - بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال ق 4هـ/10م، دار المدار

الإسلامي، ط 1 بنغازي-ليبيا- 2003م، ص 60

⁴ - محمد بن أبو بكر بن حسن الصعب، الواقع الثقافي الإسلامي للمغرب العربي أثناء دولة المرابطين-دراسة

تحليلية-رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية، اشراف، د، محمد هلال الصادق هلال، كلية

الدعوة وأصول الدين -قسم الدعوة والثقافة الإسلامية-جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (د، ت)، ص

والفكر والسلوك، وهي عماد التراث الروحي والنفسي والاجتماعي¹ وهذا النوع من الثقافة هو الذي يكون موضع بحثنا في الفصل الخامس، من هذا البحث، ولكن ما علاقة الثقافة بالعلم وبالدين؟ سبق وأن أشرنا إلى أن معظم المعاجم عرفت العلم بأنه إدراك الشيء على حقيقته، ويرتبط العلم ارتباطا وثيقا بالمعرفة، غير أن العلم يقال لإدراك الكلي والمركب، والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط... وبهذا ندرك أن العلم أخص من الثقافة لأن من معاني الثقافة المجازية والمولدة حديثا هي المشاركة البارعة في فروع شتى من المعرفة، وبلوغ الفرد والجماعة مستوى عال في كسب المعلومات واستساغة القيم الفكرية الإنسانية، وتعني أيضا أسلوب الإدراك الحضاري² وعليه فمجال العلم مجال محدود لا يتعداه ولا يتجاوزه ذلك هو مجال الماديات والمحسوسات التي تدخلها الملاحظة والتجربة، وهي وحدها التي يمكن التحكم فيها وإجراء التجارب عليها، واستخلاص النتائج منها، ففي هذه الحدود وما مثلها يعمل العلم³. و"الثقافة نظرية سلوك أكثر منها نظرية معرفة أما العلم فإنه نظرية معرفة أكثر منه نظرية سلوك"⁴ وبذلك فالعلم الصحيح يخدم الثقافة ويوجهها الوجهة الصحيحة التي تخدم الفرد والمجتمع على حد سواء.

علاقة الدين بالثقافة :

أما علاقة الثقافة بالدين، فإن الدين يمثل ثقافة كاملة لشعب أو أمة أو حضارة ليس في كونه مجموعة نصوص وتعاليم وقيم فحسب بل بما هو كيان مجسد اجتماعيا ومبلور بالممارسة في أنماط وتقاليد وأفعال، والدين يعبر عن رؤية للعالم، للطبيعة، والوجود والإنسان، وهو كذلك يقدم تصورا لبناء الاجتماع الإنساني على نحو يغطي أحيانا أدق تفاصيل هذا الاجتماع اقتصادا وسياسة وأخلاقا وأحوالا شخصية⁵ ينطلق الدين من قبول نماذج روحانية محددة لينتقل مباشرة بعدها إلى فرض نماذج أخلاقية وقيمية محددة، فيصبح بذلك شبكة متكاملة من النماذج الفكرية والسلوكية تؤطر حياة من ينضوي

¹ - أحمد فؤاد محمود، أضواء على الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص 13

² - نفسه، ص 15

³ - نفسه، ص 16

⁴ - نفسه، ص 16

⁵ - عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مرجع سابق، ص

تحت لوائه، والدين هنا يمثل ثقافة بوصفه نمطا من المعرفة بالوجود الطبيعي والاجتماعي، وهو بذلك يختلف عما سواه من أنماط المعرفة كالعلم والفلسفة والأسطورة¹، وبقدر ما يقوم الدين بتشكيل الثقافة وتعبئتها يقوم أيضا بشحنها بالرموز والمضامين والقيم، ويمثل الدين طاقة تعبوية هائلة لشحن الحقل الثقافي، وهو يمتلك نماذج لها قدرة استنهاضية فعالة في مجال الصراعات وفي توفير المناعة والصمود² ومن هنا يمكننا أن نستنتج بأن المثقف هو الإنسان الذي يكتسب نصيباً من هذه العلوم والمعارف وغيرها من المعارف الإنسانية، وتؤثر في سلوكه تأثيراً إيجابياً..

إنّ الإنسان بحاجة إلى فهم الحياة الاجتماعية والسياسية ومعرفة التاريخ وأحكام العقيدة والشريعة والقانون والأعراف... إلخ لكي يستطيع أن يتعامل مع المجتمع تعاملاً سليماً، ويرسم خطة حياته، ومواقفه من الأمور والحوادث والناس الآخرين بوضوح ونجاح.. وإذا فالتقافة معرفة وسلوك، أو هي معرفة تهذب السلوك الإنساني، والجاهل بالمعارف والعلوم لا يستطيع أن يفهم المواقف والوقائع فهماً صحيحاً (في نظرنا)

إنّ الإنسان المثقف هو الإنسان الذي يملك تحصيلاً علمياً يمكنه من فهم الأشياء ووعيها، وتحديد الموقف السليم منها مباشرة، والمثقف هو من تؤثر المعرفة والثقافة في سلوكه وشخصيته، فتظهر ثقافته في كلامه وحديثه عندما يتحدث مع الآخرين، وتظهر ثقافته في سلوكه عندما يتعامل معهم، أو يعيش في أوساطهم

وعلى اعتبار أن موضع بحثنا يمت بصلة كاملة الى نظرة العلماء المسلمين الى العلم (إذ أن العلماء الجزائريين الوافدين على المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م لهم ثقافة دينية بحتة) كيف نظر هؤلاء الى العلم وكيف عرفوه؟ وماهي في نظرهم العلوم التي تستحق الاهتمام والدراسة أهي علوم دينية أم دنيوية ؟

إن أمتنا (الأمة العربية الإسلامية) قد ارتبط وجودها بالدين الإسلامي بالذات، فقد مثل الإسلام لهذه الأمة جوهر حضارتها، ومنبع ثقافتها، ومحدد وجهتها، وموجه مسيرتها نحو غاياتها وأهدافها، وصار

¹ - عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والاشكاليات... من الحداثة الى العولمة، مرجع سابق، ص

بالنسبة للمسلم ديناً، وبالنسبة للعربي غير المسلم تراثاً وثقافة وتقاليد¹ ولأن ديننا الحنيف (الإسلام) مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم، فقد ورد في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ریح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ریح لها،" ونستنتج من هذا الحديث أن الناس أربعة أقسام، أهل الإيمان والقرآن، وهم خيار الناس، والثاني أهل الإيمان الذين لا يقرأون القرآن وهم دونهم، فهؤلاء هم السعداء، والأشقياء قسماً، أحدهما من أوتي قرآناً بلا إيمان، فهو منافق، والثاني من لا أوتي قرآناً ولا إيماناً²

لقد أولى الإسلام عناية فائقة للعلم فقد ورد في الأثر أنه "من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم"، وقد نزل الوحي في أول مرة بخمس آيات تتحدث حول قضية واحدة، وهي قضية العلم، في قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)³ وهذه أول صيحة تسمو بقدر العلم وتنوه بقيمته وتعلن الحرب على الأمية الغافلة وتجعل اللبننة الأولى في بناء كل إنسان عظيم أن يقرأ وأن يتعلم⁴.

لقد كان الإسلام بمثابة ثورة علمية حقيقية في بيئة ما ألفت روح العلم وما تعودت عليه، لدرجة أن المرحلة السابقة لنزول أول كلمات القرآن تعرف باسم الجاهلية، فصفة الجهل ترتبط بما هو قبل الإسلام ثم جاء الإسلام ليبدأ العلم ولتنار الدنيا بنور الهداية الربانية⁵ وفي دراسة إحصائية قام بها الباحث راغب السرجاني لعدد كلمات العلم بمشتقاتها في القرآن الكريم وجدها قد ذكرت 779 مرة، أي بمعدل

¹ - نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة، المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلاله المفهوم، مرجع سابق، ص

² - يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص 94

³ - سورة العلق، الآيات، 1/5

⁴ - علي جمعه محمد وآخرون، بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، مرجع سابق، ص 298

⁵ - راغب السرجاني، العلم وبناء الأمم، دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة، مؤسسة إقرأ،

القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م، ص 9

سبع مرات تقريبا في كل سورة¹. أما السنة النبوية فإحصاء هذه الكلمة فيها يكاد يكون مستحيلا فقد وردت كلمه العلم في صحيح البخاري أكثر من ثلاثمائة مرة، وهذا كتاب واحد من كتب السنة وهو في ذات الوقت ليس بأكبرها حجما إذ أن هناك من كتب السنة ما يحوي أضعاف ما في صحيح البخاري، مثل صحيح مسلم وسنن الترميذي، والنسائي وأبي داود وابن ماجه والبيهقي، ومسند الإمام أحمد بن حنبل وموطأ الإمام مالك وكذلك معجم الطبراني وصحيح ابن حبان ومستدرک الحاكم وغيرهم²

من قرأ القرآن الكريم وجد مادة (ع ل م) تشيع في سوره المكية والمدنية على سواء، بكل مشتقاتها اسما وفعلا ومصدرا، مئات المرات، ففعل تعلمون في خطاب الجمع تكرر 56 مرة، بالإضافة الى ثلاث مرات بصيغة فستعلمون، و9 مرات بصيغة تعلموا، و85 مرة بصيغة يعلمون، و7 مرات بصيغة يعلموا ونحو 47 مرة تكرر فعل علم وما يشتق منه وما يتعلق به³، ولئن دلّت هذه الأرقام على شيء فإنما تدل دلالة قطعية على أهمية وفضل ومكانة العلم في القرآن الكريم، ولنا أن نستعرض الآن بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن العلم في القرآن الكريم⁴ ومنها قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)⁵ "قال الإمام القرطبي رحمه الله: في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفضلهم؛ فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء⁶. وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: استشهد سبحانه بأولى العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيدده فقال: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ

¹ - راغب السرجاني، العلم وبناء الأمم، دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة، مرجع سابق ص 9

² - راغب السرجاني، العلم وبناء الأمم، دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة، مرجع سابق، ص 10

³ - يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 71

⁴ - علي عبد الفتاح، أعلام المبدعين من علماء العرب والمسلمين، مكتبة ابن كثير، ط1، الكويت،

1431هـ/2010م، صص، 13 / 59

⁵ - سورة آل عمران، الآية، 18

⁶ - الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج 4، طبعة دار عالم الكتب، الرياض (د-ت)، ص 40

وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ¹ وهذا يدل على فضل العلم وأهله من

وجوه :

أحدها : استشهادهم دون غيرهم من البشر .

والثاني : اقتران شهادتهم بشهادته .

والثالث : اقترانه بشهادة ملائكته .

والرابع : أن في ضمن هذا تركبتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العادل²

وقوله تعالى: "لَكِنَّ الرَّاْسِحُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ

قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ

سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا"³

وقوله تعالى على لسان ابراهيم مخاطبا والده: "يَتَأْتِيَ إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ

فَاتَّبَعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا"⁴

وقوله تعالى في سورة الحج: "وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ

فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ⁵ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"⁵ أي ليعلم الذين أوتوا

العلم النافع، والذي بواسطته يفرقون بين الحق والباطل، فيؤمنوا به أي يصدقوه، وينقادوا له، وبذلك يرشدهم الى الحق والطريق المستقيم.

¹ - سورة آل عمران، الآية، 18

² - ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن ايوب ابن القيم الجوزيه، مفتاح دار السعاده ومنشور ولاية العلم والارادة، تحقيق عبد الرحمن بن حسن القائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع المجلد الاول، (د،ت) ص 131

³ - سورة النساء، الآية، 162

⁴ سورة مريم الآية، 43

⁵ - سورة الحج، الآية 52

وقوله تعالى: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"¹ ففرق الله تعالى بين أهل العلم وأهل الجهل، فلا يستويان بغض النظر عن مضمون العلم، المهم أنه لا يستوي عالم وجاهل، كما لا يستوي الأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور، والأحياء والأموات، والإنسان والبهيمة، وأصحاب الجنة وأصحاب النار²

ومن الأحاديث النبوية التي تحث على العلم وطلبه وأهميته، فقد جاءت في السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة تبين لنا فضل العلم ومكانة العلماء وما أعده الله عز وجل لهم من جزاء في الدنيا والآخرة ومن ذلك : عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)³

ومن فضل العلم وشرفه أن طلب العلم طريق إلى الجنة فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)⁴

ومن فضل العلم وشرفه رضا الملائكة بطالب العلم ووضع أجنحتها له

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من سلك طريقاً يتغى منه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم)⁵

ومن فضل العلم وشرفه أن الفقه في الدين سبب من أسباب الحصول على الخير، عن معاوية رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)⁶. وقال ابن بطال رحمه الله: فيه دليل

¹ - سورة الزمر الآية 9

² - يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 77

³ - أخرجه ابن عدى والبيهقى وصححه الألبانى في صحيح الجامع حديث رقم (3913)

⁴ - رواه مسلم ، كتاب : الذكر والدعاء ، باب : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (2699)

⁵ - رواه أبو داود في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2683) ، وابن ماجه، كتاب

العلم، باب فضل العلماء (223) وصححه الألبانى في صحيح الجامع (6297) .

⁶ - أخرجه البخارى في صحيحه- كتاب العلم حديث رقم (71) ، وأخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الزكاة

حديث رقم(1785)

دليل على فضل العلماء على سائر الناس، وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما يثبت فضله لأنه يقود إلى خشية الله والتزام طاعته وتجنب معاصيه¹.

ومن فضل العلم وشرفه أن العلم ميراث الأنبياء، عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)². قال الإمام ابن القيم رحمه الله: هذا من أعظم المناقب لأهل العلم فإن الأنبياء خير خلق الله فورثتهم خير الخلق بعدهم ، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم³

من فضل العلماء وشرفهم وعلو منزلتهم أن النبي ﷺ بيّن أنهم ورثة الأنبياء :

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عالم والآخر عابد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) ثم قال رسول الله ﷺ (إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في بحره ليصلون على معلمي الناس الخير)⁴. وفي بيان سبب تفضيل العالم على العابد يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: أن الشيطان يضع البدعة فيبصرها العالم وينهى عنها والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه لها ولا يعرفها وهذا معناه صحيح فإن العالم يفسد على الشيطان ما يسعى فيه ويهدم ما بينه فكل ما أراد إحياء بدعة وإماتة سنة حال العالم بينه وبين ذلك فلا شيء أشد عليه من بقاء العالم بين ظهراي

¹ - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج1 ص154

² - أخرجه الترمذي في سننه - كتاب الذبائح- أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة- حديث رقم(2674) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، حديث رقم (2682)

³ - ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن ايوب ابن القيم الجوزيه، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة ،مصدر سابق، ص 73

⁴ - أخرجه الترمذي في سننه - الذبائح- أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة- حديث رقم 2678 وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي حديث رقم 2685 ، وصحيح الجامع حديث رقم 1838

الأمة ولا شيء أحب إليه من زواله من بين أظهرهم ليتمكن من إفساد الدين وإغواء الأمة وأما العابد فغاياته أن يجاهده ليسلم منه في خاصة نفسه وهيئات له¹.

وعن الامام القاضي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكنايني الشافعي قوله: واعلم أن جميع ما ذكر من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين، الأبرار المتقين، الذين قصدوا به وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنات النعيم، لامن طلبه بسوء نية، أو خبث طوية، أو لأغراض دنيوية، من جاه أو مال، أو مكاثرة في الأتباع والطلاب²

لقد حث القرآن الكريم والسنة النبوية على العلم وعلى القراءة لأن ذلك هو مفتاح فهم هذا الدين ومفتاح فهم هذه الدنيا، بل وفهم الآخرة التي سيقبل عليها الناس أجمعون³ ومعلوم أن عمارة الأرض واستخراج خيراتها والتمتع بما أودعه الله فيها من كنوز لا يتم إلا بالعلم والمعرفة، اللتان يحث عليهما الإسلام، ويكفي أن أن نعلم أن أول سورة نزلت في القرآن الكريم قوله تعالى "اقرأ" بل إن آدم أبو البشرية ما استحقق المنزلة العظيمة إلا بالعلم، الذي علّمه الله إياه يقول سبحانه وتعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين"⁴

لعب العلم دورا هاما في بناء الحضارات القديمة⁵ ولعل ما يهمنا في هذا المقام هو ذلك الدور الذي لعبه العلم في الحضارة العربية الإسلامية التي تمتّ بصلة كبيرة إلى موضوع بحثنا خاصة علاقته بالدين فإذا كان العلم قد نشأ وترعرع في أحضان الفلسفة منذ الإغريق، إلى أن استقل عنها وأصبحت له خصائص تميزه عن باقي المجالات الأخرى، فإن الدين كعقيدة نشأ في استقلال عن الفلسفة والعلم من

¹ - ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن ايوب ابن القيم الجوزيه، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة/مصدر سابق، ص 72

² - الامام القاضي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكنايني الشافعي، **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، مراجعة، محمد بن مهدي العجمي، دار البشائر الاسلامية، ط3، بيروت، لبنان، 1433هـ/2012م، ص 45

³ - راغب السرجاني، العلم وبناء الأمم، دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة، مرجع سابق، ص 8

⁴ - سورة البقرة، الآية 31

⁵ - لمزيد من التفاصيل حول دور العلم في بناء وتطور وازدهار كل من الحضارة الصينية الرومانية الفارسية الهندية المصرية واليونانية يراجع: راغب السرجاني العلم وبناء الأمم دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة، مرجع سابق ص 316 الى غاية ص 351

خلال مخاطبته الجانب الروحي والأخلاقي في الإنسان بخلاف العلم الذي يخاطب الجانب العقلي فيه وثمة فرق بين المعرفة العلمية والمعرفة الدينية، فالأولى طريقتها التجربة والعقل، والثانية طريقتها الإيمان وحقيقة الإيمان توجد فيما وراء الطبيعة، ولا يمكن للعقل والتجربة أن يصلا إليها¹

فضل العلم الديني:

أعتبر العلماء (العلماء المتخصصين في العلوم الشرعية على وجه التحديد) ورثة للأنبياء، وحماة للشرعية وحراسها المنفردين بأسرارها المستوحاة من الكتاب والسنة، فهم أعلم الناس بحباياها، وأقدرهم على تبيان مقاصدها لما فيه خير الثواب والأجر العظيمين، وهم الذين يشرفون على التعليم، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويذوبون عن أموال الناس وأعراضهم²

وقد ردت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة في فضل العلم لكن أي علم أهو العلم الديني؟ أم الدينوي؟ وهل اهتم العلماء المسلمون بالعلم الأول أم الثاني ولماذا؟؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"³

وعن معاوية أنه قال: قال ﷺ: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي"⁴ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: "فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد"⁵

ولقد حذر رسول الله ﷺ العلماء وأندرهم وبين لهم آدابا من آداب العلم والعلماء، وهي كثيرة منها ما يلي:

¹ - مراد زوين، دور ومكانة العلم والعلماء في الحضارة العربية الإسلامية، ورقة بحثية أقيمت في ندوة "الدين والعلم من منظور فلسفي" مؤسسة مؤمنون بلا حدود المنعقدة بتاريخ 01/02/2015م تنسيق، عبد النبي الحري، ص، 04

² - محمد جادور، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الانسانية، الدار البيضاء، 2011م، ص 218

³ - رواه مسلم وأبو داود وغيرهما

⁴ - متفق عليه

⁵ - رواه الشافعي والبيهقي في المدخل

عن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-قال:قال رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به،ومن لم يعمل فليقل،الله أعلم،فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم،الله أعلم قال الله تعالى لنبيه:"قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين"¹

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "من سئل عن علم علمه ثم كتبه،أجلم يوم القيامة بلجام من نار"²

روى الإمام الغزالي في الإحياء،عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه-قال:"تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية،وطلبه عبادة،ومذاكرته تسبيح،والبحث عنه جهاد،وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة،وبذله لأهله قرينة،لأنه معالم الحلال والحرام،ومنار سبل أهل الجنة،وهو الأنيس في الوحشة،والصاحب في الغربة،والمحدث في الخلوة،والدليل على السراء والضراء،والسلاح على الأعداء،والزينة عند الأخلاء،ويرفع الله به أقواما،فيجعلهم في الخير قادة،تقتفى آثارهم،ويقتدى بفعالهم،وينتهي إلى رأيهم،ترغب الملائكة في خلقتهم،وبأجنتحتها تمسحهم،ويستغفر لهم كل رطب ويابس،وحيطان البحر وهوامه،وسباع البر وأنعامه،لأن العلم حياة،القلوب من الجهل،ومصاييح الأبصار من الظلم،يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار،والدرجات العلا،في الدنيا والآخرة،والتفكير فيه يعدل الصيام،ومدارسته تعدل القيام،به توصل الأرحام،وبه يعرف الحلال من الحرام،وهو إمام العمل،والعمل تابع،يلهمه السعداء،ويجرمه الأشقياء"³

الدين عامل هام في تكوين شخصية الأمم والأفراد عبر التاريخ ذلك أن الدين يعتبر اللبنة الأساسية في تكوين الأطر والأنظمة الاجتماعية،سواء كانت بدائية أم تقليدية،والدين قدم قدم الإنسان،مما يوحي بأن حاجة الفرد إليه ملحة عبر الأزمنة التاريخية،حيث تدارك هذا المخلوق،عجزه المادي،فلجأ إلى الجانب،الروحي ليخلص عقله من كثرة التجريد،وليتمكن من خلق معادلة،موضوعية بين النفس والمادة،والمحافظة على التوازن النفسي،وعلى التفاعل مع الآخر،والذي يتطور عبر فترات زمنية إلى التواصل بين الثقافات،أي بين منظومة من القيم،والعلاقات السلوكية،بمنظومة أخرى تخضع،لظروف

¹ - سورة ص، الآية 86

² - رواه أحمد وأبو داود والترمذي

³ - عبد الحليم محمود،موقف الاسلام من الفن والعلم والفلسفة، دار الرشاد،ط2،القاهرة، 1424هـ/2003م،

ثقافية ولا يتسنى لأي باحث أن ثقافة مجتمع أو تنظيم اجتماعي دون الرجوع إلى العناصر الدينية التي تؤثر في تكوين تلك الثقافات¹

نموذج من العلوم عند المسلمين في المجال الديني (العلوم النقلية)

أطلق القدماء على هذا النوع من المعارف (العلوم النقلية) تمييزاً لها عن العلوم العقلية، التي لم يعرفها المسلمون إلا بعد حركة الترجمة² وأطلقوا عليها (علوم الأوائل)، وكونها نقلية لأنها تعتمد على النقل والرواية أكثر من اعتمادها على العقل والدراية، وعرفت كذلك باسم العلوم الدينية أو العلوم الشرعية، لأن موضوعاتها ذات صلة بالدين في بعضها يتعلق بالقرآن الكريم، كعلم التفسير وعلم القراءات، وبعضها يتعلق بالسنة النبوية كعلم الحديث، وبعضها يتعلق بالتشريع كعلم الفقه، وإن كان هناك صلة مشتركة بينها جميعاً، بحيث أثر بعضه في البعض الآخر³. ومع ارتباطها بالدين الإسلامي، فقد كانت رسالة الإسلام أصلاً تتضمن العقيدة- التي تعالج العلاقة بين الإنسان وربه- والشريعة التي تنظم العلاقة بين البشر- وتأسيس هذه العلوم (أي العلوم النقلية) لم يكن لأغراض دينية فقط، بل معرفية كذلك، وذلك للحاجة إليها في مجال التشريع⁴ وبرغم وحدة المرجعية، كانت هناك مدارس واتجاهات، لكل منها تيارات تولدت عنها، فكان هناك اتجاه نصي محافظ، وآخر ليبرالي عقلاني متطور، وثالث في منزلة بين المنزلتين... وهذا يفسر وقوع صراع مذهبي ميسس وصل أحياناً إلى حد امتشاق الحسام، لا لشيء إلا لكون الدين حين يدخل الواقع يتلون بألوانه، ولا ينبوا عن بصماته⁵. ويقول آدم ميتز (أخذت الفرق المتناحرة توظف القرآن لخدمة دعاويها)¹

¹ - بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري التجانية والعلوية والقادرية دراسة أنثروبولوجية، أطروحة مقدمة

لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، بإشراف سعيد محمد، جامعة أبو بكر بالقائد، تلمسان، كلية

الآداب، والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، 2009/2008م، ص 1

² - للتوسع أكثر في موضوع الترجمة، يراجع، محمد عباس، الترجمة في العصور الوسطى، مجلة حوليات التراث،

العدد، 05، سنة 2006م، جامعة مستغانم، الجزائر، صص 7-15

³ - محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الإزدهار (3) العلوم، الآداب، الفنون، سينا للنشر، ط1،

بيروت لبنان، 2000م، ص 67

⁴ - نفسه صص، 68/67

⁵ - نفسه، ص 68

ولنأخذ مثالا واحدا عن هذه العلوم (ألا وهو علم القراءات) لأننا في الفصول اللاحقة سنتناول بنوع من الإسهاب لباقي العلوم النقلية الأخرى كعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه... الخ
علم القراءات :

القراءات جمع مفردھا قراءة وهي مصدر لفعل قرأ على وزن فعالة ككتابة، فنقول قرأ يقرأ قرء وقراءة وقرآنا فهو قارئ وهم قارئون وقراء وقراءة². والقرء والقراءة والقرآن في اللغة، تطلق للدلالة على معان متعددة أهمها: التلاوة أي النطق بالكلمات المكتوبة، والبلاغ والإبلاغ مثل قول أحدهم قرأ عليه السلام أي أبلغه إياه³. وموضوع هذا العلم يتمثل في وضع الضوابط والمعايير لكيفية قراءة القرآن، قراءة صحيحة، نظرا لاختلاف اللهجات في نطق الألفاظ العربية باختلاف القبائل، وقد ازدادت الحاجة لتلك الضوابط بعد أن شاع اللحن في القراءة بين الموالي أي المسلمين من غير العرب⁴
يعود أصل القراءات القرآنية إلى الأحرف السبعة المنزلة من عند الله تعالى والمذكورة في أحاديث صحيحة، منها قوله ﷺ: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه"⁵، وقد اختلف

¹ -آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تع، محمد عبد الهادي ابو ريدة، ج1، دار الكتاب العربي، ط5، بيروت، لبنان، (د،ت) ص 351

² -مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ/2004م، ص77

³ - نفسه، ص77

⁴ - محمود اسماعيل، سوسولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار(3)، مرجع سابق، ص 73

⁵ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفضائل باب أنزل القرآن على سبعة أحرف رقم: 470، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، الجزائر، ج4، صص 1910/1909. لقد أنزل الله القرآن الكريم على رسوله محمد

ﷺ: على سبعة أحرف كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه أن رسول ﷺ:

قال " أقرأني جبريل القرآن على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى الى سبعة أحرف، وهذا تيسيرا على الأمة في

تلاوة كتاب ربها، وكان ﷺ: يقرأ أصحابه رضي الله عنهم بهذه الأحرف فيذهب كل واحد منهم وهو يقرأ خيرا

القراءة التي يقرأ بها صاحبه، والصحابه رضوان الله عليهم قد اختلف أخذهم عن رسول الله فمنهم من أخذ القرآن

عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذ عنه بحرفين، ومنهم من زاد ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال، فاختلف

بسبب ذلك أخذ التابعين منهم، وأخذ تابع التابعين عن التابعين وهلم جرا... يراجع: عبد الفتاح القاضي، تاريخ

العلماء اختلافا كبيرا في مسألة المراد بالأحرف السبعة¹، وحرص علماء القراءات على وضع ضوابط ومقاييس للقراءة المقبولة ليميزوا بهذه الضوابط هذا النوع من القراءة عن غيره، وأول من تكلم في ضوابط القراءة المقبولة ابن مجاهد (توفي سنة 324هـ) وقد قام الباحث نبيل بن محمد ابراهيم آل إسماعيل من خلال الموازنة بين الضوابط التي وضعها العلماء للقراءة المقبولة وجد أن كلامهم انحصر في ثلاث ضوابط وهي: ضابط السند، وضابط الرسم وضابط العربية²

هنا يمكننا أن نتساءل عن الفائدة من اختلاف القراءات وعندئذ نجد الإجابة في كتاب: طيبة النشر في القراءات العشر للشيخ ابن الجزري رحمه الله ونوجز هذه الفوائد فيما يلي:

- منها غاية الاختصار وجمال الإيجاز
- منها سهولة حفظه، وتيسير نقله
- ومنها فضل هذه الأمة في تلقي كتاب ربها هذا التلقي وإقبالها عليه هذا الإقبال، والبحث عنه لفظة لفظة، وصيغة صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده³
- من أهم العلماء المسلمين الذين انقطعوا للتعليم و التلقين القراء العشرة وهم (نافع وأبو جعفر المدنيان) و(أبو عمرو ويعقوب البصريان) و(ابن كثير المكي) و(ابن عامر الدمشقي) و(عاصم وحمزة والكسائي الكوفيون) و(خلف البغدادي)⁴. إنها إرادة الله وحكمته التي شاءت أن يكون قرآنا

القراءات العشر ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة، تق، صفوت جودة أحمد، مكتبة القاهرة، ط1، جمهورية مصر العربية، 1419هـ/1998م، ص3

¹ - للنظر في مسألة الاختلاف هذه يراجع: -جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، ج 1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1408 هـ/1988م، ص49 وما بعدها -عبد الحليم قابة، القراءات القرآنية، تاريخها ثبوتها وأحكامها، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1999م، ص104 وما بعدها

² - نبيل بن محمد ابراهيم آل إسماعيل، علم القراءات نشأته أطواره أثره في العلوم الشرعية، مكتبة التوبة، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م، ص36

³ - محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، تح، محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، ط2، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1414هـ/1994م، صص 5-6

⁴ - عبد الفتاح القاضي، تاريخ القراءات العشر ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة، مرجع سابق، ص8. والحق أن تدوين علم القراءات أفاد المسلمين فائدة لم تحظ بها أمة سواهم وذلك في أن البحث في مخارج الحروف والاهتمام بضبطها على وجوهها الصحيحة لتيسير تلاوة كلمات القرآن على افضح وجه وأبينه كان من أبلغ

واحدًا، وقراءات قرآنية متعددة، وهما حقيقتان متغايرتان لشيء واحد، وشكل العلاقة التي تربط بين القرآن والقراءات هو النموذج الذي أراده الله للتفاعل بين "المثال" و"الواقع". فلو شاء سبحانه لجعلها قراءة واحدة ولكنها حكمة بالغة¹. وخلاصة القول أن الصحابة أنفسهم تعددت قراءاتهم قبل جمع القرآن واعتماد مصحف عثمان بن عفان، لذلك كله جرى وضع ضوابط لتبيان وتحديد القراءات الصحيحة والمعتمدة²

فضل العلم العقلي (الديني) :

كلمة العلم بالمفهوم الحديث الذي تأخذ به أوروبا هو القواعد التي بنيت عليها الملاحظة والتجربة والاستقراء وهو بذلك يختص بالجانب المادي³. والدين الإسلامي حث المسلمين على عملية التدبر في الكون لاستكشاف الحقائق، وهذه العملية تخدم الإنسان في الدنيا وتزيده إيمانًا بقدرة الخالق، ولذلك جاءت الآيات القرآنية تحث على التدبر، والتعقل، والتعلم، والتذكر مثل قوله تعالى: "قُلْ

سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا"⁴ وقوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"⁵

وثمة آية قرآنية أخرى تجمع شتى العلوم الزراعية منها والجيولوجية وعلم الأجناس البشرية، وعلم الحيوان، ثم تقرر أن العلماء هم أشد خشية لله، لأنهم يعلمون بعض أسرار الله في خلقه، وكونه ومن ثم

العوامل في عناية الأمة بدقائق اللغة العربية الفصحى وأسرارها... وما يؤيد هذه الفكرة هو أن الكثيرين من أئمة القراء كأبي عمرو والكسائي كانا بارعين في علم النحو. لتفاصيل أكثر يراجع: الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، كتاب التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م. كذلك: أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي المغربي، الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها، تح، جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ/2007م

¹ - صبري الأشوح، إعجاز القراءات القرآنية - دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء - مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1419هـ/1998م، ص 05

² - محمود اسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور الازدهار (3)، مرجع سابق، ص 73

³ - عبد الحليم محمود، موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، مرجع سابق، ص 67

⁴ - سورة الأنعام الآية 11

⁵ - سورة الروم الآية 21

فهم يتميزون عن غيرهم بالخشية والإجلال لله وذلك في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ" ¹

لم يحدد القرآن الكريم العلم الديني فحسب، وإن كان هو أشرف العلوم وأهمها، ولكن أي علم يوصل إلى الخشية من الله، واستكشاف سننه وكونه، يبحث عليه الإسلام ويرغب فيه الرسول ﷺ: لأن النفس البشرية السوية، تتجاوز فيها حب المعرفة، وحب العبادة، وأن الفطرة تتطلع إلى ربها لتعبده، وتتطلع إلى الكون من حولها، تحب أن تتعرف عليه، وأدواتها الحس والعقل²، وفي ذلك يقول تعالى: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" ³ "ومن ذلك نستنتج أن القرآن الكريم هو الذي حفز المسلمين على عملية البحث والتنقيب في ملكوت السماوات والأرض لكي يوقنوا عظمة الخالق، ومن أبرز الآيات القرآنية في هذا المجال قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۖ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا" ⁴

لقد غذى الإسلام أدوات المعرفة وأطلق العنان للإنسان للبحث والتنقيب لتحقيق الخلافة في الأرض، بالعلم المؤدي إلى الخشية والإيمان والتسليم لله سبحانه وتعالى، وقد فهم المسلمون الأوائل آيات القرآن الكريم واستوعبوا إشارات، فانطلقوا يبحثون وينقبون مظهرين سنن الله في كونه، وآياته في سمائه

¹ - سورة فاطر الآيات، 27/28

² - فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2006م، صص

150-151

³ - سورة النحل الآية 78

⁴ - سورة الاسراء، الآية 12

وأرضه، وقدموا للبشرية طرحاً جديداً في العلم يتمثل في منهج البحث العلمي، مخالفين ما كان سائداً عند اليونان من الاهتمام بالعلم النظري التجريدي والفلسفي، إلى العلم التجريبي. وكانت هذه نقلة هائلة في منهج البحث هي التي أهلت البحث لآفاق الواسعة التي وصل إليها الغرب في القرون الأخيرة¹.

دعا القرآن الكريم إلى التفكير بأساليب شتى وفي مختلف المجالات، وذلك في قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ^ط مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى^ط". وهناك دعوة للعقل للتفكير في آيات الله تعالى في أرضه وسمائه، وفي الشمس والبحر والنجوم وفي الحيوانات والنباتات، والجبال والبحار والأنهار وغيرها وذلك في قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْنِ يُغِشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ^ط إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ^ط نَّاصِحِينَ³"

اهتم المسلمون الأوائل بالعلم، واعتنوا به، فبلغوا الغاية في علومهم وثقافتهم، حتى أصبحت مدنها مراكز إشعاع، ومنار هداية، ولم يعرف دين رفع قدر العلم واهتم بالتعليم، واحترم العلماء مثل الإسلام، ولما رفع الإسلام قدر العلماء وجعل العلم ميزاناً يزن به الرجال، فيرفع به أقواماً ويخفض بفقده آخرين جعل رسول الله ﷺ مداد العلماء يفوق دماء الشهداء يوم القيامة فقال: "يوزن يوم القيامة مداد العلماء ومداد الشهداء" فقدم مداد العلماء على دماء الشهداء⁴، ولم يهتم المسلمون بالعلوم العقلية فقط بل كذلك بالعلوم العقلية في تخصصات عديدة إذ يعطي الباحث سالم يفوت في كتابه مكانة العلم في الثقافة العربية⁵ أدلة تثبت وجود رابط قوي ووثيق بين العلم العربي وحاجيات المدينة الإسلامية أي أن هناك ارتباطاً بين العلم كإنتاج نظري والحياة العملية كمارسة يومية، فمثلاً (التحليل التوافقي) لم يقتصر استعماله على أهل الجبر بل إن اللغويين استعملوه أيضاً في أعمالهم المعجمية، أما

¹ - فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 151

² - سورة الروم، الآية 8

³ - سورة الرعد، الآية 3

⁴ - أحمد فؤاد محمود، أضواء على الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص 227

⁵ - يفوت، سالم، مكانة العلم في الثقافة العربية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2006م

الجبر الحسابي فقد استعمله الفقهاء في المسائل الشرعية الخاصة بالمواريث والوصايا، وما يتعلق بالشرعية وفقا للتعاليم الدينية¹

نموذج من العلوم عند المسلمين في المجال العقلي (الديني)

كان للمسلمين دور هام وفعال في كثير من هذه العلوم وسنورد فيما يلي نماذج لهؤلاء العلماء في بعض المجالات على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر:

علم الفلك:

نادى المسلمون بإبطال صناعة التنجيم، المبنية على الوهم، ولكنهم مالوا بعلم النجوم نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار والعلم، كما فعلوا بعلم الكيمياء، وكانوا كثيري العناية بعلم الفلك، يرصدون الأفلاك، ويراقبون الكواكب السيارة، ويرتحلون في طلب ذلك العلم إلى الهند وفارس² إنطلق المسلمون يبدعون في علم الفلك ليس لذات العلم كما يفعل البعض، ولكن لأنه يبحث في معرفة السنين والشهور والمواقيت ولأنه من العلوم التي توصل إلى علم التوحيد، وتعظيم الرب سبحانه وتعالى³، وازدهار علم الفلك عند المسلمين (عند ابن الهيثم⁴ مثلا) فوراءه حاجة عملية تمثلت في تحديد القبلة، وتحديد مواقيت الصلاة، وهذه المسحة العملية في العلم العربي في نظره، تتماشى وظروف الحياة وحاجيات المجتمع الإسلامي⁵

كانت البحوث الفلكية التي قام بها المسلمون تعود بالفائدة العلمية عليهم إذ كان لابد لهم -خاصة بعد الفتوحات الإسلامية- أن يحددوا اتجاههم عبر الصحراء ووسط أمواج البحار... وكان لابد لهم

¹ - مراد زوين، دور ومكانة العلم والعلماء في الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 5، نقلا عن يفوت،

سالم، مكانة العلم في الثقافة العربية، ص 12

² - عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1423هـ/2002م، ص 74

³ - فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 151

⁴ - ولد في البصرة سنة 354هـ/965م كان كثير الأسفار، توفي سنة 430هـ/1039م، كان ابن الهيثم عالما موسوعيا، وهو أول من اكتشف قواعد الضوء والبصر والنظر، واتبع في الوصول الى ذلك طريقة علمية، تعتمد على العناصر الثلاث: الاستقراء والقياس والتمثيل. يراجع: نقولا زيادة، قمم من الفكر العربي الإسلامي، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1987م، صص 81-85

⁵ - مراد زوين، دور ومكانة العلم والعلماء في الحضارة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص 5

كي يحددوا مواقع سفنهم من معارف عميقة وأدوات للقياس كالإسطرلاب الذي طوروه وعدلوه، فاستطاعوا به قياس ارتفاع الشمس والقمر، وبعض النجوم وسائر الكواكب، وكذا الأمر بالنسبة للبوصلية التي اخترعوها ونقلوها إلى الصينيين فيما بعد¹

بدأ العرب في القرون الوسطى في نقل كتب الإغريق، في كل المجالات ومنها كتب الجبر والهندسة، وحساب المثلثات². وقد كان للمسلمين السبق في البحث في الرياضيات خاصة علم الجبر، الذي اخترعه الخوارزمي³ لحل مسائل الميراث، المتضمنة في علم الفرائض، ويعتبر الخوارزمي أول علماء العلوم الرياضية عند المسلمين، و"جبر الخوارزمي" له في تاريخ العلوم الرياضية مكانة سامية، لأن كل ما ألفه العرب فيما بعد عن الجبر بل وكل كتب الجبر التي ظهرت في القرون الوسطى مبنية كلها عليه⁴. ثم أن الخوارزمي هو الذي لخص طريقة التزقيم العشري، ووضع أسسها لتنتقل بعد ذلك إلى أوروبا من جامعة قرطبة⁵

كان للعرب الفضل في وصول الأرقام العربية إلى أوروبا وكان الصفر الذي عرفه المسلمون عن طريق الهند إحداث ثورة في الرياضيات وذلك في طريقة التزقيم العشري، التي تقوم على تسعة أرقام مضافا إليها الصفر تسمح بالتعبير عن أي عدد من الأعداد⁶

جاء بعد الخوارزمي ثابت بن قرة⁷ ليتم ما بدأه الخوارزمي، وترجم إلى العربية أهم الكتب الرياضية التي وضعها إقليدس وأرشميدس وبطليموس، ووضع عدا ذلك كتباً مبتكرة ولم يعثر الباحثون إلا على قسم من كتابه في الجبر ويشتمل على فصل واحد على المعادلات التكعيبية، ومعادلات من الدرجة الثالثة، وقد استخدم في حلها علم الهندية كما فعل الخوارزمي من قبل⁸

¹ - فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 152

² - عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، مرجع سابق، ص 67

³ - يراجع ويكيبيديا الموسوعة الحرة يوم 2018/07/02م، 15.42 سا

⁴ - عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، مرجع سابق، ص 69

⁵ - فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 153

⁶ - نفسه، ص 153

⁷ - يراجع ويكيبيديا الموسوعة الحرة يوم 2018/07/02م، 16.12 سا

⁸ - عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، مرجع سابق، ص 70

ومن علماء المسلمين الذين عرفوا بالتفوق في علوم الجبر والحساب، والهندسة جابر بن أفلح¹، الذي ولد في اشبيلية وتوفي في قرطبة، في النصف الثاني من القرن الحادي عشر ميلادي وقد ألف الكثير في علم الفلك، وحساب المثلثات وكان يعرف أن جيوب زوايا المثلث مناسبة لجيوب الأضلاع المقابلة لها، وقد ترجم جيرار Gerard الاسباني كتابته إلى اللغة اللاتينية ونشرها في نورنبورغ عام 1532م².

وهنا حق لنا أن نتساءل عن تأثير الأوربيين بالعرب المسلمين في مجال العلوم العقلية إذ أن هناك دراسات كثيرة تشير الى أن عملية التأثير والتأثر كانت بسبب الحروب الصليبية، ذلك أن العرب بسبب اهتمامهم بالعلم قد قاموا بعملية الترجمة في مجالات متعددة خاصة وأن ترجمة العلوم كانت بإيعاز من بعض الخلفاء الحكام (فأثبت المؤرخون أخبارا شتى برهنت عن مكارم الخلفاء وعظفهم على العلماء، من أمثلة ذلك الخليفة المأمون الذي كان يتبرع على طبيبه جبريل بن يحنشوع (ت: 828م) برواتب نقدية سخية ألوفاً من الدينار. أما الخليفة المتوكل فلم يكتف بما تبرع به من الأموال الطائلة على طبيبه حنين بن إسحاق (ت: 876م) بل خصص له قصراً فخماً تجاه بلاطه زينه برياش فاخر، وكان الخليفة يزن لحنين من الذهب وزن ما يترجمه من الكتب مثلاً بمثل³.

بعيد انطلاق حروب الفرنجة نهاية القرن الحادي عشر ميلادي، بدأت ترجمة الأوربيين لمؤلفات الفلاسفة العرب، والتراث اليوناني الذي حفظه العرب باللغة العربية وزادوا عليه، فقد بدأت في القرن الثاني عشر ميلادي ترجمة موسوعة ابن سينا الفلسفية كما ترجموا أعمال الفارابي والكندي وغيرهما⁴ أخذ العرب عن الصينيين صناعة الورق (ق8م) ونقلوها إلى صقلية حيث صدرت هناك أول وثيقة على ورق أبيض عام 1090م، وبنيت في بولونيا وإيطاليا مطاحن للورق في نهاية القرن الثالث عشر ثم قامت مطاحن الورق في ألمانيا عام 1389م، وهكذا تم التخلص من عناء الكتابة على ورق البردي

¹ - يراجع ويكيبيديا الموسوعة الحرة يوم 2018/07/02م، 16.16 سا

² - عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، مرجع سابق، ص 72

³ - فيليب دي طيرازي، عصر العرب الذهبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة (د. ت)، صص

16/15

⁴ - عبد الرحمان بدوي، فلسفة العصور الوسطى، ط3، دار القلم، بيروت، 1979، ص 88

الذي كان يستورد من مصر¹. تعلم العرب كذلك تقانة (تقنية) البارود عن الصينيين حوالي (ق12م) واستخدموه في الحرب فيما بعد وبخاصة في اسبانيا منذ مطلع القرن الرابع عشر² وقد أسهم ذلك في توسع الأوربيين في صناعة الأسلحة وتطوير السفن المسلحة بالمدافع³. شكل انتقال التكنولوجيا من الشرق إلى الغرب عاملا مهما في تقدم الغرب، إذ تعلموا من الشرق بناء الطواحين الهوائية التي شاهدوها في سوريا كما أخذوا الدولاب المائي، المحسن عن السوريين أيضا، واقتبس الغرب من الشرق بعض المزروعات كالأرز والحنكة السوداء وقصب السكر⁴.

بفعل هذا الزخم من الترجمات والتفاعل الحضاري بين الشرق والغرب كانت قد تشكلت مدارس في القرن الثاني عشر بأوروبا، مثل مدرسة شارتر *charters* في فرنسا التي دعت إلى إصلاحات في التعليم العالي، وركزت على تطوير علوم الحساب والموسيقى والهندسة والفلك⁵

تطورت أوروبا بعد حركة النهضة والثورة الصناعية تطورا كبيرا في شتى المجالات العلمية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى العسكرية، وحق أن حضارة الغرب قد أقامت ناطحات سحاب وأجرت مراكب الفضاء بين الكواكب ووضعت قدم الإنسان على وجه القمر، وغمرت الأسواق بألوان الرفه والترف، ولكنها لم تدخل على مشاعر الناس وأحاسيسهم إلا القلق والحيرة ولم تسكب في قلوبهم إلا الأثرة والأنانية، ولم تثر في تفكيرهم إلا دوافع العدوان والتسلط⁶ وأمام هذا الوضع الوضع فإن العلم الذي وصل بأوروبا إلى قمة التطور والازدهار لم يحل المشاكل التي تؤرق الإنسان في عصرنا الحالي ولعل أخطرها ظاهرة التسليح التي تهدد بقاء الإنسانية⁷. حقيقة أن التطور العلمي قفز

¹ - زيفريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ط8، دار الآفاق الجديدة، 1986، صص 44-47

² - زيفريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق، ص 51/50

³ - أيوب أبو ديه، علماء النهضة الأوروبية، مرجع سابق، ص 24

⁴ - نفسه، صص 25/24

⁵ - أيوب أبو ديه، علماء النهضة الأوروبية، مرجع سابق، ص 32

⁶ - فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 143، نقلا عن عبد الكريم الخطيب، الله ذاتا وموضوعا ص 50

⁷ - عالم اليوم يملك ما يوازي مليون قنبلة نووية من قنبلة هيروشيما أي ما يعادل خمسة أطنان من المتفجرات التقليدية على رأس كل مواطن على كوكب الأرض. ضف الى ذلك ماتوصل اليه رواد الصناعة الحربية من قنابل

بالإنسانية إلى أعلى المراتب لكن ذلك لم يقابله تطور أخلاقي، ويذهب في هذا المنحى الباحث عبد الكريم الخطيب بقوله "من التناقض بين والمؤلم أن نرى هذا الرقي الباهر الذي حصل في العلوم مما لا مثيل له في التاريخ وأن هذه الفتوحات المتوالية التي تمت للإنسانية في الطبيعة بينما رفع عقولنا الى الدرجات العالية، قد هبط بإنسانيتنا الى أخس الدرجات¹" وبالفعل أشبع جانب في الإنسان وأهملت جوانب أخرى كثيرة وهذا شأن الإنسان حين لا يكون له مرجع صحيح يتمثل في دين حق يرجع إليه والدين الحق الذي نقصده هو الإسلام² الذي يزوج بالفعل بين المادة والروح، والذي يحمل في تعاليمه المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ما يصلح الإنسان إلى أن تقوم الساعة مصداقا لقوله تعالى: "قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْنَا نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۚ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيرَٰثَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا تَكْلِفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۚ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ ۖ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"³ وخلاصة هذه الآيات الثلاث أنها تحدث عن أسس ثلاثة

الأساس الأول: ما يتعلق بعقيدة الفرد فحرم عليه الشرك بالله وهذا أول أساس يبني عليه صلاح العالم وسعادة البشرية

الأساس الثاني: ما يتصل بسلوك الأفراد من الناحية الأخلاقية سواء ما يتعلق بذوي قرابته أو المجتمع الذي يعيش فيه

هيدروجينية ونيوتروجينية وصواريخ عابرة للقارات... الخ لتفاصيل أكثر يراجع: روجيه غارودي، ما بعد به

الإسلام، تر، قصي أتاسي، مراجعة محمد الجاوي، ص 15

¹ - فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 143، نقلا عن عبد الكريم الخطيب، الله ذاتا وموضوعا، ص 51

² - فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 143

³ - سورة الأنعام الآيات، 151/152/153

الأساس الثالث: ما يتصل بالمعاملات بين الأفراد في الدولة الواحدة أو بين الدول بعضها البعض الآخر من ناحية الوفاء بالعهود وأدائها¹

ومن خلال ما سبق ذكره يمكننا أن نخلص الى ما يلي:

يشاع على ألسنة كثير من الناس لفظ العلم والتقدم العلمي، ويحاول بعض المنحرفين استغلال هذه الالفاظ لينتهي إليها صورة التشكيك في وظيفه الدين واهميته في الحياه وحاجة الناس اليه بقولهم ان الدين الذي لعب دورا بارزا في القديم لم تبق له هذه المكانه في العصر الحاضر ويمكن الاستغناء عنه مع تقدم العلم والمدنية والحضارة، وأن العلم حل بل يجب أن يحل محل الدين لما يقدمه للبشرية من خدمات ورفاهية ومعارف ومكتشفات أصبحت في خدمة البشرية وصار الناس يستخدمونها في حياتهم واعمالهم². إن مثل هذه الادعاءات قد فندها الواقع ذلك أن العلم التجريبي قد أحنق في حل مشكلات الانسان يقول روجيه غارودي: "إن الاعتقاد بقدره العلوم الموضوعية والتقنيات المتقدمة على حل مشكلاتنا والقول بأن مفتاح جميع القضايا الانسانية في يد هذه العلوم والتقنيات وهم خرافي فتاك"³ ويرد ف قائلا " لقد أمضى تيمور لنك بعد الاستيلاء على أصفهان عدة أيام في ذبح سبعمائة ألف من البشر، أما في هيروشيما فقد وصل الانسان الى النتيجة نفسها خلال ثوان معدودة وهذا تقدم علمي لامراء فيه، وعالم اليوم يملك ما يوازي مليون قنبلة من قنبلة هيروشيما أي ما يعادل خمسه اطنان من المتفجرات التقليدية على رأس كل مواطن على هذا الكوكب، هذا هو العلم التجريبي الذي يتخذ صنما من دون الله، نعم إنه يحل مشكلة ولكنه يخلق صعوبات لاحصر لها مع غياب الموجه لهذا العلم وتلك التقنية⁴

وهنا يمكننا القول بضرورة أو بالأحرى حتمية التوفيق بين العلوم العقلية والنقلية، وهي الوسطية التي يدعوا إليها الإسلام لذلك إهتم العلماء المسلمون منذ القدم بالعلوم النقلية، ولم يطوروا العلوم العقلية عكس العالم الأوربي الذي طوّر العلوم العقلية وأهمل تماما العلوم النقلية، وهو ما أحدث فجوة بين

¹ - فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 158 ولشرح هذه الأسس الثلاث

بالتفصيل وبالأدلة العقلية والنقلية يراجع نفسه: ص 159 الى ص 169

² - أحمد فؤاد محمود، أضواء على الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص 223

³ - فرج الله عبد الباري، العقيدة الدينية نشأتها وتطورها، مرجع سابق، ص 140

⁴ - فرج الله عبد الباري، المرجع السابق، ص 141

العالمين من جهة وأدى الى تقدم وتطور العالم الأوربي (تطورا مخيفا رغم ايجابيته الا انه أفرغ الإنسان من انسانيته) وتحلف العالم الاسلامي الذي أدى به ذلك الى الاهتمام بالآخرة واهمال الدنيا (رغم أن الله عز وجل يقول: "وَأَبْتَعِ فِي مَآءِ آتِنَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ^ط وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا^ط وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ^ط وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"¹)

هذه إشكالية من بين الاشكاليات التي سنحاول الاجابة عنها في بحثنا هذا على اعتبار أن العلماء الذين سنتحدث عنهم هم علماء دين² بالدرجة الأولى.

¹ - سورة القصص، الآية 77

² - رجال الدين من أخطر المفاهيم الغربية، وهو مفهوم أدخله الغرب على ثقافة المسلمين، وهذا المفهوم أو الاصطلاح أطلقه الغرب على القساوسة والرهبان والأساقفة، ووصفا لواقعهم عند قيام الثورة الفرنسية سنة 1789م، التي كانت تطالب بالإصلاح والتحرر من سيطرة الكنيسة ورجالها، وقد رفع رجال الفكر والفلاسفة الأوربيين آنذاك شعار "اعط ما لقيصر لقيصر، ومالله لله" وعندئذ انفصلت الكنيسة عن الحياة السياسية للمجتمعات الأوربية (بداية ظهور الفكر العلماني) وبذلك تحول الدين في الغرب الى اختيار شخصي ليس فيه فرض لامن الكنيسة ولا من الدولة ولا حتى من المجتمع. لتفاصيل أكثر حول هذه الجزئية من الموضوع يراجع: عمرو اسماعيل، مفهوم الدين في القرن الواحد والعشرون، مجلة الحوار المتمدن، عدد، 2004م، صص 2-5

الفصل الأول:الأوضاع السياسية في المغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

أولاً: المغرب الأوسط: "الدولة الزيانية:"

التاريخ السياسي للمغرب الأوسط "الدولة الزيانية"(633هـ-962هـ/1235م-1554م):

- 1- مراحل تطور الدولة الزيانية
- 2- التهديدات الاسبانية ونتائجها
- 3- الاستنجاد بالإخوة بربروس وظهور الدولة الجزائرية الحديثة

ثانياً:الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م:

- 1- من المرينيين الى السعديين
- 2- قيام الدولة السعدية
- 3- أهم خصائص دولة المنصور الذهبي

يعتبر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، قرن تحولات عميقة، ليس على مستوى العلاقات الدولية فقط، بل على مستوى تركيب وتكوين الدول في حد ذاتها، ومن هذا المنطلق فإن خصوصيات ومميزات القرن الـ10هـ /16م كانت توجه الأحداث ليس في المغربين الأوسط والأقصى فقط بل في حوض البحر الأبيض المتوسط ككل، خاصة في جزئه الغربي بصفته الشمالية والجنوبية فتهاوت بذلك الأسر التي كانت تحكم وتتصارع في الجزائر والمغرب (الأسرة الزيانية في المغرب الأوسط والأسرتان المرينية والوطاسية في المغرب الأقصى)، وقامت على أنقاضهما كل من الأسرة السعدية في المغرب الأقصى، بينما ثبت الأتراك دعائم حكمهم في الجزائر¹. وفي مقابل ذلك استفحل الغزو الأيبيري (الإسباني والبرتغالي) في سواحل البلدين، ونجح بذلك في السيطرة على المدن والموانئ لسنوات طوال قبل قيام الجزائريين بقيادة العثمانيين، والمغاربة بقيادة الأشراف السعديين برد ذلك الغزو وتوقيفه، وعندئذ يمكن القول بأن القرن العاشر /السادس عشر ميلادي كان قرن حروب شرسة وصراعات دامية انعكست سلبا على الحياة العامة للمجتمعات المغاربية، والحياة الفكرية بصفة خاصة بسبب انعدم الاستقرار واضطراب حالة الأمن². ترى ماهي الوضعية السياسية للمغرب الأوسط والمغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م ؟

أولا: المغرب الأوسط: "الدولة الزيانية:"

إن المتتبع لتاريخ المغرب الأوسط، لا يمكنه فهم تلك التحولات والتطورات التي حدثت في هذه الرقعة الجغرافية أثناء القرن 10هـ / 16م إلا باستحضار تلك الترسبات السياسية التي وقعت لهذه المنطقة منذ نهاية دولة الموحدين³، وعلى رأي العلامة ابن خلدون فأعمار الدول كأعمار البشر، لها بداية

¹- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، اشراف، د، عبد المجيد قدور، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، كلية الآداب والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2013/2014م، صص 16-17

²- نفسه، ص 17

³- يعود أصل نشأة هذه الدولة الى الإمام المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الذي كان يعلم الناس إيمانهم فمن صار من حزبه سمي موحدًا. تأسست دولة الموحدين عام (524هـ/1129م) في شكل دعوة دينية وفكرية روحية، تطورت بعدها الى كيان سياسي على يد خليفته عبد المؤمن بن علي، الذي بسط نفوذ دولته على كامل المغرب الإسلامي، وحتى الأندلس، وأصبحت مراكش عاصمة لهذه الدولة. وقد سقطت هذه الدولة

ونهاية، فكانت بداية نهايتها عقب معركة حصن العقاب¹، وقد برزت على أنقاض هذه الدولة دول مستقلة وهي: الدولة الحفصية وعاصمتها تونس، التي شملت كل من تونس وطرابلس الغرب والشرق الجزائري منذ سنة (625هـ/1227م) والدولة الزيانية التي كان ظهورها بالمغرب الأوسط منذ سنة (633هـ/1235م)، وكانت تلمسان عاصمة لها، والدولة المرينية التي بسطت نفوذها على المغرب الأقصى منذ سنة (668هـ/1269م) واتخذت من فاس عاصمة لها²، والسمة البارزة للعلاقات بين هذه الكيانات الثلاث هي الصراع والتطاحن خاصة بين الدولتين المرينية والزيانية.

إن المتتبع لمراحل ومميزات العلاقات بين الجزائر (المغرب الأوسط) والمغرب الأقصى في العصر الحديث يجدها تتميز بالتعقيد والتشابك، إذ مرّت علاقات بني عبد الوادي وبني مرين بمراحل تعاقب فيها الهدوء والتوتر، والسلم والحرب، وكانت في أغلب الأوقات متأزمة وعدائية³، وقد يصل هذا التوتر إلى الذروة⁴ ومن ذلك (محاصرة السلطان أبو الحسن المريني تلمسان مدة سنتين، حتى سقطت في يده سنة

عام (688هـ/1269م) بعد معركة العقاب الشهيرة بالأندلس. لتفاصيل أكثر حول دولة الموحدين نشأة وتطورا وسقوطا يراجع: يوسف علي بدري، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصاله، الجزائر 1431هـ/2010م ص 162 وما بعدها - عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 101 وما بعدها

¹ - وقعت هذه المعركة الهائلة والفاصلة يوم الاثنين 15 صفر سنة 609هـ/17 يوليو سنة 1212م، لتفاصيل أكثر

حول هذه المعركة يراجع: يوسف علي بدري عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى

السقوط، مرجع سابق، صص 192، 191، 190. كذلك: عبد الحميد حاجيات، أبوحمو موسى الزياني، حياته

وآثاره ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص 11

² - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الاسلامي، إشراف، بلعربي خالد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، 2015/2016م، صص 3، 4

³ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م،

مرجع سابق ص، 17

⁴ - جلول المكّي، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب، 1234 - 1847 م، وأثرها على العلاقات بين

البلدين، رسالة ماجستير إشراف د. مولاي بالحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993، ص 58

1337م، وظلت تلمسان تحت حكم سلطان بني مرين مدة خمس وعشرين سنة، ولم ينته احتلالهم لها إلا سنة 1359م¹، وعلى اعتبار أن الدولة المرينية التي قامت في المغرب الأقصى سنة 646هـ / 1248م، كانت تضع في حسابها أنها الوريث الشرعي لدولة الموحدين، فإنها ما لبثت تسعى لتحقيق هذا الحلم مهما كلفها الأمر، فاحتلت تلمسان مرارا وفي فترات متفاوتة، بل كان حلم المرينيين أبعد من ذلك وهو توحيد المغرب الكبير تحت سلطتهم وذلك بالقضاء على الدولتين الحفصيتين (في تونس و شرق الجزائر) وكذا الدولة الزيانية (المغرب الأوسط) وهكذا استمر الصراع والتطاحن إلى أن ضعفت الدولة المرينية بسبب كثرة المنشقين في الداخل، ناهيك عن استفحال الخطر الإسباني والبرتغالي في السواحل الشمالية والغربية للمغرب الأقصى². ولم تكن علاقة الزيانيين بالحفصيين أحسن حال هي الأخرى إذ دب الخلاف والتطاحن كذلك بين الدولتين منذ عهد يغمراسن والأمير الحفصي أبو زكريا بن أبي حفص هذا الأخير الذي استطاع أن يلحق أجزاء كبيرة من المغرب الأوسط الى الدولة الحفصية في مراحل متعددة، ولم تستطع الدولة الزيانية ما يقرب من ستين سنة أن تتخلص من الالسيطرة الحفصية التي ما فتئت تلعب دورا رئيسيا في تاريخ بني زيان³، كانت الجزائر في عهد بني عبد الواد هي الأضعف حلقة في هذا التشرذم السياسي، لأنه لم يملك الأساس التاريخي أو الاقتصادي الذي كان للمغرب الأدنى الحفصي. وليس له الأساس العددي الذي كان للمغرب الأقصى المريني⁴، بالإضافة إلى طابعه الريفي والبدوي⁵.

وبعيدا عن حلبة الصراع هاته سيكون تركيزنا في هذا الفصل على التطورات السياسية التي عرفها كل من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى.

¹ - ابن الأحرر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق، هاني سلامة، ط1، المكتبة الثقافية الدينية للنشر والتوزيع ببور سعيد، 2001م، ص 30

² - عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، ج 1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1427هـ، 2006م، صص 72 - 75

³ - عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، صص 433-434

⁴ - محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2، م.د.ش، بيروت 1979، ص6.

⁵ - محمد خير فارس: المرجع السابق، ص5.

التاريخ السياسي للمغرب الأوسط¹"الدولة الزيانية"(633هـ-962هـ/1235م-1554م):

تنسب هذه الدولة الى زيان بن ثابت بن محمد من بني طاع الله، وبنو طاع الله من بطون بني القاسم من عبد الواد²، وقد كان بنو عبد الواد تحت طاعة الموحدين، وعند بداية تلاشي وضعف حكم الموحدين قام جابر بن يوسف³ بتأسيس دولة بني عبد الواد، غير أن المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية في نظر كثير من المؤرخين هو يغمراسن بن زيان⁴ فيقول عنه ابن خلدون "كان يغمراسن بن زيان بن

¹ - أول من استعمل لفظ المغرب الأوسط الجغرافي الأندلسي أبو عبيد البكري(ت:487هـ/1094م) في كتابه المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، حيث قال عن مدينة تلمسان أنها قاعدة المغرب الأوسط.يراجع:أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب،وهو جزء من كتاب المسالك والممالك،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،جمهورية مصر العربية(د.ت) ص76 ،كذلك:كرطالي أمين،الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال ق (9-10هـ/15-16م) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية،اشرف،محمد بوركية،كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية-قسم الحضارة الاسلامية-جامعة أحمد بن بلة-وهران-2013/2014م،ص3 الى غاية ص6

² - بنو عبد الواد فرع من فروع الطبقة الثانية من زناتة، ويعود أصل تسميتهم الى جددهم عابد الوادي، وقد تمكنوا من تأسيس دولة دام حكمها قرابة ثلاثة قرون ومن أبرز رجالهم القائد القوي : يغمراسن بن زيان الذي تمت مبايعته أميراً على تلمسان سنة 633هـ/ وقد عرفت هذه الدولة بدولة بني عبد الواد إلى أن غير اسمها السلطان أبو حمو الثاني باسم الدولة الزيانية نسبة إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن لتفاصيل أكثر حول بني عبد الواد،يراجع:التنسي،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان،تحقيق محمد بوعبياد،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985،صص 109،110 كذلك:عثمان سعدي،الجزائر في التاريخ،طبعة 2012،شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،ص:332/333كذلك:صالح فركوس،تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال- المراحل الكبرى،دار العلوم للنشر والتوزيع،ص96

³ - هو جابر بن يوسف بن محمد بن زيان من بني عبد الواد،مؤسس الدولة العبد الوادية في تلمسان،يراجع:الزركلي

الأعلام،ج2،دار ابن حزم،1415هـ/1995م،ص105

⁴ - لتفاصيل أكثر حول هذه الشخصية يراجع:عثمان سعدي،الجزائر في التاريخ،المرجع السابق،ص333

ثابت بن محمد من أشد هذا الحي بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة وجلالة، وأعرفهم بمصالح قبيلته، وأقواهم كاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة¹.
لم تكن الدولة الزيانية ثابتة ومستقرة، بل كانت في صراع دائم بين الحفصيين والمرينيين وقد دخلت الدولة في بلاء عظيم من غلاء الأسعار وموت الرجال وذلك أيام الحصار المريني لها سنة 699هـ الى 706هـ/1299م الى 1307م، بل اختفت معالمها نهائيا عندما هاجمها أبو الحسن المريني سنة 737هـ/1337م². وتعود الحياة إلى هذه الدولة من جديد على يد أبي موسى الثاني³ الذي استطاع أن يغتنم فرصة الاضطرابات التي عرفتها الدولة المرينية في عهد سلطانها أبي عنان، فعاد من منفاه الى تلمسان بمساعدة بني هلال، الذين زودوه بقوة عسكرية مكنته من الدخول إلى تلمسان بعد القضاء على الحامية المرينية، وبذلك أعاد مجد الدولة مرة أخرى، وفي ذلك يقول يحيى بن خلدون "كان استقرار مولانا الخليفة أمير المسلمين أبي حمو بدار الملك لسلفه الكريم(760هـ) فافتعد أريكة الملك وامتنى سرير الخلافة وأمر لحينه بالنداء على بني مرين بالخروج غير منظرين عن الحضرة، فلم يمس بها منهم أحد، ولا أصبح لدعوتهم فيها ذكر، وضبط أمر قاعدة ملكه، ورتب مصالحها"⁴

¹ - ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الحضرمي، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، (7 أجزاء) (د،ت) ص 1846

² - شوهنדה محمد حامد محمد الخطيب، مصادر التاريخ المحلي لبلاد المغرب خلال القرنين 9/8هـ/15/15م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، اشرف، طاهر راغب حسين، وجمال فوزي محمد، كلية دار العلوم، قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، جامعة القاهرة، 1437هـ/2016م، ص 13
³ - هو موسى الثاني بن محمد بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، ولد في غرناطة بالأندلس، إذ كان أبوه مبعدا اليها آنذاك، انتقل الى تلمسان سنة 737هـ، فشهد بذلك زوال دولة آبائه الأولى في عهد أبي تاشفين، وخرج مع ابيه وأبناء قبيلته الى فاس، وعاد مع ابيه الى تلمسان سنة 750هـ، واستولى بنو مرين من جديد على تلمسان سنة 753هـ، فخرج أبو موسى الى تونس وأعانه، لمزيد من المعلومات عن هذه الشخصية السياسية والعسكرية والأدبية يراجع : عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، مرجع سابق، الصفحات من 69 إلى 154

⁴ - يحيى بن خلدون، أبو زكريا بن محمد، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد وما حازه أمير المسلمين مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد، تح، بوزياني الدراجي، دار الأمل للنشر، 2007، ص 95، 96

1-مراحل تطور الدولة الزيانية:

لم تكن الرقعة الجغرافية للدولة الزيانية ثابتة، فقد مرت حدودها بحالات مد وجزر طول حياتها، حيث لم تكن ثابتة ومستقرة بل كانت تتقلص حيناً وتتسع أحياناً حسب استعداد بني زيان وقوتهم العسكرية والاقتصادية، واستقرارهم وأمنهم ووحدة أمرائهم وانسجام قبائلهم وولائها الصادق¹. وتمتد دولة بني عبد الواد الزيانية (المغرب الأوسط) جغرافياً من وادي ملوية وجبال تازا غرباً، إلى بجاية شرقاً، ومن بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) شمالاً إلى الصحراء الكبرى التي تفصله عن السودان الغربي جنوباً² وقد مرت الدولة الزيانية بأربع مراحل هامة³ ولعل ما يهمنا ويرتبط بموضوع بحثنا هو

¹ - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 43

² - هذه هي حدود دولة بني عبد الواد الزيانية في أقصى امتداد لها، واستقينا ذلك من عدة مصادر ومراجع، إذ أن حدود هذه الدولة كما أشرنا سابقاً كانت تتمدد وتتقلص حسب حالة القوة والضعف التي عرفتها طيلة حياتها السياسية، وفي فترات زمنية كانت حدود هذه الدولة لا تتجاوز تلمسان. لمزيد من التفاصيل يراجع: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ص 256 وما بعدها. كذلك: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، تح، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، 1962، ص 54 وما بعدها. كذلك: عبد الحليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية (1236-1554م) بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور، بوبه مجاني، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003/2004م، صص 11-12، كذلك:

Dhina Atallah , le royaume abdelouadid a l époque d Abou Hammou moussa 1^{er} D abou Tachfine 1^{er} O,P,U , Alger sans date, p 17

³ - تجمع الدراسات الأكاديمية على أن الدولة الزيانية مرت بأربع مراحل متباينة، وهي أولاً: مرحلة النشأة وتوطيد الملك (633هـ-737هـ/1236م-1363م). ثانياً: مرحلة انقطاع المؤقت (737هـ-760هـ/1337م-1358م). ثالثاً: مرحلة الانبعاث والعظمة (760هـ-791هـ/1358م-1389م). رابعاً: مرحلة الانحلال والانهيار (791هـ-962هـ/1389م-1554م). للحصول على تفاصيل ومعلومات أكثر عن المراحل الأربع للدولة الزيانية، يراجع: حسين تواتي، حكامه التسيير في الدولة الزيانية في المجالين السياسي والاقتصادي من خلال أنموذجي يغمراسن بن زيان وأبي موسى الثاني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور مبخوت بودواية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية-قسم التاريخ-جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-2017/2018، صص 29-الى غاية- 35. بينما يرى الباحث محمد سعداني أن الدولة

المرحلة الأخيرة من مراحل حياة الدولة الزيانية باعتباره يمس فترة النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وقد تميزت هذه المرحلة (رغم طول فترتها الزمنية) بالتبعية للمرينيين تارة وللحفصيين تارة أخرى، وذلك نتيجة التنافس والتناحر على السلطة، فكان من السلاطين من حكم أربعين يوماً فقط، ومنهم من لم يتعد حكمه الشهرين مثل ابن خولة، والسعيد، وعبد الواحد أبناء السلطان أبي حمو الثاني، وأبي عبد الله بن الحمراء¹ وقد اتسمت هذه المرحلة بذهاب هيبة السلاطين الزيانيين، وسادت الفوضى في كل النواحي السياسية والاجتماعية، وتمرد الولاة ورؤساء القبائل وعمال الجهات وقادة الجيش، فكان ذلك سبباً لكثرة المشاكل واضطراب الأحوال، مما أطمع الأسبان والبرتغال في الإغارة على منطقة المغرب الإسلامي واحتلال مدنه²

2- التهديدات الإسبانية ونتائجها:

تولى عرش بني زيان بعد السلطان المتوكل ولي عهد ابنه أبو تاشفين الثالث لكن حكمه لم يدم سوى أربعين يوماً، وفي رواية أخرى أربعة أشهر وخلعه أخوه أبو عبد الله محمد الرابع المعروف بالثابتي، الذي استمر حكمه حوالي سبع وثلاثون سنة، فتمكن من ضبط شؤون دولته³، ورغم تحكمه في الأوضاع الداخلية، إلا أن الأوضاع الخارجية (خاصة سقوط غرناطة عام 1492م) أصبحت تنذر بذلك الخطر القادم من إسبانيا. لم يكتف صليبيو الأسبان والبرتغال بطرد المسلمين من الأندلس فحسب بل

الزيانية قد مرت بخمس مراحل، يراجع: محمد سعداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط (ق 7هـ/ق 9هـ) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف الدكتور، محمد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة-وهران- 2016/2015م، ص 48 إلى غاية ص 54

¹ - حسين تواتي، حكام التسيير في الدولة الزيانية في المجالين السياسي والاقتصادي من خلال أنموذجي يغمراسن

بن زيان وأبي موسى الثاني، مرجع سابق، صص 34-35

² - محمد سعداني أن الدولة الزيانية قد مرت بخمس مراحل، يراجع: محمد سعداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط (ق 7هـ/ق 9هـ)، مرجع سابق، ص 53

³ - نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من ق 7هـ إلى ق 10هـ)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف د. محمد بن معمر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية-قسم التاريخ وعلم الآثار-جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-2010/2009م، ص 47

لاحقوهم نحو بلاد المغرب مغتتمين حالة صراع الدول المغاربية من جهة وصراع أبناء العرش على السلطة من جهة أخرى¹.

وإذا أردنا أن نلخص الوضع السياسي العام للمغرب الأوسط-آنذاك-فنقول أن البلاد انقسمت الى مجموعة من الإمارات والمشيخات والقبائل المستقلة، فهناك مشيخة الجزائر التي كانت خاضعة لقبيلة الثعالبة يرأسها سالم التومي، وإمارة كوكو وتشمل القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى أما القسم الشرقي من بلاد القبائل وعاصمته قلعة بني عباس، فقد كان تابعا للأمير عبد العزيز الحفصي، ومن ثمة فإن حكم ملوك بني زيان قد اقتصر على تلمسان وضواحيها².

إن هذه الأوضاع المتردية والفوضى السياسية العارمة كانت عاملا مشجعا للأطماع الصليبية، ويتضح ذلك فيما كتبه "فرناندو دي زافارا" الذي كان كاتبًا بالبلاط الإسباني ومكلفًا بحراسة شواطئ إسبانيا ومراقبة حركة الأندلسيين المتوجهين إلى بلاد المغرب في أعقاب حرب الطرد قائلًا: "إن بلاد المغرب بأكملها تجتاز حالة انهيار نفسي يظهر معها أن الله قد أراد منحها لصاحبي الجلالة"³ لقد رأت إسبانيا أن نقل الحرب إلى بلاد المغرب أمر ضروري واستراتيجي بهدف تطويق بلاد المغرب خوفا من إعادة الكرة، لقد أخذت هذه الحروب صبغة دينية نظرا للدور البالغ وللمساهمة العظيمة للكنيسة فالبابا ألكسندر السادس (1492-1503م) حث جميع البلاد المسيحية على وضع إمكانياتها البشرية والمالية تحت تصرف ملوك إسبانيا من أجل إبعاد خطر المسلمين حيث أصدر أمرا يقضي بدفع الضريبة الصليبية "Crusada" لتمويل الحرب ضد المسلمين⁴. لقد لعب الكاردينال خيمينيس⁵ دورا

¹ - نصر الدين بن داود، *بيوتات العلماء بتلمسان من ق 7 (هـ الى ق 10هـ)*، مرجع سابق، ص 48

² - عائشة غطاس وآخرون، *الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها-سلسلة المشاريع الوطنية للبحث-منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954*. بمناسبة الذكرى الـ 45 لعيد الاستقلال والشباب، (د.ت) صص 11-12

³ - F, Braudel, *Les espagnols et L Afrique du nord de 1492-1577*,

Revue Africaine, 1928 ,p 198

⁴ - عائشة غطاس وآخرون، *الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها*، مرجع سابق، صص 13-14

⁵ - الكاردينال خيمينيس (1436-1517) ولد في قشتالة، عين أمينا لسر الملكة الإسبانية إيزابيلا، ثم كاهنا لطليطلة، ثم حاكما لقشتالة حتى وفاة إيزابيلا، عام 1405م، ثم رئيسا لمحاكم التفتيش مابين (1506-1516)

فعلا في احتلال سواحل شمال إفريقيا، وقد وصف من قبل المؤرخين الأسبان القدامى بأنه يستحق كل التقدير والاحترام من أجل تفكيره على الأقل في إنقاذ شمال إفريقيا من الوحشية الإسلامية، لكي تنتصر فيها المسيحية، وهذا دليل قاطع على أن الحملات العسكرية التي قامت بها إسبانيا آنذاك كانت ذات طابع ديني محض¹ وكانت النتيجة احتلال إسبانيا للمرسى الكبير عام 1505م ثم وهران عام 1509م ثم بجاية عام 1510م، ثم رضوخ مدينة الجزائر وبعدها عنابة ثم باقي السواحل الجزائرية². لقد بادر ملوك بني زيان إلى إعلان الولاء والخضوع للإسبان على إثر سقوط مدينة وهران، وحذا حذوهم ملوك بني حفص بتونس على أثر سقوط بجاية، ولم تجد دول المدن الساحلية، الجزائر، تونس، شرشال، مستغانم، ودلس، بدا من السير على نفس النهج الاستسلامي الذي سلكه الزيانيون والحفصيون، فأعلنت هي الأخرى بدورها ولاءها للإسبان وقبلت من بين ما قبلته من الشروط دفع الجزية لهم³

تولى قيادة الحملة الإسبانية على وهران سنة 1509م، أشهر بقسوته في التحريض على إبادة المسلمين. لتفاصيل أكثر، يراجع: توفيق المدني، حرب 300 سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492 - 1792) ط1، دار البصائر للتوزيع والنشر، 2007، صص 73-74

¹ - توفيق المدني، حرب 300 سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492 - 1792) مرجع سابق، ص 71 وما بعدها

² - عن مسار وطريقة وكيفية وظروف هذا الاحتلال يراجع: المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع، ج2، دار القصة للنشر الجزائر، 2009م كذلك: جون. ب.

وولف، الجزائر وأوروبا 1500 / 1530، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، 2009 عالم المعرفة للنشر

والتوزيع، كذلك: عبد القادر فكاي، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910 هـ - 1206 م /

1505 هـ - 1792 م) دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دار

هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر

بالفرنسية يراجع: -F.braudel, les espagnols et l'Afrique du nord, Revue

Africaine, 1928, pp, 198, 199

- De la primauté des espagnols en Afrique, Revue Africaine, 1875, p 6

³ - جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، طبعة وزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى الـ45 لعيد

الاستقلال والشباب، صص 18-19. عن طريقة وتطور ولاء بعض المدن الساحلية للإسبان، خاصة

تونس، مستغانم، وتلمسان يراجع: دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة

في الوقت الذي سيطرت فيه اسبانيا المسيحية على سواحل المغرب الأوسط والأدنى في ظرف زمني قياسي، لم تكن هناك سلطة مركزية تتبنى مسألة الدفاع عن هذه السواحل، وبالمقابل تبنى شيوخ بعض الطرق الصوفية ورجال الدين عملية الجهاد، هؤلاء الذين دقوا ناقوس الخطر قبل سقوط الموانئ الجزائرية، ومن أبرز هؤلاء الشيخ عبد الرحمان الثعالبي¹ الذي ألف رسالة في الجهاد موجهة كلامه الى أهل الجزائر قائلاً: "لو اطلعت على ما اطلعت عليه من تحريض لما وسعكم أن تستغلوا من أمور دنياكم بعد الصلاة الا الجهاد"² كما راسل أهل بجاية وحثهم على الجهاد وحذرهم من مغبة التهاون³. كما نظم الشيخ العالم محمد التواتي قصيدة تبه فيها الأهالي بخطر الغزو المسيحي للسواحل وبعدم الاعتماد على ملوك وأمراء ضعاف قائلاً:

يا أهل وهران انظروا نظرة شفقة لبلدتكم من قبل أن تتردى
فلا تهملوا أمر الأعداي فإنهم بحال اجتماع واتفاق وشدة
ولا يحمي مرساكم ضعاف رجالكم ولا البدو بل تحميه أهل الجزيرة⁴

العثمانية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، اشراف، د، محمد دادة، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران، 2014/2013م، ص 36 الى غاية ص 42

¹ - هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، يكنى ابا زيد ويلقب بالثعالبي الجزائري المغربي المالكي، ولد سنة 786هـ/1384م، نشأ في بيت علم وفضل، درج على طلب العلم من قراءه كتاب الله وحفظه في الصغر، واطلاع على كتب التاريخ التفسير والحديث والاصول والكلام والادب وغيرها، ارتحل الى المغرب وتونس ومصر والحجاز ثم عاد الى الجزائر واهتم بتأليف وأصبح يلقي الدروس، وتخرج على يديه مجموعة من العلماء، كمحمد بن يوسف السنوسي، ومحمد المغيلي التلمساني وغيرهما، كانت معظم مؤلفاته في علوم الشريعة (بلغت نحو تسعين مؤلفاً) ومن أهمها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وحقائق التوحيد، وغيرهما توفي سنة 875هـ/1471م. يراجع: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، ابي زيد الثعالبي المالكي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1، تح، علي محمد معوض وآخرون، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، صص 09 وما بعدها - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، صص 91-92-93

² - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م، ص 348

³ - عائشة غطاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص 18

⁴ - ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح، المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص 15

لقد عمد العلماء العاملون على استنهاض الهمم وتعبئة القوة المعنوية للمسلمين، وبدأ الناس في تكوين الرباطات وتجميع الفلول والبحث عن تفرزه هذه المحنة العصبية وتصلقه الأحداث ليتولى جمع الأشتات وتوحيد الجهود، لمواجهة الخطر الصليبي الجاثم على المنطقة¹

3- الاستنجد بالإخوة بربروس² وظهور الدولة الجزائرية الحديثة:

إن الأحداث والتطورات التي كانت تشهدها المنطقة مع مستهل القرن 10هـ/16م قد جعلت عامة الناس ينتظرون الفرج من الله ليخلصهم من هذا الوضع، في هذا الوقت كان البحر المتوسط كذلك مسرحاً لانتصارات أربعة إخوة من أصل أحد الجزر اليونانية، وكانت ميزتهم الشجاعة ومعرفة علوم البحر مما جعلهم مهايي الجانب في البحر من طرف القراصنة والنصارى وبعد دخولهم الإسلام وضعوا أنفسهم تحت خدمة سلطان اسطانبول حيث كانوا يقومون بحملات جريئة على شواطئ اسبانيا قصد مساعدة مسلمي الأندلس³.

إن القراءات المتأنية لنشاط الإخوة بربروس، البحرية في حوض البحر المتوسط خاصة الجهة الغربية منه تبدأ بنزولهم في الموانئ الحفصية سنة 1504م وشروعهم في أعمال القرصنة (الجهاد البحري) بسواحل أوروبا الجنوبية عامة وسواحل صقلية وجنوب إيطاليا خاصة، كما شاركوا في نقل المسلمين الفارين من

¹ - جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، مرجع سابق، ص 19

² - لتفاصيل أكثر حول أصل هؤلاء الإخوة ونشاطهم. خاصة الأخوين عروج وخير الدين يراجع: المؤرخ المجهول : غزوات عروج وخير الدين، الطبعة الأولى، ترجمة د. محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1431هـ/ 2 - المنور مروش. دراسات عن الجزائر في العهد العثماني ج 2، مرجع سابق، ص 70-71
- عبد الله حمادي، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، دار القصة للنشر، 2009، ص 5-13. بالفرنسية
يراجع:

-Diego de Haédo. Histoire des roid d'alger. Tradiction de l'espagnol et notes de henri delmas degramont. Editions grand-Alger.livres.Alger. 2004.p.11-68

³ - كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، تر، جمال حمادنة، د.م.ج، الجزائر، 2007، ص 26

شبه الجزيرة الأيبيرية¹ وتذكر العديد من المصادر أن هؤلاء الإخوة كانوا يتميزون بالشجاعة ومعرفة علوم البحر مما جعلهم قراصنة (مجاهدين) مهابو الجانب في البحر المتوسط، إذ قاموا بحملات جريئة على شواطئ إسبانيا لمساعدة مسلمي الأندلس، إذ كانوا يملكون حوالي عشرة سفن عليها حوالي ألف رجل جاغلين من القرصنة (الجهاد البحري)² حرفة لهم وتربطهم بسُلطان تونس علاقة مادية بحتة تعتمد على اقتسام الغنائم³

في عام 1512م اتجه عروج وإخوته الى بجاية لاستخلاصها من الأسبان تلبية لنداء أهلها، ولكنهم لم يفلحوا في مهمتهم لأن الحصون الإسبانية كانت قوية، وطبيعة المدينة الجغرافية صعبة، وبعد عامين تمكن عروج وإخوته من افتكك مدينة جيغل (1514م) من الجنويين، واتخذوا هذه المدينة قاعدة لهم بدلا من جربة وحلق الوادي، لكونها أقرب الى أماكن الصراع ضد القراصنة في الحوض الغربي للبحر المتوسط⁴، ولما ذاع صيت الإخوة ببروس قرر سكان الجزائر طلب مساعدتهم، ليتغلبوا على الوحدة الإسبانية المتمركزة في صخرة البنيون ويضعوا حدا للضريبة السنوية المفروضة عليهم⁵ وأخيرا جاءت

¹ مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 33، وفي هذا الصدد لابد من التنويه بما فعله خير الدين الذي استجاب لاستغاثة موريسكي الأندلس، مرسلا سنة 1529م (سنة وثلاثون) (36) سفينة. وأنقذ خلال 7 رحلات متوالية سبعون ألف من عرب الأندلس، يراجع: علي تابلت، الجزائر في القرن 16، مجلة بحوث، العدد 05 سنة 1998، جامعة الجزائر ص 256. كما أن عروج وحده أنقذ ما يزيد عن عشر آلاف أندلسي من يد النصارى يراجع: عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 215 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع ص 53، 54، 55

² عن مفهومي القرصنة والجهاد البحري، يراجع محمد الأمين عطلي، نشاط البحرية الجزائرية في القرن 19م وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، اشراف، عمار بن خروف، المركز الجامعي بغرداية، قسم التاريخ، 2011-2012م، صص 50-56

³ كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، مرجع سابق، ص 28

⁴ دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الإسباني والسلطة العثمانية، مرجع سابق، ص 44

⁵ -وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع، وتقيم، عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، صص 31-32، -عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني

الفرصة لتحطيم معاهدة الذل والعار التي أبرمها زعماء الثعلابة مع النصارى الإسبان، وقلعة البنيون التي باتت تؤرق سكان المدينة كثيرا، وكان سالم التومي قد فكر كثيرا في عائلة بربروسة، واعتقد أنها أفضل من يساعده في محاربة القلعة¹، فأوفد أهالي الجزائر نحوهم عدة شخصيات بارزة لإقناعهم وترجيهم بالقدوم لتخليصهم من ظلم المسيحيين، وقبلت عائلة بربروسة هذا الطلب ورأت في مدينة الجزائر الهامة والغنية جدا والمأهولة بالسكان مريحة ومناسبة لعمليات القرصة²

دخل عروج مدينة الجزائر على متن سفينتين تحملان ألف تركي، وهي أول قوة تدخل الجزائر من طرف الأتراك، ثم دخل خير الدين ومعه 280 جندي ومعدات حربية حديثة، غير أن هذا الوضع أساء سالم التومي وتدمر منه، فحاول مع بعض أعوانه التآمر ضدهم واعتراض فتوحاتهم³. دخل مدينة الجزائر وبعد عشرين يوما لم يحقق عروج أي تقدم في تخليص سكان الجزائر من الإسبان أضف إلى ذلك تصرفات الأتراك التي كانت تمتاز بالعنف والسرقة والغطرسة، مما زاد الوضع سوءا على سوء، وهو ما أزعج سليم التومي كذلك... فما كان من عروج إلا أن يحافظ على مكانته وذلك بالتخلص منه... وقام بصك العملة وعمل على تقوية وسائل دفاع المدينة... واعتبر نفسه غير ملزم باحترام المعاهدة السابقة مع الإسبان⁴ وازداد عروج إصرارا على تطهير غرب البلاد، من الأسبان، والمتواطئين معهم سواء في تنس أو مستغانم أو تلمسان، خاصة بعد النجدات التي وصلت إليه من تلمسان لطلب المساعدة و الحماية ضد السلطان أبو حمو الذي تحالف مع الأسبان ضد سلطانهم الشرعي أبو زيان⁵ فتوجه عروج إلى

1518-1830، تأثيراتها الثقافية والسياسية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، د، عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015/2016، ص 10

¹ - كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510-1541)، مرجع سابق، ص 27

² Diego de haédo. Histoire des roid d'alger ,op cit ,p,17

³ Ibid,p,17

⁴ - كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، مرجع سابق، صص، 29-39، - عمار

بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، مرجع سابق ص 53

⁵ - كورين شوفالييه، الثلاثون سنة....، مرجع سابق، ص 36

مدينة تنس حيث قضى على ثورة حميدة العبد¹، ثم زحف إلى تلمسان بعدما وضع حامية عسكرية في قلعة بني راشد²، جاعلا منها مركزا لحماية مواصلاته، وأمر أخوه إسحاق بن يعقوب على رأس هذه الحامية المكونة من 600 رجل³. وعندما وصل عروج إلى سهل أربال اصطدم بجيش أبي حمو فهزمه ثم دخل تلمسان⁴ أما أبو حمو الثالث فاتجه نحو تلمسان، ومنها ارتحل الى وهران واضعا نفسه تحت حماية حاكمها العام وقام عروج بوضع أبي زيان الثالث المسعود بدل عمه الذي اغتصب منه الحكم⁵. رغم المحاولات التي قام بها عروج للتوفيق بين ملوك الأسرة الزيانية الا أن الصراع على كرسي الحكم بين من تزعموا السلطة في آخر أيام الدولة الزيانية والذين كانوا بمثابة رؤوس الفتنة خاصة في موالاتهم للإسبان حينما وللأتراك حينما آخر، وهو ما جعل عروج يرى ضرورة الفصل فيها والتي كلفته حياته سنة 1518م⁶

لقد كانت الجهة الغربية من الجزائر مع بداية الفترة الحديثة(أواخر ق15م/وبداية القرن 16م)منطقة استراتيجية بامتياز ومركز ثقل الصراع الدولي مثلما ذهب اليه الباحث:محمد دادة، إذ أنها (أي المنطقة

¹ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519م/ 1830م، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر 2009، صص 44 - 45

² - قلعة بني راشد هي هواره، تبعد عن معسكر نحو 25 كلم، وعن مستغانم نحو 55 كلم، يراجع: عبد الله حمادي سيرة المجاهد خير الدين بربروس، مرجع سابق، ص 91، الهامش رقم 03

³ - توفيق المدني، حرب 300 سنة، مرجع سابق، صص 171 - 172

⁴ Diego de haédo. Histoire des roid d'alger ,op cit ,p,27-25

⁵ - توفيق المدني، المرجع نفسه، ص 172

⁶ - عن ظروف استشهاد عروج يراجع:

-مجهول، مذكرات خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص 87

بالفرنسية يراجع:

-Berbugger.Andrien. la mort du fondateur de larégence

d'Alger(aroudjBarberousse in Revue Africaine,N°.4.1859.1860. P25.3

الغربية من الجزائر)لقمة سائغة للإسبان والعثمانيين والمغاربة فدخلت بذلك مملكة تلمسان في دوامة الصراع بين هذه الأطراف الثلاثة¹

بعد استشهاد عروج، ظهر لخير الدين أن يجمع طائفة من أعيان مدينة الجزائر وأهل الرأي والمشورة وأخبرهم بعزمه على الارتحال من بلدهم، فأبى عليه أهل الجزائر ما قصد من فراقهم، فعرض عليهم فكرة الحاق الجزائر بالسلطة العثمانية للتقوي بها والالتجاء اليها وقت الحاجة²، وفعلا توجه وفد من أعيان الجزائر الى السلطان سليم الأول³ الذي رحّب بالفكرة، وألحقت الجزائر بذلك بالدولة العثمانية⁴. بعد

¹ - محمد دادة، تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الاسبان والعثمانيين والمغاربة في ق16م، مجلة عصور جديدة، عدد، 02، جامعة وهران، 2011م، ص 194

² - نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، بئر توتة-الجزائر- 2006، ص 69

³ - أرسل سليم الأول ألفين من الجنود الإنكشارية، وأربعة آلاف من المشاركة (العثمانيين) المحندين في الميليشيا الجزائرية، بالإضافة الى إرساله لبعض المدافع والذخيرة الحربية .يراجع: جون .ب. وولف، الجزائر وأوروبا، مرجع سابق ص 32 ، كذلك : كورين شوفالييه ،الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ،مرجع سابق ص 41 كذلك : عبد الجليل التميمي ،أول رسالة من الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519،المجلة التاريخية المغربية ،عدد : 6 جويلية 1976 . راجع النص التركي لهذه الوثيقة في العدد ،05 من المجلة التاريخية المغربية، جانفي 1976، القسم الفرنسي، ص 97-98-99

⁴ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 35-36. في 15 مايو 1519، وصل جواب من السلطان مع الوفد الذي أرسل في السنة الماضية إلى اسطنبول، يراجع: كورين شوفالييه الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر ،مرجع سابق ص 44 . كذلك : جون .ب. وولف ، الجزائر وأوروبا، مرجع سابق ، ص 32 . ومن خلال إطلاعنا على بعض ما كتب حول هذه القضية (إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية) وجدنا اختلافا في مسألتين اثنتين.

أولا : حول الشخصية التي قادت الوفد الجزائري إلى السلطان سليم الأول . فعبد الجليل التميمي ، يشير إلى شخص " أبو العباس أحمد بن القاضي " يراجع: المجلة التاريخية المغربية، عدد 6 ، جويلية 1976 ، ص 118 .بينما جون .ب. وولف يقول أنه شخصية الحاج حسن يراجع: جون وولف، الجزائر وأوروبا، مرجع سابق ص 98 ثانيا : التاريخ الفعلي لانضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية " فعبد الجليل التميمي يشير إلى أن الرسالة كتبت في أوائل ذي القعدة 925 هـ، الموافق لشهر نوفمبر 1519م يراجع: المجلة التاريخية المغربية ، عدد، 6، جويلية

أن أصبح خير الدين نائبا عن السلطان العثماني في إقليم الجزائر أدرك صعوبة الأخطار الداخلية والخارجية (تحالف الأسبان وحكام تلمسان)¹.

خلال فترة النصف الأول من القرن 10هـ/16م كانت الأوضاع السياسية مضطربة ومتدهورة، خاصة بالنسبة للملك الدولة الزيانية (صراع على الحكم، موالاة للإسبان تارة، وللأتراك تارة أخرى)، غير أنه لا بد لنا من إبداء ملاحظات كان لها دور في بقاء هذا الوضع متذبذبا وغير قار ومن ذلك مايلي

- حدوث تمرد كبير في منطقة الشرق الجزائري (ثورة ابن القاضي) وتصدي خير الدين لها
- انشغال إسبانيا بالجزائر بدلا من تلمسان، خاصة تحضيرها لحملة عسكرية لاقتلاع جذور العثمانيين من الجزائر مثل حملة شارل كان سنة 1541م. وقبلها حملة أندري دوريا على شرشال سنة 1531م

- استدعاء خير الدين إلى إسطنبول، وتعويضه بحسن آغا كنانة باي لارباي على الجزائر سنة 1533م

خاض أتراك الجزائر معارك دامية ضد الأسبان بغرب البلاد أهمها: معركة شعبة اللحم 1543م² هذا فيما يتعلق بالوضع الداخلي للجزائر، أما على المستوى الإقليمي، ففي الوقت الذي بدا فيه وكأن أمر تلمسان قد انتهى لفائدة حكومة الجزائر وإذا بالأشراف السعديين يوجهون أنظارهم لظم تلمسان

1976، ص 120 الهامش رقم (20) من نفس الصفحة، بينما كوررين شوفالييه، يرى أن جواب السلطان كان يوم 15 مايو 1519 أنظر ص 41 تراجع التفاصيل في: نجيب دكاني - الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية، مرجع سابق، صص 67 - 68 - 69

¹ - يورد لنا الباحث: صلاح العقاد جبهتين اثنتين تحتم على خير الدين مواجهتهما، فالجبهة الخارجية (تتمثل في الصراع العنيف مع الدول الأوروبية عامة وإسبانيا بصفة خاصة) أما الجبهة الداخلية (تتمثل في محاولة توحيد المغرب الأوسط تحت حكمه، إذ تعرض لمؤامرات من الحفصيين وبني زيان، ومن امارات القبائل الصغيرة). يراجع: صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر - تونس - المغرب الأقصى، ط6، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993، صص 20-21 كذلك: أحمد سالم، السيطرة العثمانية على إقليم الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية - مصر - 2011م، ص 113

² - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 38-39

إلى مملكتهم، وقد تمكنوا من احتلالها فعلا سنة 957هـ/1550م ولكن قوات خير الدين تمكنت من إجلائهم عنها في السنة التالية (1551) وإبعادهم إلى ما وراء نهر ملوية¹ فاغتنم سكان تلمسان فرصة وجود صالح راييس فرفعوا إليه شكواهم من الأمير الحسين بن عبد الله الثاني الذي كان سيء السمعة فقرّر هذا الأخير القضاء على دولة بني زيان وضم تلمسان رسميا إلى الدولة الجزائرية وذلك سنة 962هـ/1554م².

ومهما يكن من أمر فإنه من الناحية السياسية قضت السلطة الفتية (العثمانية) سريعا على بقايا السلاطين الزيانيين الغارقين في نزاعاتهم من أجل العرش، وخلصت شرق البلاد من حكم الحفصيين المتضعضع، وقضت على الامارات القبلية التي كانت مظهرا لتمزق البلاد ومصدر ازعاج للسلطة المركزية، في كثير من الأحيان، وحدث من نفوذ شيوخ القبائل، وقطعت، دابر المتآمرين مع الاسبان ضدها، ووحدت الجزائر بحدودها الحالية، تقريبا تحت سلطة سياسية واحدة، واتخذت من مدينة الجزائر عاصمة للدولة الجديدة، منذ نشأتها، واليها نسبت كل البلاد، فصارت تعرف باسم الجزائر بدل المغرب الأوسط³

مع بداية النصف الثاني من القرن 10هـ/16م نسجل تطورات هامة بين الجزائر العثمانية والمغرب الأقصى، متمثلة في أطماع الأسرة السعدية في الاستيلاء على تركة بني زيان والقضاء على النفوذ العثماني فيها، غير أن عودة حسن باشا الى حكم الجزائر واستعداده لمواجهة السعديين والاسبان حال

¹ - المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 127، يراجع كذلك، مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 38-39

² - كانت الدولة الزيانية في هذه الفترة جسما بلا روح، وهيكل بدون محتوى، وكان بقاؤها على هذا الوضع من العوامل التي كانت تشجع الاسبان على التدخل في شؤونها تمهيدا لاحتلالها، وذلك لا يمثل خطرا عليها فحسب وإنما على مستقبل الوجود التركي بالجزائر خاصة بعدما أصبح أمراؤها بمثابة كرة في أيديهم. يراجع: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ج2، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 19 .

³ - عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني (1518-1830)، تأثيراتها الثقافية والسياسية، مرجع سابق، ص 12

دون ذلك، وهو ما جسده معركة مازاغران¹. وهنا لا بد لنا ان نشير الى أنّ أهل تلمسان طلبوا النجدة والاستغاثة من الملوك السعديين (خاصة علماء تلمسان) وهو ما كان ذريعة لهذه الأسرة لشن هجومات عسكرية كبيرة على منطقة الغرب الجزائري ظاهرها استجابة لنداء أهلها وباطنها ظم المنطقة الى الحكم السعدي².

¹ - هي من أشهر المعارك (وقعت يوم 1558/08/26م) التي انتصر فيها أترك الجزائر بقيادة حسن باشا بن خير الدين، ضد القوات المتحالفة الثلاث. الإسبانية بقيادة الكونت أليكونت والجيش المغربي بقيادة ابن الملك السعدي محمد الشيخ، والقوات الزيانية بقيادة منصور بن أبي غانم الذي جنّد آلاف المقاتلين ضد الأتراك، وكانت نتيجتها القضاء على قائد الحملة الكونت أليكونت وأسر ابنه (الذي تم افتدائه فيما بعد بمبلغ ثمين) وقد دامت المعركة ثلاثة أيام وخسر فيها الجيش الإسباني اثنا عشر ألف ما بين قتيل وأسير، منهم خمسون ضابطا. **للتوسع أكثر يراجع: - محمد سي يوسف أمير أمراء الجزائر، عالج علي، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2009، ص 55، نقلا عن، ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني - توفيق المدني، حرب 300 سنة ... مرجع سابق، ص 354/350 - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، شركة دار الأمة، الجزائر، طبعة، 2009، صص 309/308 - المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ص 126**

² - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 88. وهذه المسألة هي التي لها ارتباط وثيق بموضوع بحثنا إذ كانت هناك ثلاث حملات من الأسرة السعدية على تلمسان **فالحملة الأولى** سنة (957هـ و 958هـ / 1550م و 1551م) وذلك بعد دعوة أعيان وعلماء تلمسان السلطان محمد الشيخ إلى مدينتهم وكان محمد الشيخ قد وعد أعيان وقبائل تلمسان بالقدوم إليهم وإعفائهم من الضرائب لمدة سنتين .

والحملة الثانية: كانت سنة (964هـ / 1557م) التي تمكن فيها محمد الشيخ من دخول تلمسان بسهولة بسبب اضطرابات حدثت في الجزائر بوفاة صالح رابيس، وكادت هذه الحملة أن تتمكن من ضم تلمسان إلى المغرب لأن السلطان السعدي كان في اتصالات حثيثة مع الأسبان الذين وعدوه بتقديم مساعدات مادية وبشرية لكنهم خذلوه فاضطر إلى الانسحاب من تلمسان في نفس السنة، بعد أن جهّز حسن بن خير الدين حملة لتحرير تلمسان في نفس السنة .

أما الحملة الثالثة: كانت سنة (968هـ / 1560م) كانت هذه الحملة لأسباب أولها انتقام السلطان عبد الله الغالب بالله لمقتل أبيه، محمد الشيخ من طرف الأتراك 29 ذي الحجة سنة 964هـ، 23 أكتوبر 1557م، من طرف القائد صالح كاهية رفقة 12 تركي وثانيها فشل حملة حسن بن خير الدين على المغرب وانهزامه في معركة

وكتقييم مختصر لهذه المرحلة من حياة الجزائر يمكن القول بأن العثمانيين في الجزائر قد تصدوا للحملات الإسبانية على مدينته الجزائر وشرشال ومستغانم وغيرها وقاموا بتحرير العديد من المدن كعنابة وبجاية بينما أخفقوا في تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير بالإضافة الى النجاح في توحيد أجزاء كبيرة من البلاد الجزائرية بعدما كانت مجزأة الى إمارت متزامية الأطراف، وكذا ربطهم للجزائر بالدولة العثمانية والتصدي بنجاح للحملات العسكرية السعدية والقضاء على الزعامات المحلية كما هو الشأن في تلمسان، وذلك بالقضاء نهائيا على الحكم الزياني، والعمل على مد نفوذ الجزائر والدولة العثمانية الى المغرب الأقصى والنجاح في مرتين على الاقل في ضم فاس وممتلكاتها وذلك في سنة 1554 ثم في سنة 1576 وذلك بتنصيب ابو حسون، ثم عبد الملك السعدي كموالين للدولة العثمانية، وأخيرا إحداث تنظيمات ادارية وتقسيمات اقليمية على شكل باييكات، وبذلك بدأت تتضح معالم الدولة الجزائرية الحديثة.

مما يلاحظ على فترة القرن 16م في الجزائر هو تعرضها لدخيلين اثنين الإسبان والأترک، ورغم الخلفية الدينية لكليهما في الجزائر آنذاك الا أننا نتفق الى حد كبير مع المؤرخ جون وولف الذي وضع مقارنة

وادي اللبن بأحوال فاس سنة 965هـ / 1552م مما زاد في قوة وشعبية السلطان السعدي عبد الله الغالب وثالثها ثورة أهالي تلمسان ضد الحامية التركية بإيعاز من السلطان عبد الله الغالب نفسه ورابعها انشغال حسن باشا بالمشاكل الداخلية خاصة في قمعه لتمرد بني عباس ببلاد القبائل، وخامستها استغاثة سكان تلمسان خاصة العلماء بالسلطان السعدي عبد الله الغالب بالله، ورغم انسحاب القوات المغربية سريعا من تلمسان بعد عودة حسن بن خير الدين من بلاد القبائل ومواجهة الموقف الجديد في الغرب الجزائري إلا أن الجنود المغاربة بأمر من السلطان السعدي نقلوا الكثير من التلمسانيين إلى فاس بينهم طائفة هامة من علمائها وفقهائها، وسوف نتطرق لأبرز هؤلاء العلماء في الصفحات اللاحقة. لمزيد من التفاصيل عن الحملات الثلاث السابق ذكرها يراجع :

-ديكودي طويريس، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب

-الأفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، صحح عباراته التاريخية السيد هوداس، مطبعة أنجي 1888
عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10م/16م الجزء الأول، وبالفرنسية يراجع:

- August cour, l etablisements des dynadties des cherifs au maroc et leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger (1509-1830) leroux .editions, paris, 1904

عجبية وذات بعد فلسفي هام، إذ يقارن بين الأتراك والإسبان قائلًا: الإسبان اكتفوا بإنشاء مقيمات أو حصون على الموانئ الرئيسية بينما حاول الأتراك حكم الأهالي في داخل البلاد، بالإضافة إلى المدن الداخلية وجعلها تحت نفوذهم (تحت سيادتهم) وبالتالي فالأتراك كانوا مكروهين من الأهالي بنفس الدرجة التي كانوا يكرهون بها الإسبان ... والفرق الأساسي هو أن الأتراك كانوا مسلمين¹

الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م:

بغرض الامام بالوضع العام للمغرب الأقصى سياسيا لا بد من أن نعرض على ذكر ثلاث دول حكمت المغرب الأقصى في الفترة الحديثة مع التركيز طبعا على الدولة السعدية باعتبارها تمثل أكبر حيز زمني من القرن العشر هجري/ السادس عشر ميلادي (موضوع البحث)

1- من المرينيين الى السعديين:

ينتمي بنو مرين الى قبائل زناتة البربرية وموطنهم الأصلي بين تلمسان وفكيك في المغرب الشرقي، استعان بهم المرابطون والموحدون في الخدمات الحربية، ولما انهزم الموحدون في معركة حصن العقاب وضعت دولتهم بدأوا يشنون هجماتهم على نواحي تازة الى أن تمت لهم السيطرة على المغرب بعد عجز الموحدين عن مقاومتهم². والمرينيون هي "الدولة الكبرى" الثالثة التي تأسست من شعب أمازيغي مهم بعد المرابطين والموحدين³. من أشهر رجالات بني مرين يعقوب بن عبد الحق وهو

¹ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 41 يراجع كذلك: جون، ب، وولف، مرجع سابق، صص 113 - 114. وربما هذه النظرة هي كذلك نظرة العديد من المؤرخين المغريين وعلى رأسهم ، عبد الرحيم بنحادة، إذ يشير في العديد من كتاباته الى أن العثمانيين كانوا محتلين أكثر منهم منقذين للجزائر يراجع كتابه: المغرب والباب العالي من منتصف القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، م. ت. ب. ع. م. زغوان، 1998، وهي في الأصل أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف: محمد مزين، جامعة محمد بن عبد الله، ظهر المهراس، فاس 1995 - 1996م. يراجع كذلك: عبد الهادي التازي، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، ج3، دار المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 1422هـ/2001م.

² - الحسن السايح، الحضارة الاسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1986م، ص 253

³ - عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م، ص 246

أول من تلقب بأمر المسلمين وقد بنى مدينة فاس الجديد سنة 674هـ، التي أصبحت عاصمة دولة بني مرين وامتاز عهده بمحاولة استرجاع الأندلس بالإتفاق مع ملوك بني نصر، وقاوم ملوك بني زيان العبد الواديين في تلمسان، وقد ظلت الحرب بين المغرب وبينهم زهاء ثلاثمائة سنة¹.

إن الدولة المرينية كانت ترى نفسها أنها أحقّ بأملك الموحدين في المغرب الأوسط والأدنى وأنّ خروج بني زيان في تلمسان وبني حفص في تونس عن الدولة الأم في مراكش يجب عودته إلى سابق عهده وذلك بضم الدولتين وعودة المغرب موحدًا كما كان في السابق². كما ظهر بين ملوك بني مرين يوسف بن يعقوب بابي مدينة المنصورة، قرب تلمسان، والسلطان أبو الحسن المريني (752هـ/1351م) وابنه أبو عنان الذي كان أحد بناء الحضارة المرينية التي ما تزال آثارها واضحة في المدرسة البوعنانية وساعتها المائية وعدة مدارس للطلاب في فاس ومكناس وشالة وسلا³.

رغم أن الدولة المرينية حكمت نحوًا من ثلاثة قرون فإن الفترات المضيفة في حياتها قليلة بالنسبة لهذه الفترة الطويلة من سنوات الحكم، ويرجع ذلك إلى عوامل داخلية وخارجية، أولها: اشتغال الدولة في بعض فترات ملوكها الكبار بالجهاد في الأندلس مما يجرجها في كثير من الأحيان فتقسم جيشها بين العمل في الداخل والجهاد في الأندلس، وتصريف طاقتها السياسية والعسكرية في الاتجاهين، ثانيها: كثرة الثورات والاضطرابات الداخلية التي أرهقت الدولة وصرفتها عن الاستقرار إلى مقاومة الثائرين والقضاء عليهم أو محاولة ذلك⁴.

ب وفاة السلطان أبي عنان سنة (759هـ) دخل المغرب الأقصى مرحلة الضعف حيث استبد الوزراء بأمور الدولة، ومع حلول النصف الثاني من القرن الثامن هجري، انقسمت الدولة ودخلت في صراع بين الأمراء في فاس ومراكش، إلى أن جاء السلطان أبو العباس أحمد المريني الذي وحد المغرب رغم أن هذه الوحدة لم تدم طويلاً، وازداد الضعف في كيان الدولة على عهد السلطان عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس إذ انتقلت السلطة في فترة حكمه إلى الوزراء والحجاب، مما نتج عنه عزل السلطان وقتله

¹ - الحسن السايح، الحضارة الإسلامية في المغرب، مرجع سابق، ص 153

² - قام أبو يعقوب المريني بمحاصرة تلمسان قرابة ثمانية أعوام، وبنى بجوارها مدينة المنصورة، يراجع: صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال - المراحل الكبرى، مرجع سابق، ص 96-97

³ - نفسه، ص، 154

⁴ - عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2، مرجع سابق، ص 250

هو ووزيراه اليهوديان (منح لليهودي هارون منصب وزير، وشاويل منصب حاجب) اللذين عاثا فسادا في المغرب الأقصى فألب الرأي العام عليهما¹. ولعل هناك أسباب كثيرة عجلت بسقوط الدولة المرينية كتردي الأوضاع الاقتصادية وذلك بظهور الكوارث والأوبئة (كالطاعون الذي ضرب البلاد سنة 846هـ) كما كان هناك سبب آخر عجل بسقوط هذه الدولة وهو اضطهاد العلماء (تصفيتهم على غرار ما حدث للعالم الجليل لسان الدين بن الخطيب²).

رغم قوة هذه الدولة إلا أن الصراع على السلطة كان المحرك الأساسي لانحيارها خاصة وأن القبائل العربية لعبت دورا أساسيا في توجيه أحداث المغرب وذلك بنصرة أمير مريني على آخر حتى انتهى الأمر إلى استقرار أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني بفاس ومنافسة ابن أبي يغلوسن بن أبي علي المريني بمراكش، واشتد الصراع بين العاصمتين فاس ومراكش وأصبحت الدولة تنقسم فيما بينها، قسم يناصر فاس والآخر ينحاز إلى مراكش³ وهكذا انتهت دولة بني مرين التي امتد عمرها حتى 1428م) وخلفها فرع منهم كان يحكم سلا هو فرع بني وطاس⁴.

ينتمي الوطاسيون إلى قبيلة صنهاجة وبالتالي إلى لمتونة وهم من ولد وطاس بن المعز بن يوسف بن تاشفين، وقد لجأ وطاس بن المعز بن تاشفين إلى أحياء بني مرين فارا بنفسه من تلمسان أمام عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين آنذاك فاستجار بهم فأجاروه، وأقام بينهم فكانوا من جملة قبائلهم محسوبين في عددهم، وكان لهم فيهم رئاسة⁵

¹ - لغشيم مصطفى، هجرة العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى دراسة اجتماعية ثقافية (ق 7-9هـ/13م -

15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف، د، محمد عبد الحليم بيشي، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية، جامعة الجزائر 2012، 2013/1، ص 34

² - نفسه، ص 35

³ - الغنيمي عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي (بني حفص، بني زيان، بني مرين، بني وطاس والسعديين، وظهور الأشراف العلويين)، دراسة في التاريخ الإسلامي، ج 5-6 مكتبة مدبولي، 1994م، ص

335

⁴ - توفيق المدني، حرب 300 سنة ... مرجع سابق ص: 60

⁵ - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، المجلد الثاني من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ص 194، نقلا عن الذخيرة السنية، ص 19 لمؤلف مجهول .

بعد مقتل عبد الحق بن أبي سعيد المريني سنة 869هـ، أصبحت أمور فاس بيد الشريف أبي محمد عبد الله بن محمد الإدريسي الذي بويع برضا من الناس، وبقي في حكم المغرب الأقصى ما يقارب ست سنوات بعدها قام بني وطاس بعزله مستغلين الأوضاع المتردية هناك، وتم ذلك على يد أبو الحجاج يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي سنة 875هـ، ولم تدم فترة حكمه كثيرا فقد حكم ما يقارب العام وتم عزله بعدما سيطر على الحكم محمد الشيخ بن أبي زكريا، وأعلن نفسه سلطانا على المغرب الأقصى سنة 876هـ/1472م الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الوطاسية¹

لقد ورث بني وطاس وضعا مضطربا في المغرب الأقصى فبالإضافة الى الحالة الاقتصادية التي كانت متردية، كان هناك عدو أجنبي محتلا للأراضي المغربية، هذا الوضع لم يكن في صالح بني وطاس وأميرهم محمد الشيخ، وزاد في تأججه حينما عقد هذا الأمير صلحا مع البرتغاليين، وطور علاقته مع القوى الاستعمارية المحتلة لبلده (البرتغال، الاسبان) عندها بدأت القبائل المغربية تنتفض عليه وعجز في إخضاعها، وتمزقت بذلك الوحدة المغربية إذ انفصل عنه بني هنتانة وأسسوا إمارة لهم بمراكش كذلك قيام إمارة ثانية لبني مرين، بزعامة محمد بن أحمد المريني الورتاجني². وقد عجز الوطاسيون عن بسط نفوذهم على كامل أجزاء المغرب، بسبب أن هذا الأخير كان مقسما إلى وحدات سياسية كثيرة تحت زعامات قبلية أو دينية أو محالسة محلية مستقلة عن الوطاسيين تماما³. ذلك أن المغرب في نهاية القرن الخامس عشر ميلادي، ومطلع القرن الموالي كان فسيفساء سياسية على شكل إمارات نذكر منها:

- في الشمال والجنوب الشرقي: إمارة بني راشد في شفشاون وآل المنظري في تطوان وآل عبد الحميد في القصر الكبير وآل رحو في دبدو وهذه الإمارات كانت تخضع إسميا للوطاسيين
- في وسط المغرب وغربي الوسط إمارات ابن حدو وأخيه أبي فارس في الجبل الأخضر وإمارة ابن عامر في تنسيتة، وإمارة آل فرحون في آسفي، وجمهريات مدن تافزة، والجمعة وآزمور، ونفوذ رؤساء القبائل في سهول دكالة، وتادلة، وكل هذه الإمارات الصغيرة لم تكن تخضع للوطاسيين

¹ - لغشيم مصطفى، هجرة العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى دراسة اجتماعية ثقافية (ق 7-9هـ/13-13م)

15م)، مرجع سابق، ص 36

² - نفسه، صص 36-37

³ - عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن 10هـ / 16م. مرجع سابق، ص

- وفي جنوب المغرب وغربه نذكر إمارة شنتوف في مراكش، وإمارة مولاي إدريس الهنتاني في الأطلس الكبير وجمهوريات مدن تارودانت، وتدسي وتفتنت، ونفوذ الشيخ يحيى في ثيوط ... وكثيرا ما كانت تقوم بين هذه الوحدات السياسية نزاعات لأسباب مختلفة¹.

ب وفاة محمد الشيخ الوطاسي (مؤسس الدولة) سنة 1505م آل الحكم إلى ابنه أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي الشهير بالبرتغالي الذي حكم ما بين (1505م-1525م) وكان قد أسره البرتغاليون عندما استولوا على أصيلا سنة 1471م وأطلق سراحه بعدما عقد والده هدنة مع البرتغاليين². ومن أبرز مميزات فترة حكم أبو عبد الله محمد الشيخ وكذا فترة حكم أخيه أبي حسون بن محمد الشيخ (آخر سلاطين بني وطاس) هو سيطرة الطرق الصوفية التي بدأت تمارس دورها وتحاول أن تجد لها مجالا في العمل السياسي بعد أن تجمع الناس حولها³، أضف إلى ذلك أن النزاع بين أبي حسون وابن أخيه أحمد بن أبي عبد الله حول الحكم، وفوق كل هذا وذاك وجود الخطر الأجنبي البرتغالي والإسباني الذي كان يهدد السواحل المغربية⁴.

2- قيام الدولة السعدية:

إن المصادر المتعددة لتاريخ الدولة السعدية ترجع أصل السعديين إلى مدينة ينبع، إذ أنهم (أي السعديين) قدموا إلى المغرب في وقت يصعب تحديده واستقرّ السعديون في وادي درعة في بداية القرن 14م، وظلوا حتى مطلع القرن 16م يعيشون حياة بسيطة كعلماء، وومما زاد في احترام الناس لهم هو

¹ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م مرجع سابق، ص 43، تقلا عن عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر و المغرب في القرن 10هـ / 16 م. ج 1 ص 46. يراجع كذلك عن هذا التمزق السياسي أثناء فترة حكم محمد الشيخ الوطاسي (حكم ما بين 1471م-1505م) إبراهيم حركات، المرجع السابق ص: 197

² - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، المرجع السابق، ص 199

³ - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب ... المرجع السابق، ص 29، كذلك: لغشيم مصطفى، هجرة العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى دراسة اجتماعية ثقافية (ق 7-9هـ/13-، مرجع سابق، ص

⁴ - عبد الفتاح مقلد الغنيمي، نفس المرجع، ص 36 كذلك: لغشيم مصطفى، هجرة العلماء بين المغربين

الأوسط والأقصى دراسة اجتماعية ثقافية (ق 7-9هـ/13-15م)، مرجع سابق، ص 37

نسبهم الشريف¹. ولعل ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية بالمغرب الأقصى لم تتضح معالمه الا ظهور التواجد البرتغالي على السواحل المغربية خاصة مع تزامن شدة وطأة البرتغاليين على سكان الجنوب الغربي، فلجأ أهل الجنوب إلى السعديين لقيادة صفوفهم ضد البرتغاليين في الوقت الذي كان فيه السعديون منشغلين بالدفاع عن شمال المغرب².

كان المغرب في بداية القرن السادس عشر يعيش "محنة تاريخية"، وتبدو صورة المغرب في هذه الفترة صورة قائمة، مغرب ممزق تقلصت فيه السلطة المركزية وتوطدت السلطات الاقليمية، وصورة مغرب مدمر بتأثير الحروب والفتن الداخلية والغزو الخارجي البرتغالي والاسباني³.

إن هذا الوضع المتردي حمل في طياته بذور تحول جديد، فالفوضى والغزو والاختناق نتج عنه ردود فعل معاكسة أبرزها فقدان الأسرة الوطاسية كل احترام بسبب عجزها ومهادنتها العدو، وانتعاش روح المقاومة الوطنية الدينية "الجهاد" ولما كانت المقاومة العنوية غير كافية تطلع المغاربة الى زعامة قادرة على توحيد الجهد وتنظيم الجهاد والحلول محل الأسرة الوطاسية المنهارة⁴. ويبدو أن السوس وأهله نالهم من الفوضى ومن تقدم البرتغاليين شر كثير لذلك تنادى بعض من له كلمة مسموعة منهم الى وجوب القيام بعمل يدفع عنهم الأذى⁵.

¹ - محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي والحديث، المغرب الأقصى - ليبيا - منشورات جامعة دمشق 1999. 2000، ص 29. وللتوسع أكثر: يراجع :- اليفراني أو الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي صحح عباراته التاريخية السيد هوداس، تم طبعه على يد بردين صاحب المطبعة بمدينة أنجي، 1888، ص 6 - مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكميلية، ط 1، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بن حادة، دار تينمل للطباعة والنشر 1994، ص 12 وما بعدها - ديكودي طويريس، تاريخ الشرفاء، ترجمة الى العربية، محمد حجي محمد الأخضر مطبعة سلا ص 13 وما بعدها. - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 272 - 273

² - عمار بن خروف، العلاقات السياسية، مرجع سابق، ص 50، يراجع كذلك: مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس... مرجع سابق، صص 45-46

³ - محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي والحديث، المغرب الأقصى - ليبيا -، مرجع سابق، ص 31

⁴ - نفسه، صص 31-32

⁵ - نقولا زيادة، صفحات مغربية، المهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2002م، ص 41

وأول من دعا السكان إلى الجهاد ضدّ البرتغاليين، هو القائم بأمر الله وقد أحرز المجاهدون نجاحاً أولياً كبيراً، مما جعل السكان يلتفون حوله (أي القائم بأمر الله) غير أن المنية وافته سنة 1517م. فاستأنف أحمد الأعرج النضال ضدّ البرتغاليين (بعد أن خلف أباه)، وفي الفترة ما بين 1523م – 1525م، استولى أحمد الأعرج على مراكش، وكان هذا أول الخطوات في مسيرة السلطة¹ وتتوالى الأحداث والصراعات الدامية بين الوطاسيين والسعديين خاصة عندما تأكّد الوطاسيون بأن هدف السعديين ليس الجهاد ضدّ البرتغاليين فقط، بل إقامة دولة قائمة بذاتها على حساب الوطاسيين، وتأكدت لديهم هذه المسألة مما لا يدع مجالاً للشك بعد سيطرتهم على مراكش من طرف أحمد الأعرج، وكان هذا الأخير ذكياً، إذ أنّه عندما سمع باستيلاء الوطاسيين راسل السلطان محمد البرتغالي الوطاسي، وعرض عليه أن يكون عاملاً له بمراكش، وأن يدفع له ضعف ما كان يدفعه سلفه لكنه تماطل في ذلك مما جعل محمد البرتغالي الوطاسي يحاصره في مراكش، غير أن ثورة فاس (التي قادها أولاد محمد البرتغالي) جعلته يتراجع ويغير وجهته نحو فاس للقضاء عليها، على أمل العودة إلى مراكش ثانية والقضاء على أحمد الأعرج لكن الأجل وافاه سنة 1526م². وسرعان ما استؤنف الصراع سنة 935هـ / 1528م فجرت معارك بين الوطاسيين والسعديين، أبرزها معركة أتماي (خارج مراكش) عام 1528م، ولم تكن حاسمة ثم معركة بوعقبة عام (943هـ / 1536م) التي انتصر فيها السعديون ومني الوطاسيون (بزعامه أبو العباس أحمد الوطاسي) بهزيمة كبيرة لكن القوى المرابطة أدركت خطورة هذا الصراع وتأثيره على الجهاد، فتدخلت وتوسطت بين الطرفين، وتم الاتفاق على أن تكون المناطق الواقعة من تادلا إلى السوس للسعديين ولم يشر الاتفاق إلى مسألة التبعية³ إنّ تعاضم القوة السعدية، وظهور محمد الشيخ كزعيم سياسي وعسكري محنك، جعل أهل تلمسان يستنجدون به فطالبوه بالتدخل لإنقاذهم من الأتراك والإسبان فتسرع محمد الشيخ بمهاجمة المغرب

¹ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال

القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 46

² - نفسه، ص 46

³ - محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، مرجع سابق، ص 36-37

الأوسط قبل أن يستتب له الأمر تماما في المغرب فكلفه ذلك حياة ابنه الحزان، وانتهزم جيشه وتراجعه إلى ما وراء نهر ملوية¹

لعل أشهر شخصية حتى هذه الفترة الزمنية هي شخصية السلطان محمد الشيخ ولاشك أن دهاء وحيلة السلطان السعدي محمد الشيخ جعله يتخذ مواقف أثرت أيما تأثير على تاريخ المغرب الأقصى مع مطلع النصف الثاني للقرن 10هـ / 16م، ومن أبرز مميزات سياسته الخارجية هو معارضته للأتراك إذ كان يرفض بشده الاعتراف بهم بل كان يقلل من شأنهم ويحتقرهم، ويصف السلطان العثماني بسلطان الحوآة، ويذكر اليفراني (أن محمدا الشيخ لما تغلب على المغرب، ودانت له حواضره وبواديه، تآقت همته العليا إلى بلاد المشرق فكان يقول، لا بد لي أن أذهب إلى مصر وأخرج منها الأتراك من أحجارهم، وأنزلهم في ديارهم)². وقد كلفته هذه التهكمات على السلطان العثماني حياته، إذ استطاع حسن باشا حاكم الجزائر التخلص من محمد الشيخ بالخديعة بعد أن كلف واحدا من خيرة ضباطه (صلاح كاهيا) بتدبير اغتيال محمد الشيخ سنة، (964هـ / 1557م)³. وحملوا رأسه إلى البلاط العثماني.

ورغم كل ما قيل عن محمد الشيخ، إلا أنه يعتبر بحق المؤسس الحقيقي للدولة السعدية في المغرب، والموحد لأجزائه وذلك من خلال سياسته الداخلية والخارجية

تمت مبايعة عبد الله الغالب بالله بعد مقتل والده عام 1557م، وأول اجراء اتخذه بعد ذلك هو أنه قام بنقل ملكه من فاس إلى مراكش، ومما يلاحظ عليه أنه قد كان قاسيا على أسرته إذ قتل بعضهم

¹ - محمود علي عامر، خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، مرجع سابق، ص 40، - إبراهيم حركات،

المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 279 - 280

² - كان يدعوا السلطان العثماني (سليم القانوني) بسلطان الحوآة لأن البواخر العثمانية، كانت تجوب بكثرة عرض البحر المتوسط ... ولما راسله سليمان القانوني يدعوه فيه إلى الدعاء له على منابر المغرب أجاب السفير العثماني قائلا: قل لسلطان الحوآة لا أجيئه حتى أكون بمصر إن شاء الله. يراجع: - الوفراني، نزهة الحادي بأخبار

ملوك القرن الحادي، صحح عباراته التاريخية السيد هوداس، تم طبعه على يد بردين صاحب المطبعة بمدينة أنجي، 1888، ص، 14. أنظر كذلك: - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 281 -

محمود علي عامر، خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث مرجع سابق، ص 44

³ - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 282 - محمود علي عامر، خير فارس، تاريخ المغرب

العربي الحديث، مرجع سابق، ص 45 - عمار بن خروف، العلاقات السياسية...، مرجع سابق، ص 63

وهرب ثلاثة من إخوته (عبد المالك وأحمد وعبد المؤمن) إلى الجزائر ومنح ولاية العهد لابنه محمد، وقد تابع سياسة والده الداخلية والخارجية خاصة موقفه الصارم من أترك الجزائر إذ استطاع صدّهم عن المغرب عام 1558م في معركة وادي اللب. أصيب الغالب بمرض الضيقة فتوفي في رمضان سنة(981هـ/ 1573م)¹.

ذكر الوفراني في كتابه نزهة الحادي أن(محمد المتوكل قد تمّت مبايعته في فاس بعد وفاة والده عبد الله الغالب بالله، لأنه كان قد ولّاه أبوه ولاية العهد)². وتشير كثير من المصادر بأنه لم يهنأ بالحكم إذ لقي معارضة كبيرة من طرف أحمد المنصور وأخوه عبد الملك اللذان كانا قد لجآ إلى الجزائر فدعمهما أترك الجزائر بجيش قوامه خمسة آلاف مقاتل فانهزم المتوكل ودخل عبد الملك فاس دخول الظافر في أواخر 983هـ/1575م وفر المتوكل باحثا عن ناصر جديد³

تولى حكم المغرب عبد الملك بن محمد الشيخ بعدما تمكّن من الدخول إلى فاس، وهنا لا بد لنا من الإشارة الى أبرز حادثة تاريخية وقعت بالمغرب أثناء ولاية عبد الله بن محمد الشيخ والتي مجّدها كتب التاريخ المحلية والأجنبية ألا وهي معركة وادي المخازن⁴ التي كانت انتصارا كبيرا للمغرب الأقصى وهي

¹- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس، مرجع سابق، ص 48

²- الأفراني، نزهة الحادي، مصدر سابق، ص 200

³- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 49. وهنا لا بدّ لنا من ابداء الملاحظة التالية: "لجأ عبد الملك وأخوه أحمد وعبد المؤمن إلى تلمسان، وذهب عبد الملك مع أمه سحبانة الرحمانية إلى اسطنبول ثم عاد مع القوة العثمانية التي أرسلت لتحرير تونس، ونجح عبد الملك في أن يكون أول من يرف البشرية للسلطان العثماني وحصل مقابل ذلك على موافقة السلطان على مساعدته". يراجع:- محمود علي عامر، خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، مرجع سابق، ص 50 الهامش رقم 1 ويرى المؤرخ المجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية أن عبد الملك لما استلم السلطة بفاس بتدعيم من الأتراك سمح بالدعاء للسلطان العثماني على منابر المغرب يراجع: تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، مصدر سابق، ص 53 وما بعدها

⁴- هي معركة مجّدها كتب التاريخ، واعتبر الانتصار فيها انتصارا للمسلمين كافة وليس للمغاربة فقط لأنها قضت على الذل والمهانة مثلا بشخص المتوكل وعلى رأس الصليبية آنذاك سياستيان وعلى صاحب الأنفة والعزة السلطان عبد الملك لتفاصيل أكثر وللإمام بجيشيات هذه المعركة أسبابا ونتائج. يراجع: الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح، عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، 1972

ما تعرف بواقعة الملوك الثلاثة (قتل فيها المتوكل وسباستيان وعبد الملك) وبوفاة عبد الملك بويغ أخوه أحمد المنصور في وادي المخازن، ولقب بالمنصور لأنه استفاد من هذا النصر، وقد حكم ما بين 1578م إلى غاية 1603م

3- أهم خصائص دولة المنصور الذهبي:

بويغ احمد المنصور غداة معركة وادي المخازن، واصبح يلقب بالمنصور تيمنا بهذا النصر العظيم، وقد قام أنصاره يذيعون في أنحاء المغرب بأن المنصور هو الخليفة الوحيد للمسلمين، وبحكم النسب الشريف للحكام السعديين فقد اعتبروا دولتهم بعثت وتجديد للخلافة الهاشمية، وبأن لهم أحقية في الحكم أكثر من العثمانيين، ولقب المنصور بألقاب الخلافة كأمرير المؤمنين وإمام الجماعة وركن الأمة وتم ذكر اسمه في الخطبة والسكة¹، اهتم المنصور بعد انتصاره الساحق في معركة وادي المخازن على انشاء جهاز إداري وسياسي قوي، وكانت حكومته تضم وزراء من مستوى ثقافي عال، أمثال عبد العزيز الفشتالي، وعبد العزيز المزوار، وإبراهيم السفيناني²، واستطاع السلطان أحمد المنصور الذهبي أن يكون دولة قوية بمقاييس القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، رغم الفترة الزمنية القصيرة التي قضاها في الحكم مقارنة مع منجزاته³. وهنا نستشهد بما أورده مؤرخ الدولة السعدية عامة والمنصور الذهبي على وجه الخصوص بقوله: "... ثم جد الله على مولانا الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين أيده الله بالطيب الماهر والحكيم المدبر الباهر، الذي يحيل الصبغة ويؤلف الطباع الشاذة، فلم الشعب، وجبر الصدع، وسكن الهيعة، ورتب الألقاب، وجعل بين العرب والعجم رحم الخدمة الواصلة..."⁴

وعلى المستوى الاقتصادي نشطت الحركة الاقتصادية فكثر المصانع، واتسع نطاق المعاملات التجارية مع الدول الأجنبية، فعم الرخاء والرفاء، وأصبح المغرب بعد معركة وادي المخازن يعيش في انتعاش اقتصادي كبير ورفاهية اجتماعية حسنة بسبب ما تحصل عليه المنصور من ذهب السودان

¹ - السكويت فهد بن محمد، موقف الأشراف السعديين بالمغرب من الخلافة العثمانية، مرجع سابق، ص 215
² - Brahim Harket, Le makhzen saadien, in R. l'.O.M.M. 1973, vol, 15-
16, p 49

³ - إبراهيم حركات، أحمد المنصور الذهبي كرجل دولة، مجلة دعوة الحق، عدد 08، أوت 1978، ص 64

⁴ - عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، مصدر سابق، صص 208-209

وتبره وعبيده¹ وما نتج من أموال نتيجة مفاداة الأسرى المسيحيين² والهدايا التي قدمت له من الملوك والقناصل، التي استغلها المنصور في تقوية وتطوير قوته العسكرية البرية والبحرية بصناعة السفن والأسلحة، مستعملا بعض الأسرى ممن لهم معرفة وخبرة علمية واقتصادية، وقام بتطوير صناعة السكر التي أصبحت من الصناعات الأولى في المغرب³

وعلى المستوى الحضاري بلغ العمران أوجه في بناء الدور والقصور، ويعد قصر البديع⁴ آية المعمار السعدي روعة ودقة. وعلى المستوى الثقافي والأدبي نجد أن العصر السعدي من العصور المتألقة علما وأدبا وفكرا، وما الإنتاجات المتنوعة والكثيرة إلا دليل على نبوغ أبناء الفترة السعدية وتفوقهم في الميدانين الأدبي والفكري⁵. ومما تجدر الإشارة إليه ويحسب لأحمد المنصور إنشاؤه لمكتبة أطلق عليها المؤرخون اسم الخزانة الأحمدية أو السعدية التي تعتبر أكثر تطورا وملائمة حيث تتوفر على قاعة للمطالعة وأخرى لحفظ الكتب (القبة) من ثلاثين متر مربع، وجهّزت برفوف خشبية توضع عليها الكتب وبها نوافذ تسمح للضوء وللهواء بالدخول⁶. وهكذا يذكر المؤرخون أنه إلى جانب الخزانة الكبرى كانت هناك زهاء ثلاثة وثلاثين مكتبة فرعية موزعة جغرافيا بدقة شديدة، خمسة عشر خزانة غربي جامع القرويين، وسبعة شمالها، وخمسة شرقيها، وخمسة جنوبيه... وقد كانت كلها في خدمة الطلبة والمدرسين على حد سواء، فضلا عن العموم في فترات متعددة⁷

ولعل أبرز ما يؤكد حكمة المنصور في الحفاظ على وحدة المغرب، وتنظيم دولته هو:

¹ - ابن قومار جلول، المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد، 20، سنة 2014م، ص 178

² - اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 327

³ - عبد الكريم كزيم، المغرب في عهد الدولة السعدية، مرجع سابق، ص 255

⁴ - ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 197

⁵ - نجة المريني، من الملوك الشعراء المغاربة: السلطان أبو العباس أحمد المنصور الذهبي (956 هـ - 1012

م)، مجلة دعوة الحق، العدد 312 ربيع 1- ربيع 2 1416 / غشت - شتنبر 1995

⁶ - نزهة بن الخياط، مكتبة جامع القرويين عبر التاريخ، المجلة المغربية للتوثيق والمعلومات، العدد، 03 مارس، 1985

تونس، ص 12

⁷ - نفسه، ص 13

أولاً: لم يتجه الى حرب القبائل التي لا تخضع بالطاعة الكاملة للمملكة وإنما تعيش على هامش السلطة فقد فرض نفوذ سلطة الدولة على كل القبائل المطيعة وتعامل معها بالحسنى في موضع الخراج

ثانياً: حكمته في تنظيم الولايات فقد قسم المغرب على أبنائه تحسباً لمطامع الخارجين على العائلة من قواد عسكريين ومدنيين¹، ورغم ذلك فقد استطاع أن يفرض هبة الدولة وذلك بقضائه على الحركات المناوئة له من تمردات وثورات أهمها: ثورة داود بن عبد المؤمن وأهل سوس (987-988هـ/1579-1581م)، وتمرد محمد الشيخ سنة 992هـ/1584م، وثورة الحجاج قرقوش سنة 997هـ/1588م، وثورة الناصر بن عبد الله سنة 1003-1004هـ/1595-1596م²، وقد قام بغزو السودان الغربي سنة 1583م، لكن حملته الأولى هاته فشلت فأعاد الكرة سنة 1590م، واسند قيادة الجيش لجؤذر باشا، الذي استطاع فتح السودان الغربي وضمه رسمياً الى الدولة السعدية³

أما على المستوى الخارجي فالبرغم من اتساع علاقات المنصور الخارجية، وتنوع المشاريع السياسية التي ترددت في اتصالاته فإنه حرص على ألا يورط المغرب في أية مغامرة خارجية⁴.

واجه المنصور عدة محاولات للتدخل العثماني بعد ما جمعوا وحدات لأسطولهم بالجزائر سنة 1581 لغزو المغرب، لكنه استعد لهم وأقنعهم بالرجوع عن مشروعهم وحافظ على مسالمتهم وبادلهم الهدايا والسفارات، خصوصاً بعد أن خف ضغطهم بسبب انشغالهم بحروب أوروبا الشرقية في القرن 16⁵.

وإزاء الإسبان اتسمت سياسة المنصور بالمناورة والتظاهر بالتقرب إليهم خوفاً من التهديد العثماني وبتراجعهم وانشغال الإسبان بمشاكلهم حاول الضغط عليهم وتحالف مع خصومهم في أوروبا، وبالنسبة للانجليز ابتدأت منذ القرن 16 وكانت ذات طابع تجاري وعمل السعديون على تقويتها والارتقاء بها إلى أحلاف عسكرية بمبادرة من الملكة اليزابيث بعد صراعها مع الإسبان وقد استفاد المنصور من هذا

¹ - عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2، مرجع سابق، ص 313

² - ابن قومار جلول، المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي، مرجع سابق، ص 176

³ - نفسه، ص 177

⁴ - محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث "المغرب الأقصى - ليبيا" مرجع سابق، ص

60

⁵ - خالد فؤاد طحطح، العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث، مجلة كان التاريخية، العدد، 14، ديسمبر 2011م، ص 107 - عزيز سامح آلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا

الشمالية، تر، محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 261

التحالف لتطور القوة العسكرية والضغط على اسبانيا لتتخلى على أصيلا وبالنسبة لفرنسا وهولندا ارتبطتا مع المغرب في إطار علاقات رسمية ذات طابع تجاري لم ترق إلى المستوى الذي عرفته مع إنجلترا¹.

وهكذا فإن مدة حكم المنصور التي طالت الخلافة والملك ما يقرب من الثلاثة عقود، كانت عامرة بالأعمال العظيمة التي ركزت سلطان الدولة في الداخل والخارج، ورغم ذلك لا تخلو هذه الفترة من سلبات، ومن ذلك إسراف المنصور في الملاهي، إذ أن "عهد المنصور وما انتهى إليه من فساد يستدل عليه بما بلغته بطانته وما كان فيها من من اليهود، ومن إسرافه في الملذات واطلاق العنان للتنوع في الشهوات وهو ما كان يرضي كبرياءه، وما بلغه هو نفسه الذي شيد قصر البديع وما أسرف عليه من قناطر الذهب، وذلك في الوقت الذي شيد فيه للشعب السجون التي كانت شاهدة على قسوته وجبروته². ولعل الوضع الذي آل إليه المغرب مباشرة بعد وفاة المنصور (سنة 1012هـ/1603م) خير دليل على ذلك إذ أنه ترك المغرب فريسة لأولاده الثلاثة، ورابعهم حفيده عبد الله بن المأمون، حيث أخذوا يتناطحون على الملك بعد بيعة زيدان الذي كان بمراكش، وهكذا انقسمت البلاد، وتمزق المغرب بين أبناء المنصور، وما حدث في هذه المرحلة وصفه المؤرخون الأجانب أنه أصبح بلاد السبية³ ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج مايلي:

¹ - عبد الكريم كريمة، المغرب في عهد الدولة السعدية، مرجع سابق، ص 180 - ابن قومار جلول، المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السعدي، مرجع سابق، ص 178-179

² - عبد الكريم فيلاي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج3، ط1، شركة ناس للطباعة، القاهرة، مصر، 2006م، صص 378-379. لعلنا نتفق الى حد كبير مع الباحث عبد الكريم فيلاي فيما ذهب اليه من استنتاجات حول الجانب السلبي من حياة المنصور الذهبي والذي له علاقة بموضوع بحثنا فيما يخص العلماء فهاهو ذا القاضي الحميدي الذي كان حافظا لمذهب مالك إلا أنه نبذ الشريعة المحمدية وراء ظهره، وكان يحكم بموافقة شهرته مع علمه بالفقه، ولا يبالي بما فعل فيها، حتى اكتسب هو وأولاده أموالا جلييلة لاحصر لها، وكان المنصور يعلم هذا عن الحميدي وأمثاله، ضف الى ذلك وجود بعض المؤرخين المأجورين في عهد المنصور وعلى رأسهم الفشتالي الذي كان مؤرخا خاصا به، والذي لم يسجل في حق المنصور الا الحاسن، وقد قال المنصور في حقه أنه يفتخر به على ملوك الأرض، وسكوت المنحور عن الأحداث التاريخية في حياة المنصور دليل واضح على أن المنحور لم يرد التورط في ما تورط فيه غيره. نفسه، صص 379-380 خاصة الهامش رقم 769

³ - عبد الكريم فيلاي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج3، مرجع سابق ص 405

- أن ظهور الدولة الجزائرية الحديثة مرتبط بتواجد الأتراك على السواحل الجزائرية بدءاً من مطلع القرن 16م، وأن هذه الفترة الزمنية كانت فترة تحولات كبيرة ليس في الجزائر فحسب بل في حوض البحر المتوسط ككل
- أن نهاية الدولة الزيانية كانت نهاية حتمية لسبب رئيسيين- في نظرنا- أولهما الصراع على الحكم بين أبناء هذه الدولة، وثانيهما الأطماع الخارجية والمتمثلة في الغزو الإسباني لسواحل المغرب الأوسط.
- أن الصراع على السلطة لم يشمل المغرب الأوسط فقط بل كذلك الأسر الحاكمة في المغرب الأقصى-ممثلاً في تلك الفسيفساء السياسية المتناحرة-وهو مازاد في تزايد الخطر الأجنبي الذي يمثله البرتغال والإسبان على حد سواء
- أن مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب، غدّته عوامل تاريخية-سياسية، كان بالإمكان إيجاد حل لها لو توفرت الإرادة الصادقة من الطرفين، ذلك أن شعبي البلدين تربطهما أواصر متعددة، تلزمهما بالوحدة أكثر من التفرقة، ومنها وحدة الدين والعادات والتقاليد.
- أن المغرب الأقصى رغم ما مرّ به في هذه الفترة من صراعات وترد في شتى الأوضاع إلا أنه وجد نفسه في منأى عن الارتباط كلية بالقوى الدولية آنذاك(سواء أترك الجزائر، أو القوى الصليبية) ولعل ذلك يعود- في نظرنا- قوة بعض سلاطينه من جهة والظروف السياسية والتاريخية المميزة لهذه الفترة من جهة ثانية
- أن مكانة الفئة المثقفة كانت معدومة بسبب توجهات رجال السياسة وطبيعة المرحلة (صراع عسكري وجمود فكري) وهذا ما يدفعنا للتساؤل عن الواقع الثقافي آنذاك فهل فشل التقارب الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى خلال هذا القرن كما فشل التقارب السياسي¹؟ هذا موضوع الفصول القادمة.

¹-مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 49-50

الفصل الثاني: الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

- الحياة العلمية والأدبية بالجزائر أثناء العهد الزياني (نهایة القرن15م ومطلع القرن16م)

- التعليم في العهد الزياني (المؤسسات العلمية والتأليف)

1-المسجد

2- المدرسة

3-الزاوية وأهميتها

4- التأليف

- اهتمام السلاطين بالعلم و العلماء

- الحياة العلمية في الجزائر خلال القرن 10هـ / 16م (العهد العثماني)

- العوامل المؤثرة في الواقع الثقافي

1-الهجرة الأندلسية

2- الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية

3- التواجد العثماني بالجزائر

-المؤسسات الثقافية خلال العهد العثماني

1-الكتاتيب

2- المساجد

3-المعمرات

4-الزوايا

5-المدارس

-الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى مع نهاية ق 9هـ-15م و طيلة القرن 10هـ-16م:

1- الوضع الثقافي بالمغرب خلال فترة الدولة المرينية

2- الوضع الثقافي بالمغرب خلال فترة الدولة الوطاسية

3-الحياة الثقافية في المغرب خلال فترة الدولة السعدية(النصف الثاني من قرن 10هـ/16م)

لئن كانت الحياة السياسية هي التي تصنع الأمم والدول، وتساهم في تطورها أو ركودها، فإن الحياة الثقافية هي التي تمثل وعاء هذه الدولة أو هذا المجتمع، وتصنع مجدها وترسي دعائم الثقة بين أفراد مجتمعاتها، ومن هنا تولي الأمم المتحضرة اهتماما كبيرا بالجوانب الثقافية، ومن ذلك إنشاء المؤسسات الثقافية والسهر على تطويرها، ولعلّ أبرز ما يميز هذه المؤسسات في المغرب الإسلامي هو وجود المدارس والمساجد وحتى الزوايا التي أنشئت في ظروف متميزة. وهذه المؤسسات حافظت بطريقة أو بأخرى على مقومات الأمة الإسلامية في تاريخها الطويل، ولعلّ الدولة الزيانية لم تكن السبّاقة في هذا المجال، فقد حذت حذوها دويلات المغرب الأقصى المتوالية على الحكم (المرينية والوطاسية والسعدية) فكيف كانت الحياة الثقافية في هذه الكيانات السياسية؟ وما هي مميزاتهما؟ وما هي مظاهرها؟ وما هي العوامل المؤثرة فيها سلبا أو إيجابا¹

الحياة العلمية والأدبية في الجزائر أثناء العهد الزياني (نهاية القرن15م ومطلع القرن16م)

التعليم في العهد الزياني (المؤسسات العلمية والتأليف)

للتعليم أهمية كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات على حد سواء، إذ بواسطته ترتقي الأمم وتتطور (ذلك أن التعليم ضرورة من ضرورات الحياة الإنسانية ولازمة من لوازم العقل وهو الفيصل بين الإنسان وباقي المخلوقات)²، ولقد أدرك المجتمع الإسلامي أهمية التعليم والقراءة منذ نزول أول آية من القرآن الكريم في قوله تعالى إقرأ بسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم³. كما أن النبي ﷺ حثّ في أكثر من حديث على ضرورة التعلم، وطلب العلم، وكان هو نفسه معلما إذ ورد عنه قوله ﷺ إنما بعثت معلما⁴

ولما كان العلم جزءا من الدين إذ لا يمكن عبادة الله عن جهل أو تقليد، فقد اهتمت معظم الدول الإسلامية عبر مراحل تاريخها بالعلم، وبنيت الكتاتيب والمدارس للتعليم والقراءة والكتابة، ولقد احتل

¹ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال

القرن10هـ/16م، مرجع سابق، ص 52

² - ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/1992م، ص 460

³ - سورة العلق، الآية 05

⁴ - ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، السنن، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ج1، حديث رقم 229

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

العلم مكانة متميزة في المجتمع الاسلامي، فمنذ ظهوره شرع المسلمون بالتعلم فكانت المساجد المراكز الأولى للتعليم، إذ درست فيها العلوم الدينية ثم بقية العلوم الأخرى، ثم برزت المدارس كمؤسسات قائمة بذاتها ينحصر دورها في التدريس، فهل كانت الدولة الزيانية كذلك ؟

لقد شكّل التعليم محور النشاطات العلمية والسياسية في الدول السابقة للدولة الزيانية واستثمر في توجيه الأمة نحو بغية الساسة وصياغتها، بما يخدم طموحاتهم، وكان له الأثر البالغ في إقامة دول وإسقاط أخرى¹

ظهر نظام المدارس في تلمسان (مهد الدولة الزيانية) ابتداء من العقد الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي وانتشرت عبر أحياء المدينة خلال هذا القرن، وقد تأخر وجودها عن بلاد المشرق بنحوي قرنين من الزمن، وعن جارتها افريقية والمغرب الأقصى بنحو نصف قرن²

لقد ظهرت المدارس كمؤسسات تربوية وتعليمية في الاسلام، نتيجة للتطور الذي أصاب الحياة الدينية والثقافية في كثير من بلدان العالم الاسلامي، كما كان لتشجيع الأمراء والسلاطين للعلماء الأدباء على القيام بنشر الاسلام والثقافة العربية ولاسيما دعم المذاهب السنية المعروفة آنذاك للوقوف في وجه الفرق الدينية المختلفة، الأثر الأكبر في نشأة المدارس الاسلامية التي ساعدت على خلق جو من التنافس العلمي والأدبي بين المدن والحوضر المشرقية منذ القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي وهكذا نجد مدينة نيسابور أول مدينة أطلقت كلمة مدرسة على دار العلم وذلك أثناء حكم السلطان محمود الغزنوي، في القرن الرابع الهجري³

أما في المغرب فقد اختلف الباحثون حول تحديد بداية ظهور المدرسة المغربية بفعل تباين المصادر المعتمدة في الموضوع، فابن أبي زرع في كتابه (الأنيس المطرب بروض القرطاس) يقول عن الخليفة الموحي يعقوب المنصور (580هـ-595هـ/1184م-1199م) "...وحصن البلاد وضبط الثغور، وبنا المساجد والمدارس في بلاد المغرب وافريقية والأندلس، وأجرى المرتبات على الفقهاء

¹ - عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية (633 - 962هـ/1236 - 1554م)، مرجع سابق، ص 8

² - فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 324

³ - بوخضار فايزة، مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية-دراسة تاريخية أثرية- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية، اشراف، د، صالح بن قرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2010، 2011/2، ص 2

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغرب الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم"¹. وفي تلمسان كان تأسيس أول مدرسة في عهد السلطان أبو حمو موسى الأول حيث أنشأ سنة 710هـ/1310م للعالمين الجليلين والفقهاء الشهيرين أبي زيد عبد الرحمان، وأبي موسى عيسى ابني الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام. أما المدرسة الثانية فهي التاشفينية، وذلك خلال حكم أبي تاشفين (718هـ-737هـ/1318-1336م) سميت في حياته باسمه ثم دعيت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته²

إن مدارس تلمسان خاصة، والمغرب عامة وجدت من أجل المذهب المالكي... وأن المدارس التلمسانية كانت مدارس حكومية رسمية تابعة كلها للدولة، والتي ظلت تشرف عليها بالتمويل، وتعيين الأساتذة والمدرسين وكان كل مدرسيها من المالكية³. وبالرغم من أن الحالة السياسية والاجتماعية للدولة الزيانية في أغلب فتراتها كانت متميزة بالاضطراب، إلا أن الحالة العلمية والفكرية كانت نشطة جدا⁴. ومما زاد في نشاطها ظهور المؤسسات العلمية التي يمكن أن نوجزها فيما يلي :

1- المسجد:

المسجد هو الموضع الذي يسجد فيه، وكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود، جمعه مساجد⁵، وقد ورد عنه ﷺ قوله: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"⁶. ويرتبط اسم المسجد باسم الجامع، الذي هو نعت للمسجد، وإنما نعت بذلك لأنه علاقة الاجتماع، ويضيف الباحث حسن عبد الوهاب بأن المسلمين في الصدر الأول للإسلام كانوا يفردون كلمة "الجامع" وإنما كانوا تارة يقتصرون على كلمة المسجد، وطورا يصفونها فيقولون المسجد الجامع، وقد يضيفونها الى الصفة فيقولون "مسجد الجامع"⁷

¹ - بوخضار فايذة، مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية-دراسة تاريخية أثرية-، مرجع سابق، ص 4. نقلا

عن ابن ابي الزرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

² - بوخضار فايذة، مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية-دراسة تاريخية أثرية-، مرجع سابق، ص 7

³ - عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 326

⁴ - محمد مشنان، المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية، مجلة رسالة المسجد، عدد، 00، جمادي

الأولى 1424هـ/جويلية 2003م، ص 56

⁵ - حسن عبد الوهاب، نشأة المساجد ورسالتها، مجلة منبر الاسلام، السنة 19، العدد، 1381، 03، ص 75

⁶ - صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري

⁷ - حسن عبد الوهاب، نشأة المساجد ورسالتها، مرجع سابق، ص 76

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغرب الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

لقد كان المسجد مؤسسة تعليمية رائدة، ساهمت في تعليم المجتمع وتربيته وقد عمل المسجد على ترقية العلوم وتوريثها للأجيال اللاحقة، وقد تخرج من أحضانه كبار العلماء وعدد لا يحصى من الرواد المثقفين¹ وقد تجلّى دور المسجد منذ بداية رسالة الإسلام التي رفع رايته النبي محمد ﷺ وصحابته الفاتحين الذين كانوا كلما فتحوا بلداً أو مدينة إلاّ وبنوا فيها المساجد والمؤسسات التربوية، وتركوا فيها بعض الصحابة والمعلمين والفقهاء لتعليم أهلها مبادئ الإسلام واللغة العربية² وتعود مكانة المسجد في الدولة الزيانية إلى من كان يشرف على المسجد من علماء أجلاء، بعضهم في تلمسان نفسها والبعض الآخر يعود إلى نزوح أولئك الأندلسيين إلى تلمسان بعد سقوط غرناطة، إذ حملوا معهم علومهم وآدابهم وفنونهم ونظموا حلقات تعليم بالمدارس والمساجد، وخاصة المسجد الجامع، الذي أصبح معهدا للتدريس لا يقل أهمية عن جامع الزيتونة أو القرويين³

ومن بين المساجد الأخرى، التي لعبت دورا هاما في الحياة الثقافية بتلمسان الزيانية نذكر كذلك :

- مسجد سعيد أبي الحسن الذي أسس سنة 696هـ/1292م.

- مسجد سيدي بومدين، بني في عهد أبي الحسن المريني وأخذ اسم الولي الصالح الذي دفن بجانبه في النصف الأول من القرن الرابع عشر ميلادي - مسجد سيدي إبراهيم المصمودي أسسه السلطان أبوحمو موسى الثاني سنة 765هـ/1363م⁴

2 - المدرسة :

ترتبط المدرسة أساسا بالتعليم والتلقين، وهي تجمع مجموعة من الطلبة في مكان محدّد بغية التحصيل العلمي، وهذا المفهوم يرجح أنه كان موجودا منذ العهد اليوناني وهو المكان الذي كانت تجرى فيه

¹- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 54 - عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية، مرجع سابق، ص 98

²- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني ج 2، مرجع سابق، ص 339

³- محمد بن عمرو الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ش. و. ن. ت، الجزائر، 1983، ص 232، -

محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، مرجع سابق، ص 221

⁴- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 55 - محمد مشنان، المؤسسات العلمية الثقافية في تلمسان الزيانية، مجلة رسالة المسجد، مقال سابق، ص 60

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

المناظرات خاصة بين الفلاسفة اليونانيين القدامى، وقد اعتنى الاسلام عناية كبيرة بالمدرسة باعتبارها مكانا لتكوين النشء وتربيته خاصة التربية الدينية، والمدرسة لا تقتصر على تعليم الطلبة بعضا من العلوم والمعارف العلمية، بل يتعداها الى أكثر من ذلك، كالنقل الثقافي، وتنمية الأنماط السلوكية والاجتماعية، وتنمية القدرات الابداعية... الخ¹، وقد اهتمت الدولة الزيانية أيضا اهتمام بالمدارس، فسخر بعض السلاطين امكانيات معتبرة لإنجاز العديد منها، وقد احتوت الدولة الزيانية على مجموعة من المدارس التي بناها السلاطين الزيانيون وكذا سلاطين بني مرين لما استولوا على تلمسان² ومن أبرز تلك المدارس:

- مدرسة ولدي الإمام: بنيت في عهد السلطان أبي موسى الأول، حوالي سنة 710هـ/ 1310 م
 - المدرسة التاشفينية: بناها عبد الرحمان أبو تاشفين الذي حكم ما بين 718-1318 م/ 737 هـ- 1336 م وكانت هذه المدرسة تحفة فنية رائعة وصفها المقري بأنها من بدائع الدنيا .
 - المدرسة اليعقوبية: أسسها السلطان أبو حمو موسى الثاني وتم تدشينها في شهر صفر سنة 765هـ/1363م³. وفي ما يخص المدارس التي أنشئت بتلمسان في العهد المريني فيمكننا أن نشير (على سبيل المثال لا الحصر) الى مدرستين هامتين هما، مدرسة العباد والمدرسة الحلوية⁴ .
- ومما تجدر الإشارة اليه في هذا الاطار هو الاهتمام أن في عهد الدولة الزيانية كثر الاهتمام بإنشاء المدارس، ومرد ذلك في نظرنا يعود الة عاملين أساسيين
- أولهما: حرص معظم سلاطين الدولة الزيانية على الظهور بمظاهر الاعتناء والحرص على العلم، حتى تكون لهم السمعة الطيبة لدى العلماء والعامه من الناس

¹ - فايز بن عبد العزيز الفايز، المدرسة والتنشئة الاجتماعية، ط1، ج1، كلية التربية، جامعة الملك سعود، صص 19-24

² - حاصر السلطان أبو الحسن المريني تلمسان مدة سنتين، وسقطت على يده عام 1337م، وظلت تلمسان تحت حكم سلطان بني مرين مدة خمس وعشرين سنة (25 سنة)، ولم ينته احتلالهم لها إلا سنة 1359م يراجع ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم وتحقيق، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع ط 1 2001م، ص 30

³ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م، مرجع سابق، ص، 55 - محمد مشنان، المؤسسات العلمية والثقافية في تلمسان الزيانية، مقال سابق ص 67

⁴ - عبد الجليل قربان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية، مرجع سابق، ص، 99 ، الهامش رقم : 2

وثانيهما: عدم استيعاب المساجد لتلك الحشود من الطلبة وغيرهم من عامة الناس¹.

3- الزاوية:

كلمة زاوية من الفعل إنزوى، بمعنى اتخذ ركنا من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد، كما يطلق على الزوايا لفظ خوانق، وهي جمع خانكاه، وهي كلمة فارسية تعني بيت، والزاوية اصطلاحا هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين حسب تعريف ابن مرزوق الخطيب (ت. 781هـ/1319م) في كتابه، المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن².

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن الزاوية، يطلق هذا اللفظ في شمال إفريقيا على مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني غرفة للصلاة، ضريح لأحد المرابطين، أو ولي من الأشراف تعلوه قبة غرفة قصرت على تلاوة القرآن، مدرسة لتحفيظ القرآن، غرفة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين وغرفة للطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا بها³.

لم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط والرباطة، والرباط لغة مصدر رباط يربط بمعنى أقم ولازم المكان، ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين: أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها، والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحوا المومنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين⁴. وقد جاء في محكم التنزيل قوله تعالى: "يا أيها

¹ - عبد الجليل قربان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية، مرجع سابق، ص100، نقلا عن محمد قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دار الثقافة، الدوحة، 1405 هـ/ 1985 ص 52

² - موقع، مركز القاسمي للدراسات والأبحاث الصوفية "الثلاثاء 16 آفريل 2013 الساعة 17:22"، يراجع

، موقع دعوة الحق، العدد 401 سنة 2011، مقال الأستاذ عبد الجواد السقاط، الزاوية المغربية في العصر

السعدي - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال

القرن10هـ/16م، مرجع سابق، ص56

³ - مركز القاسمي للدراسات والأبحاث الصوفية، "الثلاثاء 16 آفريل 2013 الساعة 17:25" - مسعود

بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م، مرجع سابق، ص

56

⁴ - محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، الدار البيضاء،

المغرب، 1409هـ/1988م، ص 21

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

الذين آمنوا صبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"¹. أما الزاوية فهي عبارة عن مكان معد للعبادة، وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم² وقيل عنها كذلك بأنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة، وهي بهذا الوصف تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى³

وفي المغرب الأوسط وفي ظل الدولة الزيانية تكونت مجموعة من الزوايا منها زاوية العباد بظاهر(نواحي) تلمسان وزاوية سيدي أبي الحسن التي شيدها السلطان أبو سعيد عثمان الزياني، وزاوية الحلوي بجانب مسجد الشيخ الحلوي، وزاوية أبي زيد عبد الرحمان بن علي، وزاوية السنوسي بتلمسان⁴.

4 - التأليف:

يذهب كثير من المؤرخين على أن التأليف هو مرآة عاكسة لروح العصر (سلبا أو إيجابا)، ومن خلال اطلاعنا على بعض المصادر الخاصة بهذه الجزئية من البحث تأكد لنا وجود عدد هائل من العلماء في عهد الدولة الزيانية وقد ترك هؤلاء العلماء تراثا علميا كبيرا توارثته الأجيال طيلة قرون متتالية ومن هنا يمكننا القول بان تلمسان أصبحت ثقافيا تتغذى من رافدين هامين رافد المشرق، ورافد الأندلس فضلا عن الجهاز العلمي والثقافي المحلي والمغربي فنتج عن ذلك تكوين كوكبة من الأساتذة والعلماء، تميزوا بغزارة التحصيل وعمق التفكير حتى أصبحوا حجة في الفقه والتفسير، وعلم الأصول والنحو والأدب، والتاريخ وعلوم عقلية أخرى⁵، خاصة في القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي، وهكذا يعتبر إنتاج القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي من أوفر إنتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين (أو العلماء) والمؤلفات المصنفة في كل ميادين المعارف (وفي إحصاء سريع أجرته لأسماء العلماء المنتجين خلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر(هجري) وجدت أنّ

¹ - سورة آل عمران، الآية، 200

² - محمد حجي، الزاوية الدلالية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مرجع سابق، ص 23

³ - دائرة المعارف الإسلامية، المترجمة الى العربية، المجلد العاشر، العدد التاسع، ص 332

⁴ - عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية، مرجع سابق صص 118- 119.

⁵ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال

القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 57

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

عدددهم في القرن التاسع يفوق أعدادهم في القرون الباقية متفرقة... وكثير من إنتاج القرن التاسع ظل موضع عناية علماء القرون اللاحقة والتعليق عليه وتقليده¹.

5- اهتمام السلاطين بالعلم و العلماء

لاشك أن العلماء في هذه الفترة الزمنية كانوا بمثابة همزة وصل بين السلطة والشعب، أو بعبارة أخرى وسيلة اعلامية- في نظرنا- إذ أن ثناء العالم على الحاكم مثلا يجعل الرعية(الشعب)راضية على هذا الحاكم، خاصة وأن أبرز علماء هذه الفترة هم علماء دين -كلمتهم مسموعة- لذلك فإنه ليس من الغرابة أن يولي حكام الدولة الزيانية اهتماما بالغا بالعلماء ويعتبر السلطان يغمراسن أول من شجّع الحركة الفكرية والتعليمية بتلمسان ورغب رجال العلم في القدوم إلى عاصمته(تلمسان)وأغدق عليهم الأموال والهدايا والجرايات وأعلى منزلتهم وشجّعهم على التدريس والتأليف² وتذكر كثير من المصادر أن هذا السلطان كانت له رغبة كبير في استقدام العلماء وتقريبهم إليه، ولا أدل على ذلك من قصته مع عالم مدينة تنس الشيخ أبو اسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي³، أما السلطان أبو حمو موسى الأول فقد جعل مدينة تلمسان منارة للعلم يقصدها العلماء وأهل الفكر نذكر منهم الفقيهين الكبيرين ابني الإمام أبي زيد وأبي موسى اللذين قرّبهما إليه وكان يكثر من مجالستهما والاستماع إلى نصائجهما وعلمهما الغزير واختصّهما بالفتوى والشورى⁴. وقد كان أبا حمو الأول كعادة سلاطين المغرب حريصا

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ج2، مرجع سابق، ص39- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان

الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م، مرجع سابق، صص 57-58

² - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م، مرجع سابق، ص 60

³ - أبو اسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي، من كبار العلماء والفقهاء في أقطار المغرب الإسلامي، وهو من مدينة تنس، استقدمه يغمراسن للتدريس في تلمسان فاستوطنها و توفي بها سنة 680هـ/ 1281م يراجع: يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج1، مصدر سابق، ص، 144- التنبكي، ليل الابتهاج، مصدر سابق، ص 38 - ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 66 .

⁴ - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق، ص 321- 322- مسعود بقادي، هجرة علماء

تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م، مرجع سابق، صص 60-61

على التقرب من العلماء وضمهم إلى بلاطه ومن أمثلة ذلك تقربه من ابني الإمام وبني لهما مدرسة تحت إشرافهما¹

ومن هنا نشأ العديد من سلاطين الدولة الزيانية على حبّ العلم والعلماء حتى تفوق العديد منهم في كتابة الشعر وغيره... فهذا السلطان أبو حمو الثاني كان عالما يقرض الشعر ويحبّ أهله... ولم يقتصر إنتاجه الفكري على الشعر فحسب بل ألف العديد من التأليف أبرزها كتابه الشهير في إدارة الشؤون السياسية (الذي ألفه خصيصا لإبنة وولي عهده أبي تاشفين) والمعروف ب: " واسطة السلوك في سياسة الملوك"²

لقد كان أبا حمو الثاني قمة السلاطين في تحصيل العلم والتأليف فيه مما يؤهه مكانة كبيرة بين سلاطين العالم وكانت مرحلته من أزهى مراحل الدولة الزيانية في العلوم والمعارف³.

وفي نظرنا أن هذه المكانة التي تبوأها العلماء لدى بعض سلاطين الدولة الزيانية و إن كان ظاهرها هو حب العلم و العلماء إلا أن باطنها يدل دلالة قطعية على دهاء و بعد نظر هؤلاء السلاطين الذين أدركوا أن الوساطة بينهم و بين عامة الشعب هم العلماء الذين وجب استغلالهم لتمرير رسائل عدة إلى الرعية خاصة و أن كلمة العالم دائما تكون مسموعة أو على الأقل لا تلقى معارضة علنية (خاصة علماء الدين) و من ثمة ضمنوا (السلاطين) استقرار وهدوء الرعية وتجنبوا الاصطدام معهم إذ أن كثيرا من علماء الدين كانوا يهدفون بشتى الطرق إلى تفادي الفتنة داخل المجتمع لأن الفتنة أشد من القتل و هنا حق لنا أن نتساءل عن نوعية واتجاهات هؤلاء العلماء؟

إن معظم الدراسات التي تناولت علاقة العلماء(مهما كانت اتجاهاتهم) بالسلاطين في ربوع العالم الإسلامي قد قسّمتهم إلى فئات (مجموعات) ثلاث علماء السلطة و هم الذين يسيرون في فلکها علماء مستقلون تخشى الدولة من نفوذهم

¹ - عبد الجليل قرين، السياسة التعليمية للدولة الزيانية مرجع سابق ص 57

² - هذا الكتاب عبارة عن نصائح سياسية وأخلاقية وتنظيمية.يراجع،عبد العزيز فيلاي،تلمسان في العهد الزياني،مرجع سابق،ص 323

³ -مسعود بقادي،هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م،مرجع سابق،ص 61

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

علماء انغزاليون لا علاقة لهم بما يجري في الحياة¹

ومن خلال غوصنا في هذا الموضوع خاصة في جزئته المتعلقة بالإهتمام الكبير الذي أولاه سلاطين الدولة الزيانية بالعلماء يمكننا الخروج بالملاحظات التالية:

أولاً: الاستعانة بهم في تسيير شؤون الدولة ومن أمثلة ذلك أنه لما علم السلطان أبوحمو موسى أن للآبلي دراية بعلم الحساب طلب منه أن يشتغل بأمر الحساب وضبط أموال الدولة فتفادى الشيخ من هذا الوظيف ولكن السلطان ألح عليه ثم أكرهه ففرّ إلى فاس في حدود سنة 710هـ/1310 م وبهذه المدينة انتشر ذكره وذاع صيته وصار يدعى بعالم الدنيا ... ومن أشهر تلاميذه عبد الرحمان بن خلدون وأخوه يحيى بن خلدون وابن مرزوق الجد والشريف التلمساني².

ثانياً: نفوذ العلماء ذلك أن التأثير في الأفراد والجماعات لا يكون إلا بواسطة العلم مصداقاً لقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات، وقد أدرك كثير من سلاطين الدولة الزيانية ما لهؤلاء العلماء من مكانة عند عامة الناس وخاصتهم فسعوا إلى كسب ودهم والتودد إليهم كي يحافظ هؤلاء السلاطين على مكانتهم عند الرعية ذلك أن لكلمات العلماء عند الملوك وقع كبير³.

ثالثاً: تباهي السلاطين بالعلماء، لقد كان ثمة تنافساً شديداً بين سلاطين المغرب الإسلامي في جمع العلماء فبالإضافة إلى مكانتهم ونفوذهم الروحي عند العامة والخاصة من الناس فقد كانوا محل فخر واعتزاز وتباه بين السلاطين⁴.

الحياة العلمية في الجزائر العثمانية خلال القرن 10هـ / 16م : ثمة ارتباط وثيق بين الأوضاع السياسية وعلاقتها بالأوضاع الثقافية، وهي الصورة التي كان عليها الوضع في الجزائر مع مطلع القرن ال10هـ/16م. إذ أنه ومع ظهور الأطماع الأوربية، وتزايدها على سواحل المغرب الإسلامي (وبصورة

¹- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 62

²- محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، مرجع سابق، صص 217-218، يراجع كذلك: الجداول التي تبين مدى اعتماد السلاطين على الفقهاء والعلماء في أهم الوظائف آنذاك - عبد الحليل قريان، نفس المرجع، صص 48-49-50-51

³- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 61-62

⁴- نفسه، ص 62

أدق الأطماع الإسبانية) ناهيك عن ظهور الأتراك في حوض البحر المتوسط (متمثلين في الإخوة بربروس في بداية الأمر) بالإضافة الى ضعف حكام الدولة الزيانية، كل هذا وذاك انعكس سلبا على الوضع الثقافي، ذلك أن جل المؤرخين (جزائريين أو أجانب) والذين كتبوا عن هذه الفترة قد وصفوها كما يشير الى ذلك الباحث سعد الله أبو القاسم "ببداية عصر الانحطاط الثقافي"¹. رغم أن هذا الانحطاط كان قد بدأ ينخر جسم العالم الإسلامي منذ فترة طويلة، ذلك أن ظاهرة الجمود كانت عامة²

العوامل المؤثرة في الواقع الثقافي :

سبق وأن تناولنا العديد من العوامل المؤثرة بشكل كبير في الواقع الثقافي الذي عرفته الجزائر مع مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ولعل أهمها الهجرة الأندلسية³ والغزو الإسباني للسواحل الجزائرية⁴ والتواجد العثماني بالجزائر⁵

هذه العوامل الثلاث - في نظرنا - هي التي جعلت الوضع الثقافي في الجزائر طيلة القرن 10هـ/16م وضعاً سلبياً (أي الانغلاق على الذات) خاصة بالنسبة لفئة كبيرة من علماء الدين، وبذلك كان فقهاء الجزائر الذين عاشوا في القرن الأول من العهد العثماني يرددون أقوال المتقدمين ويحفظونها حفظاً سطحياً لا عقل فيه ولا تفكير... يتظاهرون بالحفظ وقوة الحافظة، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن هناك فئات عديدة من المجتمع الجزائري كانت تؤيد تدخل وبقاء العثمانيين في الجزائر ذلك أن آل

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق ص 19

² - نفسه ص 19

³ - حول عوامل ودوافع ونتائج هذه الهجرة أنظر الرسالة القيمة للدكتور عبد المجيد قدور، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط (الجزائر) خلال القرن 16 / 17م ونتائجها الحضارية، رسالة ما جستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة - بتاريخ 25 جوان 1994

⁴ - عن تفاصيل هذا الغزو، أسبابا ومراحل ونتائج يراجع - نجيب دكاني، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية ووردود الفعل الجزائرية خلال القرن 10هـ / 16 م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف، د، ناصر الدين سعيدوني جامعة الجزائر، 2001 / 2002

⁵ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 63-64

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

عثمان هم الذين هياهم القدر والعناية الإلهية لحكم المسلمين وأن المتردد عليهم سيقع لا محالة فريسة في أيدي المسيحيين¹

تؤكد معظم الدراسات التاريخية أن الإنتاج الثقافي خلال فترة القرن 10هـ/16م للجزائر العثمانية كان محصورا في بعض التفاسير والشروح والحواشي الفقهية والعقائدية التي دوّن مصنفاتها القدامى وكان مضمون الإنتاج يغلب عليه التقليد من حيث التفكير، وكثر استعمال كلمة الحافظ من حيث التفكير² وكثر إطلاقها على جل العلماء والفقهاء، فإذا عدت إلى كتاب (كالبستان) لابن مريم لوجدته يذكر في ترجمة كل فقيه، الكتب التي حفظها .. وظاهرة الحفظ جمّدت الإنتاج في العلوم، وجعلته مجرد تكرار لأعمال الآخرين³.

ولعل هذه الميزة لا تقتصر على علماء و فقهاء المغرب الاسلامي فحسب، بل هي ظاهرة سادت جلّ أقطار العالم الاسلامي آنذاك، والتي جعلت شعوبه تمتاز بالجمود الفكري والسياسي وحتى الاقتصادي الذي يرجعه البعض الى تلك الأوضاع المتردية التي يتحمل مسؤوليتها كل من الحكام والمحكومين على حد سواء، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تضع اللبنة الأولى للخروج من عصر الظلام (العصور الوسطى) الى عصر الإستنارة بفضل حرية الفكر والإبداع وتشجيع كل ما من شأنه أن يخدم غالبية الشعوب الأوروبية، والتخلص تدريجيا من قبضة وهيمنة الكنيسة، التي كانت الى وقت قريب تهيمن على الحياة العامة في أوروبا بواسطة رجال الدين من قساوسة و رهبان⁴

ولعل الفارق بين شعوب العالمين الإسلامي و الأوربي المسيحي خلال هذه الفترة (في نظرنا) يتمثل في نظرة كل من الطرفين الى الحياة ، إذ يرى معظم أفراد الطرف الأول (العالم الإسلامي) أن الحياة

¹ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 64-65

² - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، مرجع سابق، ص 61

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، مرجع سابق، ص 10 ، 11 - مسعود بقادي، هجرة

علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 75

⁴ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 75-76

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

لا قيمة لها في ظل تلك الظروف، بل هي مطية للآخرة فقط متناسين في ذلك قوله تعالى(ولا تنس نصيبك من الدنيا) بينما يرى معظم أفراد الطرف الثاني (العالم الأوربي المسيحي) أنه برغم الظروف الصعبة لتلك المرحلة خاصة السياسية والدينية، فإنه يجب على الكل أن يعيش هذه الحياة بآلامها وآمالها لأن الفرد يعيش مرة واحدة وعليه، يجب أن يخلد اسمه وأن يعيش كل دقيقة بل كل ثانية من عمره، وربما المفارقة العجيبة بين العالمين (الإسلامي والأوربي المسيحي) خلال هذه الفترة هي أن أكابر الثوريين في العالم الأوربي كانوا رجال دين و على سبيل المثال لا الحصر، الألماني مارتن لوتر(1483 – 1546م) والفرنسي يوحنا كالفن (1509 – 1564م)، فقد كانوا يؤمنون بأفكار تحررية ويطبقونها أي أنهم كانوا عمليين، عكس بعض العلماء المسلمين الذين كانوا لا هم لهم سوى الخوف من هذه الدنيا وبغض من يجبها ويركن إليها وهذه المفارقة هي التي كانت ولا تزال الى يومنا هذا محل دراسة وبحث من طرف العديد من الفلاسفة والباحثين¹

الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى مع نهاية ق 9هـ-15م وطيلة القرن 10هـ-16م:

ألفت العديد من الكتب التي تتناول التاريخ السياسي للمغرب الأقصى في مراحلها المختلفة غير أن الدراسات الخاصة بالجانب الثقافي للمغرب الأقصى في الفترة الحديثة كانت قليلة من جهة وتمتاز بالعموم-حسب اطلاعنا- ومحاولة منا لتتبع الوضع الثقافي -خلال القرن العاشر هجري/السادس عشر الميلادي، وربطه بالواقع السياسي تحتم ربط هذا الواقع بالدويلات الثلاث (المرينية والوطاسية والسعدية) وذلك للخروج بفكرة واضحة تخدم موضوعنا، ذلك أن التواصل الفكري كان السمة البارزة لعلماء القرن 10هـ/16م، وهو ما سنكتشفه من خلال هذه الدراسة.

- الوضع الثقافي بالمغرب خلال فترة الدولة المرينية

رغم ما امتازت به مرحلة الدولة المرينية من صراعات داخلية وخارجية غير أن الواقع الثقافي امتاز بما يلي:

- وجود أكبر حركة ثقافية وعلمية وفكرية شهدتها البلاد طوال تاريخها الإسلامي خاصة بسبب هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأقصى بفنهم وعلمهم وثقافتهم وبرزت بذلك فاس (عاصمة بني مرين) متفوقة على جميع مدارس المغرب وبرزت في ميدان الحضارة وتألق نجمها في عالم الفكر

¹-مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال

والثقافة¹. أضف إلى ذلك أن سلاطين بني مرين لم يقيموا دولتهم على فكر ديني معين ... واحتضن السلاطين في مجالسهم العلماء على اختلاف مستوياتهم، وبذلك شهد عصر بني مرين بالمغرب الأقصى وجود أكبر حركة ثقافية وعلمية وفكرية شهدتها البلاد طوال تاريخها الإسلامي وكانت مجالس السلاطين عبارة عن ندوات علمية تطرح فيها الأفكار وتناقش وهو ما يدل على شغف السلاطين بالعلم وحبهم للعلماء². وقد اهتم بنو مرين بالمدارس، حيث كان الطلبة يقيمون فيها على نفقة السلطان المريني، واهتموا بها لتدريس الفقه المالكي وضمنوا معاش الأساتذة وآووا الطلاب .. كل ذلك يؤكد تقدم الحركة الفكرية³ وقد انعكس ذلك على حركة التأليف خاصة كتب الفقه والعلوم المرتبطة به.. وعلى سبيل المثال لا الحصر :

المناسك الفقهية المنوطة بالأحكام الشرعية لابن منصور المغربي

شرح مختصر خليل للقوري في ثماني مجلدات

تفسير القرآن لأبي القاسم السلوي⁴.

2 - الوضع الثقافي بالمغرب خلال فترة الدولة الوطاسية:

كثرت الاضطرابات في هذه الفترة والملاحظ على الأوضاع الثقافية هو انتشار ظاهرة التصوف⁵، إذ انتشرت الطرق والزوايا بشكل لم يسبق له مثيل، والروايات عن كرامات الصوفية بما تحتوي عليه من

¹ - عبد الفتاح مقلد غنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مرجع سابق، ص 274

² - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 77

³ - ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 165

⁴ - نفسه، ص 170 - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال

القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 77-78

⁵ - ظاهرة التصوف قد عرفها المشرق العربي بعد القرن الثاني الهجري، وسرعان ما انتشر التصوف مع حركة الفتوحات الإسلامية ومنها وصل الى شمال افريقيا، الحديث عن التصوف حديث طويل وشاق، وبقدر ما هو واسع ومتشعب بقدر ما هو ممتع وحساس يجعل الانسان يغوص في أعماق النفس البشرية ليحاول معرفة أسرارها ومن ثمة أسرار الكون والطبيعة وكل شيء للتوسع في هذا الموضوع يراجع:- عبد الرحمان عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ط4، دار الحرمين للطباعة، القاهرة 1993 - أحمد زروق، قواعد التصوف، صححه ونقحه محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1968

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

مبالغات أكثر من أن تحصى¹. والشيء الملفت للإنتباه هو أن نشاط هذه الطرق الصوفية تزامن مع عمليات الغزو البرتغالي للثغور المغربية فكان حماس طوائف الصوفيين كبيرا للجهاد وذلك لمواجهة هجمات البرتغاليين² ولا بد لنا من أن نشير هنا الى وجود طائفتين كبيرتين آنذاك كان لهما أتباع كثير، أتباع الطريقة القادرية (تنسب إلى عبد القادر الجيلالي دفين بغداد) وأتباع الطريقة الجزولية (التي تنسب إلى محمد بن سليمان الجزولي) الذي أنشأ هذه الطريقة في القرن 15م³ ومن أبرز كبار المتصوفة في هذا العصر، عبد العزيز بن عبد الحق تبايع، وهو تلميذ الإمام الجزولي ووارث طريقته⁴، وهذه الطريقة مبنية على :

التوبة عن الذنوب والإكثار من البر والعمل الصالح

الإقتداء بالشيخ عالم بالظاهر والباطن .

إتباع السنة النبوية .

التزام الأخلاق والآداب الفاضلة⁵ .

ورغم تراجع الحركة الفكرية في عهد الوطاسيين إلا أن التعليم في الكتاتيب والمدارس ظل شبيها بما كان عليه في الماضي ... فمن حفظ القرآن الكريم في ألواح خشبية، إلى حفظ رسالة أبي زيد القيرواني

¹ - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص، 214 - 215

² - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 78

³ - شوقي عطالله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، (ليبيا- تونس - الجزائر - المغرب) ط1، مكتبة الأجلو المصرية، 1977م، ص 46

⁴ - الجزولية، نسبة إلى مؤسسها أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، من قبيلة جزولة الأمازيغية في السوس من بلاد المغرب الأقصى، حيث بدأ تعليمه هناك وانتقل إلى فاس، ودخل مدرسة الصفارين، حجّ إلى مكة ومنها إلى المدينة والقدس وأقام هناك نحو أربعين عاما، عاد الى فاس وأنشأ الطريقة الجزولية، توفي نحو سنة 1470م، له مؤلفات في التصوف أهمها، دلائل الخيرات، وشوارق الأنوار .يراجع: جورج كرم ، وبطرس البستاني، المنجد في الأعلام، ط2، دار الشرق، بيروت، 1969، ص 170

⁵ - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 217 - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى

فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 78

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

ثم ألفية ابن مالك¹. ومع ذلك فقد تدهورت حركة التعليم بشكل واضح إذا قارناها بما كانت عليه في العصر المريني². وبموازاة ذلك كان رجال الأدب في هذا العهد من الفقهاء الذين جمعوا بين العلوم الدينية وقرض الشعر، على أن الأدب الذي يصور بطولية الشعب وصراع الدولة مع الاحتلال قد شاع في هذا العصر³.

3- الحياة الثقافية في المغرب خلال فترة الدولة السعدية (النصف الثاني من قرن 10هـ/16م)
مع بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي ظهر هناك سلاطين سعيديون أثروا الحياة الثقافية واهتموا بها، ومن ذلك محمد الغالب (964 - 981 هـ / 1575 - 1574 م) الذي كان عادلا في أحكامه محبا للصلحاء رغم أنه كان قاسيا على بعض أرباب الزوايا في حين كان يتقرب إلى أرباب الطريقة الجازولية على أن أكبر فترة قوة عاشها المغرب في تاريخ الدولة السعدية هي فترة حكم أحمد المنصور الذهبي (1578 م - 1603 م) الذي كان له شعر غزير⁴، وكان واسع الثقافة، وقرب إليه العلماء والفقهاء حتى عرف بخليفة العلماء وعالم الفقهاء⁵. ومن شدة حبه للعلماء فقد قام بتخليص أحمد بن القاضي من الأسر باذلا في فدائه 20.000 أوقية من الذهب (ما ينيف عن مائة كيلو ذهب)⁶. وقد امتد حكمه أكثر من ستة وعشرين سنة⁷.

¹ - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 253

² - نفسه، ص 255

³ - يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية، مرجع سابق، ص 228 - مسعود بقادي، هجرة علماء

تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 78-79

⁴ - مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكميلية، مصدر سابق، ص 63-64 - 65-66 يراجع كذلك:

يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية، مرجع سابق، ص 218

⁵ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع

سابق، ص 80 ولمزيد من التفاصيل حول اعمال هذه الشخصية الكبيرة يراجع، الفشتالي، مناهل الصفا في تاريخ

موالينا الشرفا- ابن القاضي، المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور- التمجروتي، النفحة المسكية في السفارة

التركية

⁶ - مجلة دعوة الحق، العدد 93، المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور (لابن القاضي)

⁷ - ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ص، 200

الفصل الثاني:.....الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م

ومما تجدر الإشارة إليه ويحسب لأحمد المنصور إنشاؤه لمكتبة أطلق عليها المؤرخون اسم الخزانة الأحمدية أو السعدية التي تعتبر أكثر تطورا وملائمة حيث تتوفر على قاعة للمطالعة و أخرى لحفظ الكتب (القبة) من ثلاثين متر مربع، و جهّزت برفوف خشبية توضع عليها الكتب وبها نوافذ تسمح للضوء وللتهوية بالدخول¹.

ومن خلال ما سبق ذكره عن الوضع الثقافي يمكننا القول بأنه رغم مميزات الحياة الثقافية خاصة خلال القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي، من تقليد واجترار لمؤلفات الرعيل الأوّل من العلماء المسلمين، إلا أنّ ذلك قد خدم الثقافة المحلية بالحفاظ على تماسك المجتمع وتربط أبنائه في بوتقة العروبة والإسلام. والملفت للنظر كذلك هو ظاهرة التصوف التي طغت على المجتمع سواء في الحواضر أو الأرياف، والتي أصبحت سمة العصر، ولو أنّ إرهاباتها كانت قبل هذا القرن بكثير، فإنها قد ساهمت هي الأخرى في احتواء المجتمع أفرادا وجماعات ورغم ما لها من إيجابيات فقد طبعت على سلوكيات غالبيتهم بالزهد في الدنيا والاكتفاء منها بالرضا والقناعة وهو ما ساهم في ركود المجتمع وتقهره وجعله لقمة سائغة للدخيل الأجنبي ولوبعد حين².

¹ - نزهة بن الخياط، مكتبة جامع القرويين عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 12

² - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال

القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 81

الفصل الثالث: العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

العلوم والمعارف بالمغرب الأوسط

العلوم النقلية(الدينية) وأنواعها

1- علوم القرآن الكريم

2 - التفسير

3 - علم الحديث

4- علم الفقه

5- علم أصول الفقه

6- علم الكلام والعقائد

7 - علم التصوف

العلوم اللسانية:

1 -اللغة وآدابها

2 -علم الصرف والنحو

العلوم العقلية وأهم روادها :

العلوم والمعارف بالجزائر مع بداية العهد العثماني

الحركة العلمية بالمغرب الأقصى

الحركة العلمية في عهد المرينيين

العلوم الدينية

العلوم العقلية

الحركة العلمية في عهد الوطاسيين

العلوم والمعارف في عهد الدولة السعدية

عوامل وأسباب ازدهار الحياة الفكرية في عهد الدولة السعدية

1 عناية الأشراف السعديين بالعلم واهتمامهم بالعلماء

2 تأسيس المكتبات والخزائن

3 تأليف الكتب

4 - انتشار المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية

5- الزوايا ودورها العلمي

العلوم النقلية والعقلية في العهد السعودي

1 - العلوم النقلية

2 - العلوم العقلية

المراكز الثقافية في العهد السعودي

1 -مراكش

2- فاس

3 -سجلماسة

4- تارودانت

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

شكلت العلوم والمعارف دورا محوريا في المشهد الثقافي للمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ولاشك أن هذه العلوم والمعارف هي استمرار لعمل وإنجازات العلماء الذين عاشوا قبل هذه الفترة الزمنية إذ لا يعقل أن نتحدث عن علم من العلوم ما لم نرى وضعيته ومميزاته قبل هذه الفترة، ونكاد نجزم القول بأن العلوم والمعارف في المغربين خلال هذه الفترة هي نفسها التي ميزت الحياة الثقافية للبلدين خلال القرون السابقة، اللهم الا تلك الشروح والحواشي التي قام بها ثلة من علماء البلدين، وقد افتقر المشهد الثقافي خلال هذه الفترة لعنصر التجديد والاجتهاد، ولعل الظروف الداخلية والخارجية للمغربين الأوسط والأقصى كان لها تأثير كبير في هذا المجال، وهو ما سنحاول إمطة اللثام عنه في هذا الفصل.

العلوم والمعارف بالمغرب الأوسط:

لقد عاشت في عصر الدولة الزيانية مجموعة كبيرة من العلوم، كانت تشكل المحتوى الفعلي للحركة العلمية، وكانت تختلف من مكان الى آخر، ومن فترة الى أخرى، حسب الأهمية وحسب ما توفر من علماء تدريس تلك المواد، وكانت الرحلة في طلب العلم تعبيراً صادقا عن التطلع لامتلاك نواصي بعض العلوم غير المتوفرة في البلاد، أو لزيادة في المشيخة، وحسن التعليم¹، وقد عرفت الحياة الثقافية في المغرب الأوسط على عهد الدولة الزيانية تطورا علميا وازدهارا ثقافيا وفكريا هاما برزت معالمه من خلال النشاط العلمي الذي عرفته البلاد والذي ترجمته حركة العلماء وشغفهم في التحصيل وانتهاج العلوم واقبالهم على الابداع والتأليف، والذي ظهر جليا من خلال المصنفات والكتب التي ألفت في تلك الفترة والتي تنوه عن المشاركة الفعالة لعلماء بني زيان في مختلف العلوم العقلية والنقلية². ويعتبر العصر الزياني في المغرب الأوسط من أزهى العصور حيث ازدهرت فيه الثقافة والتعليم وعرفت البلاد أوج

¹ - عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية (1236-1554م)، مرجع سابق، ص 162

² - هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المغربية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، اشراف، بودواية مبخوت، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان- 2007/2008م، ص 41

مجدها الحضاري والفكري والعلمي، ويعود هذا الى نمو الحركة التعليمية التي ساهمت في ظهور جيل من العلماء الكبار الذين قادوا المسيرة العلمية في هذا العصر¹ وتذهب الباحثة هوارية بكاي الى أنه "من مظاهر هذه الحركة الثقافية والفكرية اهتمام سلاطين بني زيان بالعلم والعلماء، والعمل على تقريبهم من مجالسهم، وحضور دروسهم وإجراء الأرزاق عليهم، وبناء المدارس والمساجد ومختلف المؤسسات التعليمية للخوض في مختلف العلوم، كل ذلك جعل تلمسان الزيانية عاصمة الدولة حاضرة علمية وثقافية هامة تتوافد عليها قوافل العلماء وطلبة العلم من المشرق والمغرب والأندلس للإستزادة والتحصيل والإجازة من كبار شيوخها وعلمائها"² وكانت هناك منافسة شديدة بين سلاطين الدولة الزيانية من جهة وسلاطين الدولة الحفصية والمرينية من جهة أخرى، في الاهتمام بالعلوم والآداب، وإنشاء المراكز التعليمية، واستدعاء أشهر العلماء للتدريس فيها، وكذا تقريب هؤلاء العلماء والأدباء الى مجالسهم³. وقد كانت مملكة تلمسان من الدول الراقية أدبيا وعلميا واصبحت مركز ثقافة وعلم وأدب واجتمع فيها رجال الأدب والفن⁴. إذ ساهم العلماء في ازدهار الحياة العلمية بالتدريس وبث العلم والمؤلفات وشاركوا في المناقشات العلمية مع نظرائهم وكانوا يقومون بمناظرات في قصر السلطان الزياني لحل بعض القضايا المحلية كقضايا الميراث⁵ والجدير بالذكر كذلك أن سلاطين بني مرين قد منحوا الجانب الفكري والعلمي اهتماما كبيرا فقبوا العلماء من مجالسهم واعطوهم مطلق الحرية في التنقل لانتهاج العلوم والتحصيل، فتنوعت على عهدهم العلوم وازدهرت، وكان اهتمام علماء بني مرين بمختلف العلوم النقلية والعقلية، الا أنهم أواوا العلوم الدينية

¹ - محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، اشراف، عبدلي لخضر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010/2011م، ص 3

² - هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المغربية سياسيا وثقافيا، مرجع سابق، ص 41

³ - محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، مرجع سابق، ص 23

⁴ - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار عمر راسم للنشر والتوزيع، الجزائر، 1931، ص 90

⁵ - نبيل شريحي، المناظرات والمناقشات العلمية لعلماء تلمسان في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرنين

15/14م، دورية كان التاريخية، عدد، 13، 2011، ص 63

كالتفسير والفقه والحديث عناية خاصة¹. على أن العلامة عبد الرحمان بن خلدون قد قسم العلوم من حيث الغاية من دراستها الى قسمين²

- أ- علوم مقصودة بالذات: يتوجب الاتساع في دراستها، وهي العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكذلك العلوم الطبيعية والالهية
- ب- علوم آلية: تساعد على دراسة العلوم السابقة كالعربية والحساب للشرعيات والمنطق للفلسفة وأصول الفقه، وهذه الأخيرة يتوقف مقدار دراستها على الحاجة اليها ولايجي توسيع المدار فيها، لأن ذلك مضیعة للوقت وقد يؤدي الى التخصير في دراسة العلوم الأساسية³

أما من حيث أصنافها فقد قسمها الى قسمين رئيسيين علوم عقلية وعلوم نقلية وعن ذلك يقول: "اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعلیمًا على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي اليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه، والأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها، حتى يقفه نظره وبخثه على الصواب من الخطأ فيها، من حيث هو انسان ذو فكر، والثاني هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالأصول⁴. ويندرج تحت هذين القسمين علوم فرعية كثيرة وضحها ابن خلدون بشيء من التفصيل والبيان حسب مخططه الذي أمكنه استيعاب جميع العلوم والمعارف المعروفة في تلك الفترة بالمغرب الاسلامي⁵.

¹ - هوارية بكاي، العلاقات الزبانية المغربية سياسيا وثقافيا، مرجع سابق، صص 144-145

² - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، صص 453-454-455

³ - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 181

⁴ - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 453

⁵ - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 181

العلوم النقلية(الدينية) وأنواعها :من خلال تصفح كتب التاريخ والتراجم والنوازل يدرك القارئ الباحث أن العلوم الدينية بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني عرفت إقبالا وازدهارا لم تشهده من قبل ويبرز هذا من اعتبار تراث هذه الفترة في مجال هذه العلوم أحصى وأوفر إنتاج ثقافي كان خلاصة لإنتاج ثلاثة قرون مبتدئة بعهد الموحدين¹

تعتبر العلوم النقلية من أكثر العلوم أصنافا واهتماما"لأن المكلف يجب أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه،وهي مأخوذة من الكتاب والسنة وبالنص أو الاجماع أو بالإلحاق"لذا نفقت أسواقها وزهبت مصطلحاتها،وتبت فنونها فكانت في غاية الحسن والاتقان لدرجة أصبح فيها موضع كمال واختص علم منها برجاله مشرقا ومغربا"²

لقد جاء إمام المغاربة بمختلف العلوم نتيجة الرحلة التي قاموا بها الى مختلف الحواضر الاسلامية الكبرى،مع التأكد على طابع بلاد المغرب الذي تجلى بوضوح في كتابة المصاحف،فاستوعب المغاربة ماتلقوه،ووقفوا منه موقفهم الخاص بالنسبة للعلوم³.لقد غلب على المغرب الأوسط في العهد الزياني الطابع الديني،فتميز هذا العصر بتأثير الدين على الحياة الفكرية،ولذلك وجّه الفقهاء والعلماء اهتمامهم بهذه العلوم،التي عرفت تطورا وازدهارا كبيرا،خاصة في التفسير والحديث والفقهاء،فكثر المشتغلون بها،لاسيما وأنها كانت تمكن الطلبة من الحصول على وظائف هامة في القضاء والدواوين الادارية وغيرها من المناصب،بالإضافة الى أنها من العلوم المحمودة التي يقبل عليها الناس،حتى تصح عبادتهم وتستقيم معاملاتهم⁴.ولهذا الغرض فقد خصّصت الدولة مجالس للتفسير والفقهاء والوعظ والذكر،فكان القرآن الكريم على رأس هذه العلوم حيث اهتم أهل تلمسان بدراسته وحفظه وتفسيره باعتباره المصدر الأول لشريعتهم فكانوا يدرّسونه في الكتاتيب والمساجد والمدارس⁵.وقد أوعز بعض

¹ - سعد الله أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج1،ص 39

² - عبد الرحمان بن خلدون،المقدمة،مصدر سابق،ص454

³ - بركات اسماعيل،الدرر المكنونة في نوازل مازونة،دراسة وتحقيق،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في

التاريخ الاسلامي الوسيط،اشرف،عبد العزيز فيلاي،كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية،قسم التاريخ والآثار،جامعة منتوري-قسنطينة- 2010/2009م،ص 105

⁴ - هوارية بكاي،العلاقات الزيانية المغربية سياسيا وثقافيا،مرجع سابق،صص 59-60 نقلا عن أبو حامد

الغزالي،احياء علوم الدين ج1،دار الثقافة،الجزائر،1991،ص 26-27

⁵ - نفسه،ص 60،نقلا عن عبد العزيز فيلاي تلمسان في العهد الزياني،ج2 ص 437-438

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

الباحثين هذا الميل للعلوم الشرعية على حساب العلوم الدنيوية من اجتماعية وطبيعية الى الاختلال الذي وقع بين بين العقلانية والروحانية في العالم الإسلامي آنذاك¹. وأصبح الدين هو المؤثر في الحياة الفكرية كلها، وهو ما جعل العلماء يوجهون اهتمامهم الى العلوم المرتبطة به² من أبرز العلوم الدينية التي اهتم بها العلماء في العهد الزياني نذكر ما يلي :

1- علوم القرآن الكريم:

يقصد بعلوم القرآن الأبحاث التي تتعلق بكتاب الله عز وجل من حيث النزول، والجمع والترتيب والتدوين، ومعرفة أسباب النزول، والمكي والمدني، ومعرفة النسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه³. اهتم المسلمون بالقرآن الكريم منذ القرون الأولى باعتباره المصدر الأول للإسلام والناظم لشؤون المسلمين الدينية والدنيوية، لذا كان على رأس العلوم التي أولاهها المسلمون عناية خاصة فهو (أي القرآن الكريم) كما يقول الإمام أحمد بن محمد القسطلاني (ت: 923هـ/1517م) "ينبوع العلوم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وأصل كل علم ورأسه"⁴. وهذا العلم يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه ونحو ذلك، ويشمل فروعاً كثيرة كعلم القراءات والتفسير وأسباب النزول والتجويد وعلم المكي والمدني وعلم إعجاز القرآن والرسم القرآني وإعراب القرآن⁵، ونظراً لأهمية العلوم

¹ - محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، مرجع

سابق، ص 120

² - بوعبيد محمد آغا، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ق 9 هـ / 15 م، ط2 منشورات ثالة، الأبيار،

الجزائر، 2011، ص 64

³ - طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تح، كامل بكري وعبد الوهاب أبو

النوار، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1968، ص 54

⁴ - لطائف الإشارات لفنون القراءات، ج1، تح، مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف، المملكة العربية السعودية، 1434هـ، ص 3

⁵ - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع

سابق، ص 182

الشرعية بصفة عامة في حياة الفرد والمجتمع آنذاك يقول أحد الفقهاء "الناس يحتاجون الى العلم في الدين كما يحتاجون الى الطعام والشراب"¹.

2- التفسير:

التفسير هو شرح كلام الله تعالى ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه إلى فهم العربية، وليعتاد بممارسته الجديدة فهم العرب وأساليبهم، فشمّل هذا العلم التشريع والتاريخ، وعلم التفسير يعد في مقدمة العلوم الدينية لأنه منبع العلوم الشرعية التي تعتمد على منهج القرآن والسنة في سياسة الدنيا والدين، لأننا بصدد دين غير النظم وبدل الدساتير والقوانين الوضعية².

تشير النصوص التاريخية الى أن عددا هائلا من المفسرين التلمسانيين الذين اشتغلوا بعلم القرآن، وبيدوا -حسب أحد الباحثين³- أن أغلبهم كان يعتمد على الأثر في تفسيره وأنهم قليلوا العدد⁴. وقد شاع تدريس علم التفسير في كل المدارس إلا أن التأليف فيه لم ينل حظا وافرا⁵ إذا استثنت الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمان الثعالبي، وتفسير محمد السنوسي الذي لم يكمله، وتفسير للفتاحة لكل من الشيخ أحمد بن زاغو، وسعيد العقباني، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي⁶ كما كانت تدرس مجموعة من المصنفات في التفسير ك"أنوار التنزيل" للبيضاوي، و"الكشف والبيان" لأبي إسحاق أحمد

¹ - لغشيم مصطفى، هجرة العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى دراسة اجتماعية ثقافية (ق7-9هـ/13-15م)، مرجع سابق، ص 55

² - الأخصر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (1236/1554)، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الاسلامي، اشراف، عبد الحميد حاجيات، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية- قسم التاريخ- جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2004/2005م، ص 150

³ - عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق، ص 438

⁴ - بركات اسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، مرجع سابق، ص 105

⁵ - سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص 121

⁶ - عبد الله بن يوسف الشيخ سيدي، بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، اشراف، محمد أمين السماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة الدراسات الإسلامية، تخصص العقيدة والفكر الاسلامي، جامعة محمد الخامس- الرباط- 1993/1994م صص

بن محمد التعلبي، و"أحكام القرآن" لأبي الحسن علي بن محمد الطبري، و"الكشاف عن حقائق التنزيل" لأبي القاسم محمد الزمخشري، و"التهذيب" للبيهقي، وكتاب "التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل" لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي و"الوجيز في شرح كتاب الله العزيز" لأبي محمد بن عبد الحق بن عطية الأندلسي، و"لامية الشاطبي" و"تفسير ابن عطية" وهي كلها كتب ألفت في التفسير¹

3 - علم الحديث:

هو الذي يراد به حفظ ما نقل عن الرسول ﷺ من قول أو فعل. وما نقل عن أصحابه، وهو المصدر الثاني في التشريع، وقد ظهر علم الحديث عندما اهتم المسلمون بنقل سيرة نبيهم محمد ﷺ وبيان أحكام القرآن وتفسيره في عصر احتيج فيه الى تفرع الأحكام مع اتساع السلطان وكثرة الحوادث، وقد اشتغل المسلمون بتوضيح معانيه وتفهم أقوال النبي ﷺ وكان الناس اذا ما أشكلت عليهم مسألة أو آية، واختلفوا في تفسيرها، استعانوا بالأحاديث لتوضيحها²، علما أن تفاصيل حياة الرسول ﷺ وملامح شخصيته وسيرته ذات أهمية كبرى في حياة المسلمين العلمية والاقتداء به في حياتهم الخاصة مصداقا لقوله تعالى "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"³. زد على ذلك أن القرآن الكريم لم يبين لنا تفاصيل الصلاة والزكاة والصوم وغيرها من الفرائض، فقد جاء بها مجملة، أما الحديث فقد فصلها وبينها للناس⁴، يقول عنه ابن خلدون بأنه "فن شريف في مغزاه، لأنه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريف" أي هو مختص بحديث رسول الله ﷺ، رواية ودراية فمنها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه، ومنها ما يتعلق بالنظر في الأسانيد، بمعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط، ومراتب النقلة من

¹ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف، بوداوية مبخوت، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، شعبة التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان- 2014/2013م، ص 204

² - الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (1236/1554)، مرجع سابق، ص 141

³ - سورة الأحزاب، الآية، 21

⁴ - الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (1236/1554)، مرجع سابق، ص 141

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

الصحابة التابعين، وهذا هو علم الرواية، ومنها ما يتعلق بمتون أو مختلف وهذا هو علم الدراية¹، ويقسم الحديث إلى ثلاثة أقسام: الصحيح والحسن والضعيف².

توسع علماء الدولة الزيانية في دراسة الأحاديث النبوية، وكانوا يعتقدون لها مجالس عديدة بعد صلاة الصبح، يحضرها الطلبة والشيخ وعامة الناس³. وكان محور التدريس يدور حول الكتب التي كان يدرسها علماء ذلك العصر وهي كالتالي:

الصحاح الست⁴ وعمدة سيرة النبي ﷺ لمحمد بن إسحاق الحاوي، والروضة للكباري، وأرجوزة الحديقة جامع البخاري⁵ لمحمد بن إسماعيل البخاري، مسند مسلم⁶، لمسلم بن الحجاج، سنن أبي داود السجستاني، جامع الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، جامع النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، التمهيد والاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، المنتقى للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار لأبي عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني⁷. وقد عرف كتاب الموطأ للإمام مالك بن

¹ - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 459

² - لتفاصيل أكثر حول الموضوع يراجع: ابن الصلاح، معرفة أنواع الحديث، تح، عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002

³ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 205

⁴ - وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والجامع للترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه

⁵ - لقد فاقت عناية أهل المغرب بهذا الكتاب عناية كبرى فانكبوا على دراسته للبركة والحفظ، وبلغ عندهم مبلغ القداسة، فأخذوه معهم في حروبهم تبركا به لتفاصيل أكثر حول الموضوع يراجع: التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح، وت، محمد بوعياذ، المؤسسة الوطنية للكتاب، والمكتبة الوطنية الجزائرية، 1985، ص 124 وما بعدها

⁶ - هو الامام الشهير مسلم بن الحجاج القشيري من أئمة الحديث (204هـ-261هـ) عنه يراجع: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح، محمد شرف الدين يالتايقا، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د-ت) ص 1685

⁷ - الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (1236/1554)، مرجع سابق، ص

142 كذلك: بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

انس انتشارا واسعا في المغرب والأندلس نظرا لتمسك أهله بمذهب مؤلفه¹. وعن الأصول اشتهرت كتب منها شفاء العليل، وبعض أجزاء من الإحياء للإمام الغزالي والبرهان للجويني، ومختصر ابن الحاجب² وهناك السيرة النبوية التي عرفت ازدهارا خاصا وازدهرت متبها وبالأخص "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"³ للقاضي عياض، وكثر المديح واشتهرت كتبه وبالأخص "البردة" لشرف الدين محمد بن سعيد الصنهاجي المعروف بالبوصيري⁴.

من أبرز العلماء الزيانيين المساهمين في علم الحديث نذكر مايلي:

- أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت: 680هـ/1282م) ولد بتونس، وتعلم فيها وزار تونس ومصر والشام والحجاز، وأخذ عن علمائها، تردد على مساجد تلمسان للتدريس فيها في بداية حياته، واستقر فيها نهائيا سنة 670هـ/1272م بناء على طلب السلطان يغمراسن، انتهت اليه رئاسة الفتوى والتدريس، تربع على عرش الحديث، وكان له فيه إسنادا عاليا بتلمسان وفاس ومكة، وأعطى لها بعدا هاما وكانت له فيه طرق عالية وصفت بأنها أحسن طريقة فصار يضرب بها المثل⁵.

السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 205، كذلك: زويوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب

الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 201

¹ - محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، مرجع سابق، ص 113

² - عبد الله بن يوسف الشيخ سيدي، بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، مرجع سابق، ص 32

³ - يعتبر من أهم الكتب التي عرفت بحقوق الرسول ﷺ وصفاته وأحداثه وأخباره، ذاع صيته مشرقا ومغربا وقد لقي اهتماما وعناية فائقين من حيث الشرح والتدريس، لتفاصيل أكثر حول الموضوع يراجع: القاضي

عياض، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، تح، علي محمد البجاوي، دار الكتاب العربي بيروت، 1994

⁴ - عبد الله بن يوسف الشيخ سيدي، بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، مرجع سابق، ص 33

⁵ - زويوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع

سابق، ص 202، - بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، رسالة ماجستير في التاريخ

، اشراف، هشام أبو رميلة، كلية الدراسات العليا - قسم التاريخ - جامعة النجاح

الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ/2002م، ص 231، - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين

المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 208

- أبو الحسن التنسي، شقيق العالم أبو اسحاق التنسي (السابق الذكر) تولى التدريس في تلمسان بعد وفاة شقيقه، واستمر على عمله أيام السلطان عثمان والسلطان أبي زيان تتلمذ على يديه العالم أبو عبد الله الآبلي، خرج من تلمسان أيام الحصار الطويل، استقبله السلطان أبو يعقوب المريني المحاصر للمدينة، ومكث عنده إلى أن توفي سنة 706هـ/1307م دفن بالعباد وحضر جنازته السلطان أبو يعقوب¹.

- محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (ت: 842هـ/1438م) كان ضليعا في الفقه المالكي وأصوله وحافظا للحديث ومفسرا ونحويا وناظما، له إحاطة بعلم الحديث وفنونه، درس ودرس الحديث، ويعتبر عبد الرحمان الثعالبي من أبرز تلامذته، والذي قال عنه "أخذت عنه كثيرا وسمعت عليه جميع الموطأ... وختمت عليه أربعينيات النووي قراءة عليه في منزلة قراءة تفهم، فكان كلما قرأت عليه حديثا يعلوه خشوع وخضوع" كما وصفه الثعالبي ب"المحدث الثقة" و"تاج العارفين" و"الإمام الحافظ"² أبرز تأليفه "تفسير سورة الإخلاص" و"نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين" و"أرجوزة الروضة في الحديث" و"المفاتيح المرزوقية في حل أقفال وخبايا الخزرجية"³، و"إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم"⁴ بالإضافة إلى مؤلفات أخرى⁵

- أبو زيد عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي: (895هـ/1490م) له اهتمام كبير بالحديث وبصحيح البخاري خاصة، لمع نجمه وسط أقرانه، وهو الذي مدح نفسه قائلا: "ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث، اذا تكلمت أنصتوا وقبلوا ما أرويه، تواضعا منهم وإنصافا

¹ - بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق ص 232

² - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 204-205

³ - هذا المؤلف عبارة عن مخطوط موجود بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2970

⁴ - هو أيضا عبارة عن مخطوط موجود في الكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم: 2067

⁵ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، صص 214/215

واعترافاً للحق¹، قصد الحجاز حاجاً ومنها عاد إلى مصر سنة 819هـ فلزم بها ابن مرزوق الحفيد الذي أجازته، وبعد عودته إلى المغرب الأوسط تولى القضاء ثم استقال من منصبه وانكب على التدريس والتأليف، من أبرز تلامذته، محمد بن يوسف السنوسي، ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، وأحمد بن عبد الله الزواوي، ترك الثعالبي أكثر من تسعين مؤلفاً في التفسير والفقه والحديث، ولعل من أبرزها "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" (سبق التعريف به في علوم القرآن)، وأربعون حديثاً مختارة سماها "الأنوار المضيئة" و"المختار من الجوامع" والذي يعرف باسم "نبذة من وائل الكتاب الجامع الكبير" في أربعين صفحة، حققه الباحث بشير ضيف، بالإضافة إلى كتاب "الدر الفائق في الأذكار والدعوات"²

- محمد بن يوسف السنوسي (ت: 895هـ/1490م) ولد بتلمسان ونشأ بها، برع في مختلف العلوم النقلية والعقلية، وكان مبرزاً في علم التوحيد ومن أبرز مؤلفاته، عقيدة التوحيد وشرحها والعقيدة الوسطى وشرحها ومختصر القراءات السبع وشرح صحيح البخاري وتفسير سورة ص وما بعدها من السور، ومكمل إكمال الإكمال وهو تلخيص لكتاب إكمال الإكمال لأبي عبد الله محمد بن خلفه الوشتاني الأبي (ت: 827هـ/1425م) وهو تلخيص لكتاب صحيح مسلم، حيث أضاف إليه أموراً أغفلها صاحبها فهي كالضروري لا كالتزائد، وقد لقي هذا الشرح قبولا عند كثير من العلماء، وكثر الثناء عليه والتنبيه على ما فيه من فوائد حتى عد من أحسن الشروح وأنفعها، كما شرح صحيح البخاري، وله كذلك ثبت صغير ذكر فيه اسناد حديث الأولية وحديث الضيافة والمصافحة والمشابكة ولبس الخرقه ومناولة السبحة³

¹ - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 205

² - نفسه، ص 205. - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، صص 216-217

³ - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 206 - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، صص 217-218

- محمد بن عبد الله التنسي: (ت: 899هـ/1494م) أخذ العلم عن عمه ووالده، ثم تفقه فيه حتى صار أحد أعمدته وسمي بالحافظ، ومن أعماله "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني في ثمانية أجزاء¹

4- علم الفقه:

لغة: هو العلم بالشيء، والفهم له، والفقه في الأصل الفهم، يقال أوتي فلانا فقها في الدين أي فهما فيه، مصداقا لقوله تعالى: "ليتفقها في الدين"² أي ليكونوا علماء به وذلك بفهم معناه³ **والفقه اصطلاحا:** هو "العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية والوقوف على المعنى الحقيقي الذي يتعلق به الحكم، وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل"⁴. وهو كذلك "معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"⁵ وقد تطور علم الفقه تطورا سريعا، وذلك لحاجة المسلمين الماسة لحل المشاكل التي تعترضهم سواء في حياتهم العملية واليومية أو ما تعلق بأمور عبادتهم، وظلت هذه الحاجة قائمة في كل زمان، وبفضل الفقه تستقيم سلوكات ومعاملات المسلمين، وتتنظم به أحوالهم الشخصية والدينية والاجتماعية والاقتصادية⁶ وتنقسم مواضيع علم الفقه حسب الفقهاء الى قسمين:

¹- رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 206

²- سورة التوبة، الآية 122

³- ابن منظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ت) ج 13، ص 522

⁴- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح، ودراسة، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، (د-ت) ص 141

⁵- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 465

⁶- رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 208/207 نقلا عن: عبد القادر زبدي، نشأة المدارس الفقهية في الاسلام، مجلة الأصاله، الجزائر، السنة 1، العدد 1، 1971، ص 43

- قسم العبادات: يشمل الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والجنائز والمساجد وغيرها
- قسم المعاملات: يشمل الزواج والطلاق والعقوبات والبيع والقضاء والوصية والجرائم وغيرها¹. ومن أهم كتب الفقه المدروسة نذكر مايلي:
- "الموطأ" للإمام مالك- و"المدونة" لسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي و"التهذيب" و"مختصر المدونة"، و"النوادر"، و"مختصر ابن الحاجب الفرعي"، لعثمان بن عمر جمال الدين المصري المعروف بابن الحاجب، و"مختصر خليل" لخليل بن اسحاق و"الوغيليسية" لأبي زيد عبد الرحمان الوغيليسي البجائي². ومما ورد في الأثر قوله ﷺ "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"³ فتأثر علماء الدولة الزيانية كغيرهم من العلماء المسلمين بهذا الحديث فاهتموا بدراسته وتدريسه، فتنوعت إسهاماتهم من شروح واختصارات لكتب السابقين، فصنفوا عددا هائلا من الكتب التي كانت مصادر ومراجع يعتمد عليها الطلاب والدارسين في أبحاثهم ويستند إليها الفقهاء في فتاويهم والقضاة في أحكامهم⁴. وفي هذا المنحى حرر أحمد بن أبي حجلة حجة التلمساني(ت:776هـ/1374م)، ما يزيد عن ثمانين كتابا في الحديث والفقه والأدب، وألف أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب ما يزيد عن ستة وعشرين مصنفا في علوم الدين عامة والفقه على وجه الخصوص، وصنف ابن مرزوق الحفيد أكثر من ثلاثين مؤلفا في شتى العلوم والفنون أكثرها في الفقه⁵.

¹- عمر سليمان الأشقر، تاريخ الفقه الاسلامي، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1402هـ/1982م صص 20-

21

²- سنتناول بنوع من التفصيل هذه المؤلفات في الفصل الخامس باعتبارها علوما تطلّع فيها العلماء الجزائريون بالمغرب الأقصى خلال الفترة موضوع البحث- أي القرن 10هـ/16م " وللتعريف بهذه الكتب ينظر" محمد المامي، المذهب المالكي، مدارس ومؤلّفات- خصائصه وسماته، مركز زايد للتراث الامارات العربية المتحدة ط1، 2002، ص 247

³- البخاري، صحيح البخاري ج1، كتاب العلم، ص 42

⁴- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، جزآن مدحجان، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 448

⁵- نفسه، ص 448-449

هذه أبرز الآثار العلمية وهي غيوض من فيض، وان كثرتها تدل دلالة واضحة على محاولتهم الجادة في نشر مختلف العلوم الدينية وتطويرها في تلمسان وبلاد المغرب الاسلامي، وانهم يتميزون بعمق التفكير وسعة التحصيل وغزارة العلم، في عصر سادته الاضطراب السياسي والاجتماعي¹

5- علم أصول الفقه:

في اللغة أصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه ومنشؤه الذي ينبت منه، وأصول العلوم هي القواعد التي تبنى عليها². أما اصطلاحاً فهو دلائل الفقه إجمالاً وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد³، وهو علم يختصر بالنظر في الأدلة الشرعية(القرآن والسنة والاجماع والقياس) من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف⁴، ويعتبر علم الأصول حسب ابن خلدون "من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة"⁵. وعرف المغرب الأوسط خلال العهد الزياني علماء استخدموا نهج الاجتهاد في مسائل الفقه المالكي، خلافاً لما كان في عهد الدولة المرابطية المالكية التي كان فقهاؤها يعتمدون على تقليد العلماء السابقين دون الرجوع الى الأصول(القرآن والحديث) ودون أن يهتموا بالتفسير ولا بالانتماء⁶ ولم ينشط الاجتهاد الا مع قيام دولة الموحدين التي اتخذت من المذهب الظاهري مذهباً رسمياً لها، والمبني على أساس الأصول فقط، فمؤسسها ابن تومرت وأتباعه قاموا بثورة على علم الفروع وحثوا الناس بالعودة الى الأصول⁷. وبعد سقوط دولة الموحدين استمر اهتمام علماء المغرب الأوسط بعلم الأصول، وقد أثرى العديد من علماء المغرب الأوسط هذا الحقل الديني أمثال المقرئ الجد(ت:759هـ) الذي اختصر "المحصل" لكنه لم يكمله، أما أبو عبد الله الشريف التلمساني(ت:771هـ/1369م) فيعود له آخر كتاب صنف في هذا العلم سماه "مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول" ألفه نزولاً عند رغبة

¹ - عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق، ص 451

² - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب، مرجع سابق، ص 219

³ - البيضاوي، منهاج الوصول الى علم الأصول، ط1، تح، مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، 2006، ص 16

⁴ - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 465

⁵ - نفسه، ص 472 - حاجي خليفة، كشف الظنون، مصدر سابق، ص 110

⁶ - ألفريد بيل، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي الى اليوم، تر، عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الاسلامي، ط3، بيروت، لبنان، 1987م، ص 354

⁷ - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره، مرجع سابق، ص 38

السلطان المريني أبي عنان المريني بعد التحاقه بمجلسه العلمي، وقد فرغ من تأليفه سنة 754هـ/1354م¹. في حين كان أحمد بن محمد بن زكري (ت: 899هـ/1442م) إماما في أصول الفقه بارعا فيه حتى لقب بالأصولي، شرح الورقات لإمام الحرمين الجويني في كتاب سماه "غاية المرام في شرح مقدمة الإمام" فشرح فيه تسهيلا على الطلبة في فهم أصول الفقه وتحصيله، مضيفا إليه فوائد كثيرة مع سهولة عباراته ووضوح معانيه لأنه كان موجها إلى المبتدئ الذي يتعامل مع أصول الفقه لأول مرة². وخصوصا إلى الطلبة وفي ذلك يصرح ابن زكري في مقدمة كتابه بالأسباب التي دفعتها إلى تأليفه قائلا: "أما بعد: فإن بعض الطلبة سألني أن أشرح لهم مقدمة إمام الحرمين التي صنفها في أصول الفقه الذي هو سبب السعادتين، ولما تكرر منهم السؤال وتعين الجواب على كل حال، صرفت عنان العناية إلى شرح يحل ألفاظها المخروزة"³. أما أحمد بن زاغو (ت: 849هـ) فقد ألف في علم الأصول "شرحا على ابن الحاجب، وعرف عن ابن زاغو تفوقه في علم الأصول وهذا ما أورده تلميذه القلصادي في رحلته⁴. وعنه يقول: "لازمته في الحضور مع الجمهور في المدرسة اليعقوبية، للتفسير والحديث والفقهني أزمنة الشتاء، والأصول والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة في زمن الصيف، ويوم الخميس والجمعة لقراءة التصوف، وكانت أوقاته رضي الله عنه مضبوطة للعبادة وأزمانه محفوظة للإفادة، وأفعاله مرضية، وسجاياه محمودة، ولا أعلم منه أنه كان يأمر بفعل ويخالفه اقتداء بالسلف الصالح"⁵.

وكخلاصة لهذه الجزئية من البحث نستنتج أن علماء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة لم ينتجوا في هذا العلم (علم الأصول) إنتاجا فيه الجديد بل بنجدهم قد اكتفوا بشرح وتلخيص أمهات كتب

¹ - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 221

² - ابن زكري، غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، ج 1، تح، محمد أودير مشنان، ط 1، دار التراث، ناشرون ودار ابن حزم، الجزائر، بيروت، 2005، ص 243

³ - نفسه، ص 243

⁴ - أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تح، محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص 102

⁵ - نفسه، ص 104

الأصول بالإضافة الى تدريسها بشكل كبير دون أن يأتوا بجديد، وهو ما يبين لنا مسألة التقليد التي اتسمت بها الفترة -موضوع البحث- أي فترة القرن 10هـ/16م

6- علم الكلام والعقائد:

يطلق على هذا العلم عدة ألقاب مثل علم التوحيد أو العقيدة أو الفقه الأكبر، أو علم أصول الدين وأشهرها على الإطلاق علم الكلام¹، وقد عرف ابن خلدون هذا العلم في مقدمته قائلاً: "يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد"².

ظهر هذا العلم مع مطلع القرن 5هـ/11م، نتيجة اشتداد الصراع الفكري بين أهل الحق والباطل في مجال العقائد ببلاد المشرق، بينما أهل المغرب خلال هذه الفترة لم يكونوا يعرفون في عقائدهم سوى عقيدة السلف، بما فيها من تفويض وتسليم، فكان إيمانهم يقوم على ما جاءت به النصوص مجتنبين التأويل في ذلك³. وعلماء المغرب الأوسط كانت لهم عناية كبيرة بهذا العلم وألفوا فيه وشرحوا مؤلفات أخرى ألفها غيرهم⁴. ومن بين من ساهم في هذا العلم دراسة وشرحاً نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر مايلي:

- سعيد العقباني(ت:811هـ/1408م) هو من أعلام المعقول والمنقول، أخذ العلم عن ابني الإمام، والآبلي، تولى القضاء بعدة مدن أهمها بجاية وتلمسان ووهران، من مؤلفاته شرح الحوفية في الفرائض، تفسير سورتي الأنعام والفتح، شرح البردة، شرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر

¹- لتفاصيل أكثر حول الموضوع: ينظر، فيصل بدير عون، علم الكلام ومدارسه، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الفحال، القاهرة، ص37 الى غاية ص 66

²- ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 477

³- محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14-15م)، مرجع سابق، ص 165، نقلاً عن: عبد المجيد عمر النجار، فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1992، ص 1، ص 17

⁴- رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 224

والمقابلة¹، وقد ساهم في اثراء علم أصول الدين بشرح "العقيدة البرهانية" للسلاجي، وله كتاب في ذات الله وصفاته سماه "الوسيلة بذات الله وصفاته"، كما قام بتأليف "شرح جليل على ابن الحاجب الأصلي"²

- أحمد بن محمد بن زكريا التلمساني: فقيه مالكي نشأ في تلمسان، اشتغل في بداية حياته بالحياكة ليتمه وفقره، اهتم به الشيخ ابن زاغو منذ صغره ورأى أن مثل ابن زكري لا يشتغل بالحياكة فاشتغل بن زكري بطلب العلم فأخذ عن ابن زاغو، وقاسم العقباني، وابن مرزوق، وأحمد بن العباس وغيرهم، وانتصب بعدها للتدريس فأخذ عنه كل من أحمد زروق الفاسي، ومحمد بن مرزوق (حفيد الحفيد)، وأحمد بن الحاج المناوي وغيرهم، وقد برع ابن زكري في الأصول والفروع والتفسير، كما كان ناظما وناثرا، من أبرز تأليفه "مسائل القضاء والفتيا" و"بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب" و"منظومة في علم الكلام" بها أكثر من 1500 بيت سماها "محصل المقاصد" مما به تعتبر العقائد وكتاب "غاية المرام في شرح مقدمة الإمام، توفي سنة 899هـ/1494م ودفن بمقبرة الشيخ السنوسي بتلمسان³

- أبو العباس أحمد الجزائري الزواوي (ت: 898هـ/1492م) اشتهر بمنظومته اللامية⁴ التي يزيد عدد أبياتها عن 400 بيت سماها كفاية المرید في علم التوحيد، أو الجزائرية في العقائد الإيمانية أو الجزائرية⁵، وقد جاء في مطلعها

الحمد لله وهو الواحد الأزلي سبحانه جل عن شبه وعن مثل
فليس يحصى الذي أولاه من نعم أجلها نعمة الإيمان بالرسول

¹ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 214

² - يوجد هذا التأليف الأخير مخطوطا بجامعة القرويين بفاس تحت رقم: 1383

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، مرجع سابق، صص، 93-94 هوارية بكاي، العلاقات الزبانية المغربية سياسيا وثقافيا، مرجع سابق، صص 82-83

⁴ - يراجع الملحقان رقمي: 10-11

⁵ - عبد العزيز بن عبد الله، معلمة الفقه المالكي، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1983، ص 108

تعتبر هذه المنظومة من أجل القصائد التي ألّفت في علم التوحيد، جمعت بين حلاوة الكلام والنظم، ألفها وهو في مقتبل العمر، نالت شهرة واسعة نظرا لسهولة عباراتها، ولحلاوتها، وتداولتها الألسن بالشرح والتدريس، وله أيضا "القصيد في علم التوحيد"¹.

7 - علم التصوف:

ليس من السهولة وضع تعريف لهذا العلم²، ذلك أنه تجربة روحية ذاتية، وبذلك اختلفت تعاريفه سواء عند المشتغلين بدراسته، أو عند الصوفية أنفسهم، والصوفية حسب الباحث حرحيرة مداني "هي تجربة رمزية وممارسة سلوكية تعبر عن رغبة ملحة في الاتحاد والحلول مع وفي الله خميرة الشوق والمحبة شروط تملئها طبيعة التدين (ظاهر/باطن). معراج رمزي ينتقل فيه الصوفي من العالم العادي الى العالم المقدس، وعتبة فصل فيه هي الانتقال والذوبان في روح واحدة، وبدن واحد مرورا باختبارات عميقة وعسيرة³.

غير أنه وباطلاعنا على العديد من المصادر المتعلقة بالموضوع نقف عند أبرز وأهم تعريف له والذي ورد على لسان ابن خلدون واصفا إياه بأنه "العكوف على العبادة، والانقطاع الى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه"⁴ والتصوف نوعان:
أ- تصوف سني ذو بعد عملي وتربوي، ويعني الالتزام بأوامر الله ونواهيه واتباع سيرة المصطفى عليه السلام، وما ينطوي عليه ذلك من زهد وتكشف، ويتميز ببساطته وتقيدته بتعاليم الكتاب والسنة وأخلاق السلف الصالح¹.

¹ - الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف ج 1 + ج 2، ط 1، دراسة وتحقيق: خير الدين شترة، دار

كردادة، للنشر والتوزيع، 1433هـ / 2012م، ص 530-531-532 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر

الثقافي ج 1، مرجع سابق، ص 93

² - أَلّف عبد القادر البغدادي المتوفى سنة 429هـ كتابا في معنى لفظي الصوفي والتصوف، جمع فيه ألف قول مرتبة على حروف المعجم، يراجع: محمد بن عبد الكريم الجزائري التصوف في ميزان الإسلام، مطبعة النهضة، وهران صص 14- 15

³ - حرحيرة مداني، الرمزية الصوفية في الأزمات الاجتماعية-الكرامات وتمثلاتها في المغرب الأوسط-

ق 10هـ/14هـ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، اشرف، بوزيد بومدين، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم الفلسفة، جامعة وهران-السانيا-2012/2013م، ص 74

⁴ - ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 500

ب- تصوف فلسفي وهو الذي يتحدث عن وحدة الوجود والانقطاع، يحتاج فيه الدارس لفهم مسائله وأبعاده الى جهد ذهني غير عادي، وباعتباره فكرا غريبا مشبعا بأفكار الفلسفة اليونانية وغيرها، لم يحظ بنفس القبول ولم تمنحه البيئة المغاربية حظا عكس التصوف السني².

وعلى الرغم من ظهور التصوف وانتشاره في بلاد المشرق الاسلامي، إلا أن مجتمع المغرب الاسلامي كان بمعزل عنه، ذلك أنه بدأ محتشما في عهد المرابطين، ليعود بقوة في عهد الموحدون الذين فكوا القيود التي فرضها عليه المرابطون، وقد لعبت الزوايا دورا هاما في انتشاره، خاصة بعد قدوم الشيخ القطب أبي مدين شعيب دفين العباد، وأبي الحسن الشاذلي، حيث حرص هؤلاء المتصوفة على العمل بالكتاب والسنة والاعتناء بالجانب التربوي العملي من التصوف، والابتعاد عن التيار الفلسفي³.

لقد كان الاقبال على التصوف كبيرا وحضي مدرسه بمكانة خاصة لدى العامة، لذلك انتحله العديد ممن ليس له علاقة بالتصوف وجعلوه سلما لتحقيق أغراض مختلفة "... وهذا حال الكثير من الناس في الوقت، اتخذوا علم الرقائق والحقائق سلما لأمر لاستهواء العامة، وأخذ أموال الظلمة، واحتقار المساكين، والتمكن من محرمات بينة وبدع ظاهرة، حتى أن بعضهم خرج من الملة، وقبل منه الجهل ذلك، بادعاء الإرث والاختصاص في الفن..."⁴ ومن أبرز علماء هذه الفترة في مجال التصوف السني نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- ابراهيم التازي (ت: 866هـ/1462م) أثرى هذا العلم بلسانه وزاويته بوهران، واشتهر بقصائده التي نظمها في التصوف والمديح، كشف من خلالها عن جانب كبير من الفكر الصوفي، ولعل أشهر قصائده المرادية، نسبة لافتتاحها بقوله مرادي ومنها قوله:

¹ - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع

سابق، ص 230

² - نفسه، ص 230-231

³ - عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط، ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م، دراسة في التاريخ

السوسيو-ثقافي، دار الغرب، الجزائر، 2003، ص 81 وما بعدها- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد

الزياني، ج 2، مرجع سابق، صص 384-387

⁴ - عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط، ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م، مرجع سابق، ص

مرادي من المولى وعاية آمالي دوام الرضى والعفو عن سوء أعمالي
وتنوير قلبي بانسلال سخيمة به أخلدتني عن ذوي الخلق العال

واسقاط تدييري وحولي وقوتي وصدقي في الأحوال والفعل والقال¹

- عبد الرحمان الثعالبي(ت: 875هـ/1490م) لم يكن عالما مصنفا فحسب بل كان وليا صالحا عاكسا بذلك ثقافة واتجاه عصره إذ "جاء تصوفه متماشيا مع نوع الثقافة التي تشرب منها، بعيدا عن مظاهر الشطح والانحراف، حريصا على التمسك الشديد بالأصليين، محاولا أن يوفق ظاهره بباطنه في كل ما يصدر عنه من سلوكات" و"كان من أولياء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصالحين"² من أبرز مؤلفاته "الدر الفائق" في الأذكار والدعوات، "قطب العارفين"، "نور الأنوار ومصباح الظلام"، "اليواقيت الحسان"، "رياض الصالحين"، "العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة"³

العلوم اللسانية:

نقصد بها العلوم التي تتصل بالعربية من نتاج أدبي نثر كان أو شعرا، وهي اللغة والنحو والأدب الذي يتفرع عنه علوم أخرى كالصرف والبلاغة والبيان والمعاني والبديع والعروض، ولم تعرف التخصص الا في العصر الحاضر⁴، ومعرفة علوم اللسان العربي ضرورة للقائمين على الفقه، ذلك أن الأحكام الشرعية مستنبطة من الكتاب والسنة ولا تقوم المعرفة بهما إلا لمن تمكن من أدوات التعامل مع هذه اللغة⁵، وقد حظيت هذه العلوم بإقبال كبير من طرف الكتاب والشعراء وحتى علماء الدين بسبب ارتباطها الوثيق بعلمي القرآن والحديث، ذلك أن الدارس للقرآن الكريم لا يستطيع فهم أسرار القرآن الكريم ومعانيه

¹ - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع

سابق، ص 235-236

² - نفسه، ص 236

³ - عادل نويهض، معجم الأعلام، مرجع سابق، صص 90-91

⁴ - الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، رسالة لنيل درجة دكتوراه الدولة في

التاريخ الاسلامي، اشراف، عبد الحميد حاجيات، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية - قسم التاريخ -

جامعة أبي بكر بالقائد، 2004/2005م، ص 181

⁵ - ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 612

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

دون أن يكون ملما بمبادئ اللغة¹. واللغة هي مظهر الحياة العقلية عند الأمة، ومرآة تطورها الاجتماعي والثقافي²

غير أن ما يمكن ملاحظته أن هذه العلوم قد انتعشت انتعاشا كبيرا خلال القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي، لكنها تراجعت تراجعا كبيرا في القرن الموالي (أي ق9هـ/15م) فاسحة المجال للعلوم الدينية (تعلما وتأليفا) ولم تكن العلوم اللسانية واللغوية والأدب خلال القرن 9هـ/16م سوى اجترار لما سبق، واقتصرت همم وقرائح العلماء على وضع الشروح والتقاليد والتعليق على ما أنتجته قرائح الشعراء والأدباء القدامى³.

1 - اللغة وآدابها :

أما محور دروس اللغة وآدابها يدور حول الكتب التالية:

- كتاب الأعراب عن شواهد الإعراب لابن هشام
- مغنى اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام أيضا
- الإيضاح لأبي علي الفارسي
- كتاب النحو لسيبويه
- الألفية و التسهيل لابن مالك
- الكافية لابن الحاجب ديوان الحماسة لأبي تمام
- المعلقات السبع
- ديوان المتنبي
- كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني
- العمدة لابن رشيق
- المقامات للحريري

¹ - عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياتي، حياته وآثاره، مرجع سابق، ص 50

² - الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، مرجع سابق، ص 181

³ - محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، مرجع

- مقصورة ابن دريد¹

وأهم كتب اللغة المدروسة بالمغرب الأوسط نذكر مايلي:

- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي

- الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهري

- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده الأندلسي

- الألفاظ لابن سكتيت أو يوسف يعقوب بن اسحاق

- فقه اللغة وأسرار العربية لأبي منصور الثعالبي

- الفصيح لأبي العباس ثعلب²

ومن أبرز علماء المغرب الأوسط في علم اللغة، المقري الجد(ت:759هـ/1358م)الذي شرح لغة قصائد المغربي الخطيب، كما درس فصيح ثعلب وهو من المختصرات الرائجة في علم اللغة. أما محمد بن أحمد الشريف التلمساني(ت: 792هـ/1389م) فقد درس علوم العربية ردحا من الزمن حتى صار قطبا من أقطابها³

ومن بين العلوم اللسانية الأخرى التي اهتم بها علماء العهد الزياني

2 - علم الصرف والنحو:

بعد أن جمعت اللغة، جاء علماء النحو والصرف ففلسفوها ويقال ان استعجال العرب بتدوين النحو يعود لاستعجالهم في الفتح ونشر الدين لأن الفتوح دعت الى الاختلاط بالأعاجم والاختلاط أدى إلى إفساد اللغة⁴، لذلك جاء علم النحو ويقال أن واضعه الأول أبو الأسود الدؤلي، ثم كتب فيها الناس من بعده الى أن انتهت الى الخليل بن أحمد الفراهيديفهذب الصناعة وكمل أبوابها، وأخذها عنه سيبويه، فكمّل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدها⁵. والنحو هو علم يتعرف منه على أحوال اللفظ

¹ - الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، مرجع سابق، ص 183

² - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع

سابق، ص 240

³ - نفسه ص 240

⁴ - الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، مرجع سابق، ص 182

⁵ - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 613

المركب من جهة ما يلحقه من التغيرات المسماة بالإعراب والبناء وأنواعها من الحركات والحروف ومواقعها ولزومها وكيفية دخولها في الجمل لتبين دلالتها¹. وقد عرف هذا العلم بالمغرب الأوسط نوعا من الاهتمام من قبل العلماء نظرا لما له من علاقة مع بقية العلوم الأخرى وخاصة الدينية التي لا يمكن الخوض فيها إلا لمن ألم باللسان العربي². ومن أبرز علماء المغرب الأوسط في علم النحو ابن مرزوق الحفيد الذي أثرى علم النحو بمؤلفات قيمة أهمها "إيضاح السالك على ألفية ابن مالك" وهو شرح ألفية ابن مالك، كما كان يشرح كتاب "التسهيل لابن مالك" و"شرح شواهد الألفية"، وألف كتاب "الاستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب"³

العلوم العقلية وأهم روادها:

تسمى علوم الفلسفة والحكمة، وهي العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره أي التي يقوم فيها النظر على العقل وحده⁴. وإذا كانت العلوم النقلية تخص شعب من الشعوب أو دين من الأديان، فإن العلوم العقلية تعد طبيعية لدى الإنسان من حيث أنه ذو فكر، وهي غير مختصة بدين، بل يوجه النظر فيها لكل أهل الأديان ويؤلفون في مداركها ومباحثها⁵، ومهما اختلفت تعاريفها وتنوعت، إلا أن العلماء اتفقوا أن لهذا العلم أربعة أصول وهي: الهندسة والهيئة والعدد والموسيقى⁶. كما أن لها علاقة ارتباط وظيفية بينها وبين العلوم النقلية، خاصة العلوم الشرعية، فلعلم الحساب والجبر والمقابلة علاقة بعلم الفرائض، وعلم الفقه علاقة بعلم الهيئة، والمنطق علاقة بعلم الأصول، فلا تتحقق هذه العلوم الشرعية إلا

¹ - ابن الإكفاني، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم

تح، وتع، عبد المنعم محمد عمر، مراجعة، أحمد حلمي عبد الرحمان، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ، ص 122

² - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 614

³ - محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، مرجع

سابق، ص 178

⁴ - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 515

⁵ - محمد علي بوزيان، تصنيف العلوم بين الفارابي وابن خلدون، مجلة عالم الفكر، مج 9، العدد

الأول، 1978م، ص 118

⁶ - ابن الإكفاني، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع

العلوم، مصدر سابق، ص 107

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

بها، ولذلك اعتنى بها العلماء¹ ورغم ذلك فقد عرفت هذه العلوم بالمغرب الإسلامي ضعفا من حيث التأليف والتدريس مقارنة بالمشرق² وقد أولى الزيانيون رعاية واهتماما بالعلوم العقلية، فبعض العلماء جمعوا بين العلوم العقلية والنقلية، وآخرون اقتصوا في العلوم العقلية وواكبوا على دراستها والتعمق فيها، وقد شملت هذه العلوم على العلوم العددية أو الرياضيات بفروعها من حساب وجبر ومقابلة وفلك وتنجيم إضافة إلى الطب والتشريح وعلم الهيئة والفلاحة والمنطق والميكانيكا والموسيقى، وغيرها من العلوم المتنوعة³، ولعل أشهر التصانيف التي كانت تدرس آنذاك خاصة في الرياضيات كتاب "حط النقب عن وجوه أعمال الحساب" و"تلخيص ابن البناء" و"بغية القارض في الحساب والفرائض" و"كشف الجلباب عن علم الحساب" و"كتاب كشف الأنوار وكشف الأسرار عن علم الغبار" و"قانون الحساب" و"كتاب القانون" في الطب لابن سينا، وفي الفلك والتنجيم "قصيدة الحباك" وأرجوزة أبي اسحاق، و"بغية الطلاب في الاسطرلاب" للسنوسي⁴.

ومن أشهر العلماء الزيانيين في العلوم العقلية نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- محمد بن ابراهيم بن أحمد المشهور بالآبلي⁵: شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، اشتغل بالمعقولات فكان أحد أوجد زمانه، ارتحل إلى مراكش ونزل على الإمام ابن البنا شيخ

¹- رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 299

²- محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، مرجع سابق، ص 5

³- بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 237 - الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، مرجع سابق، ص 233

⁴- بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 238 - الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، مرجع سابق، ص 235

⁵- عن حياته وإسهاماته العلمية وآرائه الفكرية تراجع الدراسة الأكاديمية القيمة ل: سيدي محمد نقادي، الموسومة ب: إسهامات الإمام الآبلي في الحياة الفكرية للمغرب الكبير، تلمسان نموذجاً، أطروحة دكتوراه في الثقافة الشعبية، إشراف محمد سعيدي، جامعة أبي بكر بالقياد- تلمسان- 2009/2010م

المعقول والمنقول المبرز في التصوف فلازمه مدة وتضلع عليه في علم المعقول والتعاليم و الحكمة، ثم رجع الى فاس وانتشر ذكره وذاع خبره وصار يعرف بعالم الدنيا وانحال عليه طلبه العلم من كل حدب وصوب فكثرت الانتفاع به وعم خبره البلاد¹، ويعد الآبلي من أنبغ رجال عصره في التعليم، وقد ساهم مساهمة كبيرة في تكوين جيل من العلماء الكبار في المغرب العربي، بحيث تتلمذ على يديه السلطان أبو عنان المريني، وعبد الرحمان بن خلدون، وأخوه يحيى، وابن الصباغ المكناسي، وابن عرفة، والولي بن عباد وغيرهم²

- أبو الحسن علي بن أحمد المشهور بابن الفحام: كان عالما بالحساب والهندسة والميكانيكا، وقد ابتكر أنواعا من الآلات، وظهرت على يديه من الأعمال الهندسية "المنجانة"³ المشهورة بالمغرب كله فأجازه عنها ملوكه بألف مثقال من الذهب مقسطة على عمال بلادهم في كل سنة، وقد ازدان قصر المشور بهذا العمل الهندسي البديع وأشاد بذكرها شعراء بلاط بني زيان⁴

- أبو عبد الله الشريف التلمساني (ت: 771هـ/1370م) تميز بغزارة علمه وسعة اطلاعه، يعتبر فارس المعقول والمنقول، وكان اماما في العلوم العقلية كلها منطلقا وحسابا وتنجيما وهندسة

¹ - الأخصر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، مرجع سابق، ص 236

² - نفسه، ص 237

³ - قال عنها يحيى بن خلدون: وخزانة المنجانة ذات تماثيل اللجين المحكمة قائمة المصنع بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه وبصدرها أبواب مجوفة عدد ساعات الليل الزمنية يصاحب طرفيها بابان مجوفان يبرز فوق جميعها نجم أكمل يسير على خط استواء سير نظيره في الفلك، ويسائر أول كل ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان بغم كل منهما صنجة صفراء يلقيها الى طست من الذهب الأصفر مجوف بوسطة ثقب يفضى به الى داخل الخزانة فيرن، وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أبوه وهناك يفتح باب الساعة الراهنة، وتبرز منه جارية كاظرف ما انت راء يمينها اضبارة فيها اسم ساعتها منظوما، ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة لأمير المؤمنين يراجع: مفدي زكرياء، النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين، مجلة الأصلة، عدد، 26، ص 168 - عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية (1236-1554م)، مرجع سابق، صص 174-175

⁴ - الأخصر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، مرجع سابق، ص 238 - مفدي زكرياء، النشاط العقلي والتقدم الحضاري بالجزائر في عهد الزيانيين، مرجع سابق، ص 168

وموسيقى وطبا وتشريحا وفلاحة¹، ورغم أن تأليفه لم تصلنا الا أنه "ملاّ المغرب معارف وتلاميذ" وقيل عنه "وموته ماتت العلوم العقلية"²

- **القلصادي أبو الحسن علي الأندلسي**(ت:891هـ/1487م) نزيل تلمسان أقام بها ثماني سنوات وسبعة أشهر، نهل من مشيختها كابن مرزوق الحفيد وأبي عبد الله الشريف التلمساني، وقاسم العقباني، وابن زاغو الذي درسه التفسير والحديث والفقاه والفرائض والحساب والهندسة³ ومن أشهر مصنفاة العلمية "تحفة الناشئين على أرجوزة ابن الياسمين" و"القانون في الحساب" وشرحه المسمى "انكشاف الحساب عن قانون الحساب" وكتاب "كشف الأسرار عن علم حروف الغبار" هذا الكتاب الأخير عبارة عن ملخص وجيز في الحساب والجبر مكون من 36 ورقة في متناول المبتدئين "سهل العبارة يسير الادراك متنوع الأمثلة والتمارين، كان الهدف من ورائه توضيح القواعد وتصوير العمليات جليا بأسلوب تدريسي تعليمي يخاطب فيه القارئ مباشرة باتباع أسلوب الحوار"... فكان لهذا الكتيب الصغير الحجم كبير الأثر شكل المرجع الأول لأهل الحساب والجبر صنفت عليه شروحات عديدة⁴

الحركة العلمية في الجزائر مع بداية العهد العثماني:

عندما نتكلم عن الحركة العلمية في عهد الأتراك إنما نقصد بها العلم المنقول أو الحركة الدينية كما يذكرها الباحث محمد بن عبد الكريم بقوله: "إن مفهوم العلم في ذلك العصر قد كان اتقانا لفهم الذكر الحكيم وحفظا لمرويات الحديث الشريف ومعرفة أصول العقائد والفقهيّات وتعمقا في فن الأصول أما فن المنطق قد جرى فيه خلاف بين العلماء لأنه يمد الى الفلسفة التي حرّم الخوض فيها

¹ - ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 164 - 173

² - المصدر نفسه، ص 170

³ - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع سابق، ص 312

⁴ - رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، مرجع

سابق، صص 312-313 نقلا عن: محمد السويسي، عالم رياضي أندلسي تونسي، (القلصادي)، مجلة البحث العلمي، جامعة تونس، العدد، 1972، 9م، ص 47

بعض الفقهاء وحذروا منها تلامذتهم ومنعواهم أن يتعلموها لاسيما الذين لم ينالوا قسطا وافرا من عقائد أهل السنة خوفا عليهم من أن يتيهوا في دروب الكفر ومزالق الإلحاد¹ كانت الحياة الثقافية في ظل الحكم العثماني في الجزائر، خاصة طيلة القرنين الأولين تعاني من الركود، وهذا خلافا لما سبقها من عهود إذ اعتبر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي خاتمة لإنتاج فترة امتدت ثلاثة قرون مبتدئة بعهد الموحدين، فهو حلقة بين انتاج عاش في ظل امارات محلية ضعيفة، وآخر عاش في ظل احتلال إسلامي مركزي قوي²، وبدخول العثمانيين الى الجزائر يبدوا أن الحركة العلمية والثقافية عرفت نوعا من الجمود واقتصرت الدراسات على الأخذ بما تركه السلف، وقد عبر عبد الرحمان الأخضرى³ (سنتطرق لهذا العالم الجليل لاحقا) من خلال قصيدته القدسية عن حالة الركود الثقافي الذي صاحب الوجود العثماني بقوله:

لاسيما في عاشر قرن ذي الجهل والفساد والفنون
الى أن قال:

هذا زمان كثرت فيه البدع واضطربت عليه أمواج الخدع

¹ - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص46-47

² - لبصير سعاد، هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني (1516-1830)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث - حضارة البحر المتوسط - اشراف، كمال فيلاي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية - قسم التاريخ والآثار - جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2008، ص192

³ - عبد الرحمان الأخضرى (920-953هـ/1514-1546م) ولد في بنطوس احدى قرى بسكرة في الجنوب الجزائري، كان من اعلام الجزائر في الحساب والفرائض والبيان، من نظمه كتاب "الجوهر المكنون في علم البيان والمعاني" و"الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء" و"علم الحساب" وكتاب "السراج" في علم الفلك لتفاصيل أكثر حول هذه الشخصية يراجع: المهدي البوعبدلي، عبد الرحمان الأخضرى وأطوار السلفية في الجزائر، مجلة الأصلة العدد، 53، جانفي، 1978، ص21-35 كذلك الدراسة القيمة للباحث بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الأخضرى العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ط2، مؤسسة بلاد النشر 2009م، - حنفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر العهد العثماني، دار الهدى للنشر والطباعة، ط1، الجزائر 2008م، صص 229-252 - من أبرز مؤلفاته الهامة والتي كانت تدرس ليس في الجزائر والمغرب الأقصى فقد بل في مختلف أرجاء العالم الاسلامي كتابه: السلم المرونق، يراجع الملحق رقمي: 12-13

وحسفت شمس الهدى وأفلت
والدين قد تهدت أركانـه
وظلمات الزور والبهتان
من بعدما قد بزغت وكملت
والزور طابق الهوى دخانه
تزخرفت في جملة الأوطان¹.

ويعتبر انتاج القرن التاسع، رغم ذلك من أوفر انتاج الجزائر الثقافي ومن أخصب عهودها بأسماء المثقفين (أو العلماء) والمؤلفات، إذ يؤكد الدكتور سعد الله من خلال الاحصاء الذي قام به لأسماء العلماء المنتجين خلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر وجد أن عددهم في القرن التاسع يفوق أعدادهم في القرون الباقية متفرقة، ولا سيما القرن العاشر الذي عرف نقصا كبيرا في عدد العلماء وفي المؤلفات²، وقد فسر الرحالة "Shaw" اهمال العثمانيين للتعليم لطبيعتهم العسكرية وسعيهم وراء المال³. وما ذكره "Marcel Emerit" الذي اعتبر تلمسان العاصمة الثقافية وتحدث عن كيفية التعليم في مختلف مراحلها وعن الانتاج الفكري والثقافي واستنتج أن الوضعية الثقافية في تلمسان لم تكن هي نفسها المعهودة سابقا (أي قبل الوجود العثماني) وفسر ذلك بعدم اهتمام الأتراك بالجانب الثقافي مما دفع بالعديد من الجزائريين خاصة العلماء الى الهجرة الى المغرب الأقصى⁴ (هذه الهجرة التي ستتطرق لها بنوع من التفصيل في الفصل الرابع من هذا البحث)

ويرى الباحث أبو القاسم سعد الله أن الدولة (في العهد العثماني) لم يكن لها أي دخل في التعليم فلم يكن في الحكومة الجزائرية عندئذ وزير لشؤون التعليم ولا مدير أو وكيل أو نحو ذلك من الوظائف الرسمية، لقد كانت هموم الدولة عندئذ منحصرة في المحافظة على الاستقرار السياسي والدفاع عن الحدود وجمع الضرائب لبيت المال (الخزينة)، ولم تكن هذه المداخل وغيرها تستعمل في نشر التعليم وترقيته وتنميته الثقافية⁵، ونظرا لهذه الوضعية فقد لاحظ البعض الحالة السيئة التي كان عليها أهل

¹ - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ-العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 180

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، مرجع سابق، ص 39

³ - لبصير سعاد، هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني (1516-1830)، مرجع سابق، ص 193

⁴ - Emerit Marcel, L'Algerie a l'époque de l'emir abdel kader, paris, 1951, p13

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، مرجع سابق، ص 313

العلم وفي هذا الصدد ميّز ليون الافريقي: "حالة الفقر التي يعيش عليها أهل العلم من طلبة ومعلمين"¹ وعندئذ اتجه عدد كبير منهم الى مزاولة نشاطات أخرى كالتجارة مثلا لكسب أمة ال تغطي حاجياتهم كما فعل سعيد قدورة وابن حمادوش²، وعليه يكاد يجمع المؤرخون المختصون في تاريخ الجزائر العثمانية على أن هذه الفترة كانت فترة ركود علمي، حيث فقدت كبرى الحواضر ومنها تلمسان مركزها وإشعاعها الثقافي الذي كانت تتمتع به في العصور السابقة خاصة الفترة الزيانية³. غير أن تدفق الأندلسيين الى الجزائر قبل وبعد سقوط غرناطة، كان له الأثر الواضح في مختلف جوانب الحياة عامة والثقافية بالخصوص، مما جعل تلمسان منطقة مشعة للتبادل الفكري، وقد استقطبت بعض العلماء الذين تصدروا للتدريس، وأسسوا المدارس التي كانت تقدم تعليما عالي المستوى⁴. وكانت لهجرة الأندلسيين أثر كبير على المجتمع الجزائري، فبعد أن تدفقت أعداد هائلة من المهاجرين وكانت طبقات المهاجرين تختلف ثروة وثقافة وجاها، ففيهم أبناء الشعب البسطاء وأحفاد الملوك الوجهاء، وفيهم أصحاب الصنائع وأصحاب القلم، وهكذا كانت المأساة الانسانية في الأندلس خيرا وبركة على مجتمع المغرب العربي الذي كان دائما يلعب دور الوسيط في الانتاج الثقافي وليس دور المنتج⁵، وهكذا فقد شهد المغرب الأوسط بوصولهم حركة علمية وتعليمية واسعة فكانوا يؤسسون جمعيات خيرية للإنفاق على الفقراء الدارسين وانشاء المدارس، كمدرسة الأندلسيين بالجزائر، واحتكروا بذلك التعليم خاصة في

¹ - حسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي)، وصف افريقيا، تر، عبد الرحمان حميدة، مراجعة، علي عبد الواحد، الرياض، 1399، ص 407 - سعاد لبصير، هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني (1516-1830)، مرجع سابق، ص 194

² - لبصير سعاد، هجرة ونفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني (1516-1830)، مرجع سابق، ص 194

³ - عبد الرحمان بالأعرج، الحياة الثقافية في مدينة تلمسان خلال العهد العثماني، مجلة كان، السنة العاشرة، العدد 36، يونيو 2017م، ص 57

⁴ - احمد بوزيبة، المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب تلمسان وفاس "نموذجا" في القرن 10هـ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث- تخصص الدولة والمجتمع في المغرب الكبير- اشراف أرزقي شويتام، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، بوزريعة، 2010/2011م، ص 37

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، مرجع سابق، صص 46-47

الحواضر، وأضافوا علم الحديث وروايات القرآن ونشروا خطهم الأندلسي، وكانوا يعتمدون في التعليم على النقل و الرواية لا على الرأي والاجتهاد¹

وإذا كانت كتابات معظم المؤرخين الذين تناولوا الفترة العثمانية بالجزائر (خاصة القرن العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي)، قد حكموا على الحياة الثقافية بالركود، فقد حاولت قلة منهم إعطاء جوانب مضيئة لهذه الفترة الأمر الذي حافظ على الهوية العربية الإسلامية للمجتمع الجزائري²، وانتشار التعليم في العهد العثماني كان قد اضطلع به رجال الدين وحفظه القرآن لكريم في المساجد والزوايا³

وهنا لا بد لنا من وضع ملاحظة هامة كنا قد تطرقنا لها في مذكرة الماجستير، خاصة بظاهرة التصوف⁴ والتي ميّزت القرن الـ10هـ/16م وكان من نتائجها ظهور "الجمود الفكري"، حيث اعتكف العلماء والمتعلمون على العلوم النقلية تاركين العقل جانبا، إضافة الى اشتداد الأزمة السياسية واشتداد نفوذ المرابطين والصالح والزهاد كل هذه الظواهر جعلت الناس يقبلون على الطرق الصوفية جموعا، ولعل التصوف مبالغا فيه من ناحية الاعتقاد بالشيخ وهو ما أدى الى غلق باب الاجتهاد (وهي ظاهرة خطيرة في نظرنا) وأصبحت الزاوية تنافس المدرسة في كسب الأنصار وكان فيها يدفن الشيخ الصالح ويقصده الناس للتبرك وأصبحت الحركة الصوفية تنتشر على يد كبار الأولياء⁵

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، مرجع سابق، ص 47

² - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 72

³ - صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الى غاية الاستقلال المراحل الكبرى، مرجع سابق، ص 172

⁴ - لاحظ ص 68 من المذكرة وما بعدها

⁵ - أدت المبالغة في الاعتقاد في الشيخ وانتشار الزوايا والأضرحة الى نتيجتين خطيرتين أولاهما تبسيط المعرفة وثانيهما غلق باب الاجتهاد...وبدل أن يلتف الناس حول العلماء المتنورين في المدارس والمساجد أصبحوا يلتفون في زاوية حول شيخ أو مقدم تغلب على عقله الخرافة وعلى أحواله الزهد...وهكذا اكتفى العلماء بالشقشقة اللفظية والاقتصار على الفروع دون الأصول، وبينما كانت الأديرة في أوروبا في موقف دفاع عن نفسها أمام تقدم العلم أصبحت الزوايا في الجزائر (وفي بقية العالم الاسلامي) في موقف الهجوم، ولذلك لا نستغرب أنه عندما كانت شمس المعرفة في أوروبا تطل من وراء السحاب كانت شمس المعرفة في الجزائر تفر غاربة وسط ضباب كثيف لتفاصيل أكثر يراجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، مرجع سابق، صص 48-49

المؤسسات الثقافية خلال العهد العثماني سبق وأن تناولنا هذه المؤسسات الثقافية بنوع من التفصيل في مذكرة الماجستير، وارتأينا أن نشير الى عدد منها في هذا الفصل بغية الحفاظ على وحدة الموضوع من جهة، وكذا لإعتبارات أخرى أهمها أن العلماء الجزائريين (موضوع البحث) قد تخرجوا من هذه المؤسسات الثقافية، وعليه يرى الباحث سعد الله أبو القاسم بأن المؤسسات الثقافية في العهد العثماني لا تكاد تخرج عن المسجد¹ والمدرسة² والزاوية³ والكتاتيب⁴، ومعظم هذه المؤسسات كانت

¹ - لقد كان المسجد مؤسسة تعليمية رائدة، ساهمت في تعليم المجتمع وتربيته وقد عمل المسجد على ترقية العلوم وتوريثها للأجيال اللاحقة، وقد تخرج من أحضانه كبار العلماء وعدد لا يحصى من الرواد المثقفين، وقد تجلّى دور المسجد منذ بداية رسالة الإسلام التي رفع رايته النبي محمد ﷺ وصحابته الفاتحين الذين كانوا كلما فتحوا بلدا أو مدينة إلاّ وبنوا فيها المساجد والمؤسسات التربوية، وتركوا فيها بعض الصحابة والمعلمين والفقهاء لتعليم أهلها مبادئ الإسلام واللغة العربية، يراجع: - عبد الجليل قريان، السياسة التعليمية للدولة الزيانية، مرجع سابق، ص

98- عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني ج2، مرجع سابق، ص 339

² - لم تكن للجزائر العثمانية مدرسة مستقلة للتعليم المحض بالمعنى الذي نفهمه اليوم باستثناء بعض مدارس تلمسان التي تعود إلى العهد الزياني، ووظيفة المدرسة الابتدائية كانت هامة فهي تتقف و تربي الأطفال على قواعد الإسلام، وعلى نمط اجتماعي محدد.. وقد كانت تؤدي وظيفة أساسية في المجتمع خصوصا رفع الأمية- يراجع: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، صص 279 - 280

³ - إحتلت الصدارة في مراكز الثقافة خصوصا في تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الجزائريين المتعطشين إلى إكتراع زلال العلم و المعرفة وقد كانت مقسمة إلى قسمين :

القسم الأول: يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم، وقد يؤمه غالبا الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية واستظهروا بعض الصور من آي الذكر الحكيم .

القسم الثاني: يقوم بتدريس بعض فنون الوقت لاسيما الفقهيات وقواعد النحو والصرف، وفنون البلاغة، وهذا القسم لا يؤمه غالبا إلا المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف - يراجع: محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، مصدر سابق، ص 58- 59

⁴ - وهي أول محل يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل والقلم القصي وتكون هذه الكتاتيب (غالبا) في أضرحة الأولياء وفي الدكاكين والمساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس، كما أن هذه الكتاتيب هي أقل وحدة للتعليم الابتدائي وهي مأخوذة من الكتاب أو المكتب، وكان يطلق عليه ولاسيما في

للتعليم أكثر مما كانت للثقافة بمفهومها اليوم وهذه العناصر تتحكم فيها الأوضاع العامة للبلاد، ودورها ومستواها كان مختلفا من ظرف إلى آخر¹ وخلاصة هذه الجزئية من البحث تؤكد مما لا يدع مجالا للشك بأن الوضعية الثقافية خلال هذه الحقبة الزمنية كانت متدهورة إن لم نقل منحلة، خلال فترة القرن 10هـ/16م، وهذا ما انعكس ذلك سلبا على الإنتاج الثقافي والذي تؤكد معظم الدراسات التاريخية أنه كان محصورا في بعض التفاسير، والشروح والحواشي الفقهية والعقائدية التي دون مصنفاتها القدامى، وقد كان مضمون الإنتاج يغلب عليه التقليد من حيث التفكير، وكثير استعمال كلمة الحافظ من حيث التفكير²، وكثير إطلاقها على جل العلماء والفقهاء، فإذا عدت إلى كتاب (كالبستان) لابن مريم لوجدته يذكر في ترجمة كل فقيه، الكتب التي حفظها، ويؤكد الباحث سعد الله أبو القاسم بأن "ظاهرة الحفظ جمّدت الإنتاج في العلوم، وجعلته مجرد تكرار لأعمال الآخرين"³.

ولعل هذه الميزة لا تقتصر على علماء وفقهاء المغرب الاسلامي فحسب، بل هي ظاهرة سادت جلّ أقطار العالم الاسلامي آنذاك، والتي جعلت شعوبه تمتاز بالجمود الفكري والسياسي وحتى الاقتصادي الذي يرجعه البعض الى تلك الأوضاع المتردية التي يتحمل مسؤوليتها كل من الحكام والمحكومين على حد سواء، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تضع اللبنة الأولى للخروج من عصر الظلام (العصور الوسطى) الى عصر الإستنارة بفضل حرية الفكر والإبداع وتشجيع كل ما من شأنه أن يخدم غالبية

العاصمة اسم (مسيد) وهو بدون شك محرّف (كما يشير الى ذلك الباحث سعد الله أبو القاسم) عن تصغير كلمة مسجد، ووظيفتها الأساسية هي تحفيظ القرآن الكريم للأطفال وترتيبه وكانت الكتابات منتشرة في القرى والمدن وفي جميع الأحياء، والملاحظ أن جميع الجزائريين كانوا يقبلون على إرسال أبنائهم الى هذه الكتابات دون تهاون أو تردد لأن ذلك يمثل في نظرهم رمزا لإسلام الجميع، كما أن الأغلبية من الأطفال في هذه الكتابات يقومون بحفظ القرآن دون فهمه -يراجع: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، صص 276 - 277- أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 19

¹ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519، 1830) مرجع سابق، ص 459
² - محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، مصدر سابق، ص

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

الشعوب الأوربية، والتخلص تدريجيا من قبضة وهيمنة الكنيسة، التي كانت الى وقت قريب تهيمن على الحياة العامة في أوربا بواسطة رجال الدين من قساوسة وراهبان¹.

الحركة العلمية بالمغرب الأقصى:

إن أضمن وسيلة لدراسة عصر من العصور هي التمهيد له بنظرة عن الحالة الفكرية في القرن الذي يسبقه ثم الاسترسال في دراسة العصر الذي هو موضوع البحث اذ ينتج عن ذلك اصطدام الباحث آليا بالفروق البارزة التي تميز بين العصرين فيسهل حين ذاك رسم الحدود² وانطلاقا من هذه المقولة للباحث المغربي عبد العزيز بن عبد الله، حري بنا أن نلقي نظرة بسيطة على مميزات الأوضاع العلمية بالمغرب الأقصى قبل فترة الدولة السعدية-محور البحث لهذا الموضوع-وعندئذ نطرح السؤال التالي: كيف كانت الحالة العلمية خلال عهد المرينيين والوطاسيين؟ وهل كانت الحالة نفسها في عهد السعديين؟

الحركة العلمية في عهد المرينيين:

ازدهرت الحياة الثقافية في عهد المرينيين واشتد الاقبال على الدرس والتحصيل ونشطت الرحلة العلمية وانتشرت المدارس في كل المناطق والجهات وكثرت الحلقات والمجالس العلمية وتعددت المراسلات والفتاوى في القضايا العلمية والاجتماعية والفقهية، مما جعل الثقافة المغربية تنفرد بشخصيتها وتميز بملامحها الخاصة بعد أن كانت من قبل تكتسي تارة الطابع الشرقي وتارة أخرى الأندلسي³ وقد أطلق عدد من المؤرخين عليها اسم "دولة العلم والعرفان"⁴، والعلم الراق الفتان⁵ ذلك أنه منذ تولي بني مرين

¹-مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 75-76

²-عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية، ط4، دار نشر المعرفة، الرباط، 2002، ص 70

³-الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ج1، ط2، مطابع عكاظ، مكتبة دار الباحث، المغرب، 2002م، ص 25

⁴- عبد المغيث مصطفى بصير، الفقيه عبد الواحد بن عاشر، حياته وآثاره الفقهية، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1428هـ/2007م، ص 34

⁵- محمد المهدي الحجوي، حياة الوزان الفاسي وآثاره، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1354هـ/1935م، ص 27

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

مقاليد الحكم في المغرب الأقصى بدأت النهضة الشاملة تعم جميع أرجاء بلاد المغرب الأقصى، وظهر أثر ذلك واضحا في النهضة الفكرية التي بلغت أوج ازدهارها في هذا العهد¹.

لم يقل اهتمام المرينيين بالعلم والعلماء عن الزيانيين، فقد أولوا هذا الجانب عناية فائقة، وسخروا له كل الامكانيات المادية والبشرية، واهتم بنو مرين بتقريب العلماء من مجالسهم، وإجراء الأرزاق عليهم، ومنحهم مناصب هامة في الدولة واستشارتهم في أمورهم وحضور حلقات دروسهم، خاصة في فترة حكم السلطان أبو الحسن المريني (732-749هـ/1331-1348م)² وقد أولى بنو مرين الجانب العلمي والفكري اهتماما كبيرا فأغدقوا على العلماء المال لتحفيزهم على الإبداع والنشاط، وأعطوهم مطلق الحرية في التنقل لانتهاج العلوم والتحصيل، فتنوعت على عهدهم على المغرب الأقصى للإجازة والتحصيل، وكان اهتمام بني مرين بمختلف العلوم النقلية والعقلية، إلا أنهم أولوا العلوم الدينية كالتفسير والفقهاء والحديث عناية خاصة³.

إن حبّ العلوم بمختلف فروعها، والأدب والفنون الراقية التي تعبر عن الحس والذوق الرفيعين، كل ذلك كان سمة مميزة للدولة المرينية، مما ساهم في بلوغ العلوم إلى ذروة تطورها في عصرهم، فتجسد ذلك في بناء المدارس والمراكز العلمية، لتشجيع الطلبة والعلماء في مختلف الميادين على العطاء العلمي والابتكار والإبداع، ومما يثبت هو أن سلاطينهم كانوا يتسارعون إلى الاحتفاظ بما تبقى من تراث الأندلس وإيواء خزائنها فنقلوا الكتب من الأندلس إلى فاس ويروي المؤرخون أن ثلاثة عشر حملا من نفائس المخطوطات نقلت إلى فاس⁴. وبسبب هذه العناية الكبيرة بالعلم في العهد المريني فقد ظهر جيل من العلماء والفقهاء والمؤرخين الذين أسهموا بشكل كبير في إثراء الحياة العلمية والفكرية فسموا المغرب الإسلامي بهم وتشهد لهم مؤلفاتهم ومصنفاتهم التي تنقل صورة واضحة عن ذلك العصر وما عرفه من

¹ - صلاح السيد عبده رمضان، دراسة لأوضاع المدارس بالمغرب الأقصى في عهد بني مرين، مجلة كلية التربية بينها مصر - عدد أكتوبر، 1999م، ص 62

² - هوارية بكاي، العلاقات الزبانية المغربية سياسيا وثقافيا، مرجع سابق، ص 131

³ - نفسه، صص 144-145

⁴ - الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، الدار البيضاء، 1406هـ/1986م، ص 255

رقي وازدهار وتجربة علمية ومعرفية هامة¹، وظهر في حكم الدولة المرينية كبار المؤرخين والأدباء والشعراء الذين عاشوا وعاصروا حكم الدولة المرينية ومنهم من عمل في بلاطهم، وعلى سبيل المثال ابن خلدون (ت: 808هـ/1405م) وابن الخطيب الذي عاصر الأمير أبي عنان فارس المريني (749-759هـ/1348-1358م) بالإضافة إلى ابن البناء، وابن آجروم، وابن رشيد السبتي، وابن أبي زرع، و الرحالة ابن بطوطة²، ولعل أبرز العلوم التي ذاع صيتها في عهد الدولة المرينية هي:

- 1- **العلوم الدينية:** لعل ما ميز هذا العصر هو الرجوع إلى الكتب التي كان خلفاء الموحدين قد أمروا بإحراقها كمدونة سحنون والمختصر لابن أبي زيد القيرواني والواضحة لابن حاجب، هذا فضلا عن موطأ الإمام مالك الذي يعتبره علماء المغرب من أمهات كتب الحديث، وأصول السنن، وهو مقدم عندهم على الصحيحين³، كما كان هناك اهتمام كبير بعلم القراءات⁴
- 2- **العلوم العقلية:** وأهمها الرياضيات، من العوامل المهمة التي ساعدت على النهوض بهذا العلم في زمن المرينيين هو الحاجة إلى ضبط أحكام الزكاة ومواردها ومصارفها واستخلاص ضرائبها فضلا عن ضبط مقادير الإرث وكل ذلك يحتاج إلى دراية في علم الحساب، فكان أهم عامل لتحقيق هذا العلم حاجة الناس إلى تطبيق تعاليم الإسلام أي المعرفة الدقيقة بأوقات الصلاة والصيام والحاجة لمعرفة ما أوجبه الله فيما يتعلق بنظام الإرث وتوزيعه ومعنى ذلك أن علم الفرائض وعلم التنجيم من الأسباب التي نهضت بعلم الحساب⁵. وقد برز مجموعة من العلماء الذين في هذا المجال¹ بالإضافة إلى

¹ - هوارية بكاي، العلاقات الزبانية المغربية سياسيا وثقافيا، مرجع سابق، ص 132

² - عدنان محمود عبد الغني الشاوي، الثقافة والتعليم في العصر المريني، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد 22، العدد 8، نوفمبر 2015م، ص 6

³ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 298

⁴ - علم القراءات كان في طليعة اهتمام السلاطين المرينيين، ومن ملامح ذلك أن أصبح لطلاب هذه العلوم الحق في السكنى بالمدرسة وفي التمتع بالمنح الدراسية لتفاصيل أكثر حول هذه المسألة يراجع: مصطفى عيد أحمد القيم، المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى في العهد المريني، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، اشراف، أبو القاسم سعد الله، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت، 2000م، ص 106 وما بعدها

⁵ - نفسه، ص 122

الى الرياضيات اهتم المغاربة في العهد المريني بعلم الطب الذي لم يحقق نجاحا باهرا على مستوى الدراسة النظرية، وإنما كان نجاحه على صعيد الطب التقليدي²، ومن أبرز المؤلفات الطبية في هذا العصر "الأرجوزة في الطب" لابن الخطيب وقد نظمها وقدمها كهدية للسلطان أبي سعيد عثمان المريني، وكذا "عمل من طب لمن حب" للسان الدين ابن الخطيب الذي قدمه كهدية للسلطان أبي سالم بن أبي الحسن المريني، وتناول فيه ابن الخطيب الأمراض المختلفة مع ذكر أسباب كل مرض وطرق علاجه، وتحدث فيه عن أعضاء الجسم وطرق العناية بها³ وأخيرا يمكننا القول بأن الدارسين للعهد المريني يجمعون على أن العهد المريني يمثل ذروة الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب، لأنها لم تعد كما كانت من قبل محصورة في منطقة معينة دون سواها، بل شاركت كل المناطق بنصيبها في حفظها ونشرها، إضافة إلى تشييد المدارس العلمية ودور العلم مع توفير الظروف المواتية للطلبة لتسهيل التعليم والرفع من جودته.

ورغم ما امتازت به مرحلة الدولة المرينية، من صراعات داخلية وخارجية غير أن الواقع الثقافي امتاز بما يلي:

- وجود أكبر حركة ثقافية وعلمية وفكرية شهدتها البلاد طوال تاريخها الإسلامي خاصة بسبب هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأقصى بفنهم وعلمهم وثقافتهم وبرزت بذلك فاس (عاصمة بني مرين) متفوقة على جميع مدارس المغرب وبرزت في ميدان الحضارة وتألق نجمها في عالم الفكر والثقافة⁴

¹-أوردت الباحثة بكاي هوارية عددا لا بأس به من هؤلاء العلماء في رسالتها الموسومة ب:العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 329-325

²-ابن شقرون محمد بن أحمد، مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب 1985، ص 222

³-مصطفى عيد أحمد القيم، المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى في العهد المريني، مرجع سابق، ص 126

⁴-مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 77

- أن سلاطين بني مرين لم يقيموا دولتهم على أساس أفكار دينية، ولم يفرضوا على العلماء في دولتهم أن يتقيدوا بوجهة نظر معينة، ناهيك عن تشجيع سلاطين بني مرين حركة التأليف وأجزلوا على العلماء الهبات والعطايا على مؤلفاتهم، حيث كان العلماء يعرضون على سلاطين بني مرين انتاجهم العلمي والأدبي أولا بأول طمعا في نيل مكافآتهم¹
- اهتمام بنو مرين بالمدارس، حيث كان الطلبة يقيمون فيها على نفقة السلطان المريني، واهتموا بها لتدريس الفقه المالكي وضمنوا معاش الأساتذة وآووا الطلاب .. كل ذلك يؤكد تقدم الحركة الفكرية²
- أصبح المذهب المالكي في هذا العهد كامل السيادة ولم يعد ينافسه أي مذهب ديني آخر، وقد اكتسب الفقهاء اعتبارا فائقا في هذا العهد بسبب الإقبال العظيم الذي حصل على العلوم الدينية بوجه عام والذي كان كرد فعل للحجر الطويل على المذهب المالكي أيام الموحدين³.
- وبما أن مدينة فاس كانت عاصمة المرينيين، فقد تجسد فيها ولع المرينيين ببناء المدارس والإنفاق على العلماء والطلبة، إضافة لذلك فقد كان سلاطين بني مرين على جانب عظيم من الثقافة، يعتقدون المجالس العلمية⁴ للمذاكرة والمناظرة وكانوا يقدرون رجال الفكر ويرفعون مكانتهم، وكل هذا ساهم في ازدهار المعارف والعلوم، ولعل اهتمام سلاطين بني مرين بالعلم والعلماء وتهيئة كل الظروف والوسائل

¹ - صلاح السيد عبده رمضان، دراسة لأوضاع المدارس بالمغرب الأقصى في عهد بني مرين، مرجع سابق، ص

² - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين الى نهاية السعديين، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دار

الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1978، ص 165

³ - إبراهيم حركات، المرجع نفسه، ص 169. لقد كان سلاطين بني مرين يهتمون بأنفسهم بفهم هذا المذهب (

المذهب المالكي) لأنه المذهب المفضل والمحبيب عند شعبهم، إذ كان السلطان أبو الحسن يحرص على أن يوضع بين يديه مؤلفات المذهب المالكي... وكان المذهب المالكي هو محور التعليم في العصر المريني، يراجع: عبد الفتاح

مقلد غنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مرجع سابق، ص 279

⁴ - للإطلاع أكثر على هذه المجالس العلمية التي كان يعقدها سلاطين بني مرين والتي انعكست ايجابا على

المشهد الثقافي خلال حياة هذه الدولة يراجع: بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين

الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، صص 254-258

لهم كبناء المدارس وغيرها كان يخفي وراءه حسب بعض المؤرخين رغبة المرينيين في إضفاء الشرعية التي كانت تنقصهم، وإلغاء نظرة الغزاة الطامعين من نفوس المغاربة¹

الحركة العلمية في عهد الوطاسيين:

تجمع أغلب المصادر التاريخية، والمؤلفات التي تناولت الحياة الثقافية والحضارية والفكرية والأدبية على العهد الوطاسي، أن هذا العصر تعرض للغبن والتهميش وصل حد الإلغاء، ولعل الكثير من الباحثين والدارسين بنوا أحكامهم حول الحياة الثقافية لهذا العصر انطلاقاً من الأوضاع السائدة آنذاك، والتي تميزت بالفتن والحروب، نتيجة للأطماع الخارجية من جهة والصراع على السلطة والنفوذ بين المرينيين والوطاسيين من جهة وبين الوطاسيين والسعديين من جهة ثانية فوصف كثير من الباحثين هذا العصر بالانحطاط والجمود والفرغ الفكري والأدبي²، ويصف الباحث محمد حجي هذا العصر بالمغرب كله بالضعف السياسي والفكري قائلاً "بلغ المغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري (15-16م) حداً من التدهور لم يصل إليه من قبل"³، ورغم ذلك فإن الحركة الفكرية لم تتوقف في العهد الوطاسي كما يشير إلى ذلك الباحث إبراهيم حركات "ولكنها تراجعت من بعض الوجوه، فلم ينجب المغرب في هذا العهد عدداً كبيراً من العلماء الفطاحل كما حدث في العصر الموحيدي والمريني"⁴. لقد تدهورت حركة التعليم بشكل واضح إذا قارناها بما كانت عليه في العصر المريني الذي كان فيه لكل مدرسة عدد كبير من العلماء حسب تخصصهم وكانت لهم رواتب محترمة، وبينما كانت لكل طالب منحة تكفل له المؤونة واللباس لمدة سبع سنوات والسكنى بالمدرسة، لم يعد له في العصر الوطاسي سوى السكنى، أما المؤونة فيتصدق بها عليها لمحسنون من سكان فاس وضواحيها (فيما يخص مدارس فاس)⁵. على أن حسن الوزان قد وصف الحركة التعليمية في هذه الفترة بالنشطة آنذاك قائلاً "في كل مدرسة أساتذة لمختلف العلوم، فهذا يلقي دروسه في الصباح وذاك في

¹ - هوارية بكاي، العلاقات الزبانية المغربية سياسياً وثقافياً، مرجع سابق، ص 132

² - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربيين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 335

³ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، رسالة دكتوراه دولة في الآداب والعلوم الانسانية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الرباط، 1976، ص 37

⁴ - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، مرجع سابق، ص 253

⁵ - نفسه، ص 255

المساء، ويتقاضون جميعا مرتبات حسنة أوصى بها مؤسس المدرسة، وكان كل طالب من طلبة الزمن الماضي معفى من مصاريفه ولباسه مدة سبع سنوات، أما الآن فلم يبق له غير السكن¹ ورغم ذلك نجد علوم القرآن في العصر الوطاسي قد اتسع نطاقها وتعددت مدارسها، وقلما تجد عالما لا يحسن علم القراءات، وقد لقيت علوم القرآن تشجيعا كبيرا من ملوك العصر، فكان أبو العباس الوطاسي محبا للعلم، مؤثرا لأهله، واقفا عند إشاراتهم²

رغم الاضطرابات التي عاشها المغرب آنذاك فإن الأوضاع الثقافية سادتها ظاهرة التصوف إذ انتشرت الطرق والزوايا بشكل لم يسبق له مثيل³، وهكذا أصبح للصوفية في هذا العصر دور كبير إذ نسبت إلى بعضهم خوارق وتصرفات لا تكاد تصدق وبلغت ثقة العامة بهم إلى درجة أن سلاطين الدولة الوطاسية رهبوا جانبهم ... والروايات عن كرامات الصوفية بما تحتوي عليه من مبالغات أكثر من أن تحصى⁴، وقد تزامن نشاط هذه الطرق الصوفية، بمحاولات الغزو البرتغالي للشعور المغربية فكان حماس طوائف الصوفيين كبيرا للجهاد، وذلك لمواجهة هجمات البرتغاليين ... وتتمثل هذه الطرق في طائفتين كبيرتين، أتباع الطريقة القادرية (تنسب إلى عبد القادر الجيلالي دفين بغداد) والطريقة الجزولية تنسب إلى محمد بن سليمان الجزولي الذي أنشأ هذه الطريقة في القرن 15م⁵

رغم تراجع الحركة الفكرية في عهد الوطاسيين إلا أن التعليم في الكتاتيب والمدارس ظل شبيها بما كان عليه في الماضي ... فمن حفظ القرآن الكريم في ألواح خشبية، إلى حفظ رسالة أبي زيد القيرواني ثم ألفية ابن مالك، ومع ذلك فقد تفهقت حركة التعليم بشكل واضح إذا قارناها بما كانت عليه في العصر المريني، وبموازاة ذلك كان رجال الأدب في هذا العهد من الفقهاء الذين جمعوا بين العلوم الدينية وقرض الشعر، على أن الأدب الذي يصور بطولة الشعب وصراع الدولة مع الاحتلال قد شاع في هذا العصر⁶. وكان من هذا الأدب ما صدر عن مرابطين مجاهدين وعن علماء واعظين ومن صوفية

¹ - حسن الوزان، وصف افريقيا، ج1، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983م، ص 179

² - سعيد اعراب، القراء والقراءات بالمغرب، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1410هـ/1990م، ص 49

³ - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 214

⁴ - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 214 - 215

⁵ - شوقي عطالله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس - الجزائر - المغرب) مرجع سابق، ص 46

⁶ - يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية، مرجع سابق، ص 228

متبتلين،والجميع حملوا على عاتقهم مسؤولية الجهاد أو التحريض عليه من خلال دروسهم ومواعظهم¹
أما العلوم الدينية،فقد برز على العهد الوطاسي،فقهاء كثر على المذهب المالكي،تخصص بعضهم في
الفتوى التي كانت ملجأ لحل المشاكل القضائية،أما المؤلفات الفقهية فكان معظمها يدور حول "متن
خليل" و"المدونة" شرحاً وتعليقاً²

العلوم والمعارف في عهد الدولة السعدية:

تؤكد مختلف المصادر بأنه مع ظهور السعديين الذين حملوا لواء الجهاد وقضائهم على سلطة
الوطاسيين من جهة،ودحرهم للأطماع الأوربية من جهة أخرى فإن البلاد قد أخذت تنتعش(ثقافياً)
ودخل بذلك المغرب مرحلة جديدة،ولعل ما يميز الحركة الفكرية في هذه المرحلة هو انطباعها بالطابع
الديني مثلما يؤكد الباحث إبراهيم حركات بأن "كل مظاهر الحركة الفكرية في أي بلد إسلامي
انطبعت بالطابع الديني عبر التاريخ"³،لقد ساهم هذا الانتعاش وبشكل كبير عناية السلاطين
السعديين بالعلم واهتمامهم بالعلماء وإجراء الأرزاق عليهم،بل أن معظم ملوك الدولة السعدية وإن
عرفوا كساسة وقادة للمغرب محنكين فقد عرفوا أيضاً كعلماء وأدباء وفقهاء يشاركون في الدروس
ويحفظون المتون⁴،ذلك أن الملوك السعديين كانوا مولعين بفنون الأدب،فكان محمد المهدي (1544
1544 – 1557) يحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب،وسمي بالمهدي لأنه بلغ في العلم درجة كان
يخالف القضاة في الأحكام ويرد على فتواهم فيجدون الصواب معه،وله حواشي على تفسير القرآن
كثيرة ومتعددة⁵.

¹ - بكاي هوارية،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر
المجريين،مرجع سابق،ص 346

² - نفسه،ص 343

³ -إبراهيم حركات،السياسة والمجتمع في العصر السعدي، نشر وتوزيع،دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،
1987م، ص 374

⁴ - بكاي هوارية،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر
المجريين،مرجع سابق،ص 356-357

⁵ -مسعود بقادي،هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م،مرجع
سابق،ص 79

ومع بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي ظهر هناك سلاطين سعديون أثروا الحياة الثقافية واهتموا بها، ومن ذلك محمد الغالب (964 - 981 هـ / 1574 - 1575 م)، الذي كان عادلا في أحكامه محبا للصلحاء رغم أنه كان قاسيا على بعض أرباب الزوايا، وامتازت سياسته الدينية بمحاربة أصحاب البدع وعدم التحرر الفكري¹ ومما عرف عنه أنه رغم ذلك كان يتقرب إلى أرباب الطريقة الجازولية². والخليفة محمد الشيخ (والد المنصور)، كان أدبيا وفقهيا معروفا بمقدرته على اقناع الفقهاء والمستشارين لديه بوجهة نظره، وقد قال عنه ابن القاضي: "كان حافظا للقرآن وكان فهمه له جيدا، ويحفظ ديوان المتنبي عن ظهر قلب، حافظا لصحيح البخاري، وكان عارفا بالتفسير والفقهاء وغير ذلك"³. لذلك فليس غريبا أن ينعت العصر السعدي بعصر العلم والأدب وعصر النبوغ والتفوق، وأن يكون هذا العصر امتدادا تاريخيا وحضاريا وعلميا للعصرين الموحدية والمرينية، فيوقد من جديد ما خمد من أنوار الحركة الفكرية أواخر عهد المرينيين وأيام الوطاسيين لتكون النهضة العلمية والأدبية موازية للنهضة السياسية والاقتصادية والعمرانية⁴.

على المستوى الثقافي والأدبي نجد أن العصر السعدي من العصور المتألقة علما وأدبا وفكرا، وما الانتاجات المتنوعة والكثيرة إلا دليل على نبوغ أبناء الفترة السعدية وتفوقهم في الميدانين الأدبي والفكري، ولعل الظاهرة المتميزة في نبوغ هؤلاء الأبناء هي نبوغ الملوك والأمراء السعديين، فلم يكن

¹- مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، ص 79

²- الجزولية: نسبة إلى مؤسسها أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي، من قبيلة جزولة الأمازيغية في السوس من بلاد المغرب الأقصى، حيث بدأ تعليمه هناك وانتقل إلى فاس، ودخل مدرسة الصغارين، حجّ إلى مكة ومنها إلى المدينة والقدس وأقام هناك نحو أربعين عاما، عاد إلى فاس وأنشأ الطريقة الجزولية، توفي نحو سنة 1470م له مؤلفات في التصوف أهمها، دلائل الخيرات، وشوارق الأنوار يراجع: جورج كرم، وبطرس البستاني، المنجد في الأعلام، ط2، دار الشرق، بيروت، 1969، ص 170

³- بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 357

⁴- المريني نجاة، شعر عبد العزيز الفشتالي، جمع ودراسة وتحقيق، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1986م، ص 41-42

الحكم ولا السلطة لتشغلهم عن الدروس والعلم، ولا المشاركة في فنون القول شعرا ونثرا¹. وإذا كانت مسؤولية الجهاد بالنسبة للسعديين قد شكلت أرضية ومنطلقا لقيام دولتهم، فإن المسؤولية التي احتلت الرتبة الثانية بعدها هي مسؤولية نشر العلم ورعايته، فقد وجهوا عنايتهم الى إصلاح المدارس والمساجد القديمة، ومن ذلك توسيع مسجد القرويين²، كما عملوا على تعهد أهل العلم وطلبته بالعناية التي بلغت أوجها في عهد أحمد المنصور، وهي ما شهد به أبو العباس المنجور في قوله "مآعهدنا بذل المئات الا في أيام الأشراف، ومآعهدنا بذل الألوف الا في أيام المنصور"³. ومآدامت الحياة الثقافية مزدهرة بهذا الشكل حق لنا أن نتساءل عن سبب هذا الازدهار وعوامله؟؟

عوامل وأسباب ازدهار الحياة الفكرية في عهد الدولة السعدية:

إن نضج الحياة العلمية والفكرية بالدولة السعدية مرده الى عوامل متعددة نوجزها فيما يلي:

1 عناية الأشراف السعديين بالعلم واهتمامهم بالعلماء:

إن الأشراف السعديين بحكم نسبهم الشريف تحملوا مسؤولية الجهاد الديني لتحرير السياسي والإصلاح الاقتصادي والاجتماعي ولم يكن ليتحقق ذلك إلا بإشعال الحماس الديني وإنقاذ المؤسسات الدينية وبعث الروح فيها من جديد، ولا غرابة في ذلك إذ أن سلاطين هذه الدولة كانوا على جانب كبير من العلم والثقافة كما أشرنا سابقا، على أن أكبر فترة قوة عاشها المغرب في تاريخ

¹ - محمد بوغالي، مراكش خلال العصرين المريني والسعدي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أشغال الملتقى

الثاني، جامعة القاضي عياض، مراكش، العدد 8/1992، ص 73

² - حول هذا المسجد الجامعة يراجع: عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة

فاس، موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ط2، المجلد الثاني، دار نشر المعرفة، الرباط، 2000م، ص 316 وما

بعدها

³ - لحسن البيوي، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين الى ما قبل الحماية، وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1419هـ/1998م، ص 75، -محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في

عهد السعديين، ج1، مرجع سابق، ص 123

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

الدولة السعدية هي فترة حكم أحمد المنصور الذهبي (1578 م - 1603م) الذي كان له شعر غزير¹، وكان واسع الثقافة، وقرب إليه العلماء والفقهاء حتى عرف بخليفة العلماء وعالم الفقهاء². ومن شدة حبه للعلماء فقد قام بتخليص أحمد بن القاضي من الأسر باذلا في فدائه 20.000 أوقية من الذهب (ما ينيف عن مائة كيلو ذهب)³. ويجمع عدد كبير من المؤرخين على أن أحمد المنصور (986-1012هـ/1578-1603م) أنه قد خدم الحركة الفكرية لا بفضل نفوذه كملك، وإنما بفضل ثقافته الواسعة التي شملت علوما وفنونا عديدة، كالآداب والتاريخ والمنطق والبلاغة والفقه والأصول والتفسير والحديث والتراجم والرياضيات والفلك وعلوم اللغة وغيرها⁴. وكان المنصور يؤثر العلماء بحبه وعطائه، وفي هذا الصدد يقول ابن القاضي "ومخدومنا أيده الله، أبر الناس والأمراء بأهل العلم فقد استخلصتم لنفسه وجمعهم من أقطار مملكته لمخاطبته وأنسه، فإذا سمع بمن له منزلة في العلم أقدمه على حضرته العلية بإمامته العلوية"⁵.

غير أن ثمة مسألة جوهرية لا يمكن التغافل عنها وهي صعوبة تحديد صفة العالم في هذه الفترة الزمنية وهو سؤال أيضا طرحه الباحث: عثمان المنصوري، عندما تساءل عن ذلك معللا ذلك بأن طريقة التدريس كانت تؤدي الى مرور الطالب في تكوينه بمرحلة أساسية يتلقى فيها تكوينا في الفقه والعلوم الشرعية، قبل أن يتخصص في غيرها من العلوم، ويضيف نفس الباحث قائلا: لذلك نجد صفة الفقيه

¹ - مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، ط1، 1994 تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، ص 63-64-65-66 يراجع كذلك، يوسف علي بدوي، عصر الدويلات الإسلامية، مرجع سابق، ص 218

² - شوقي عطالله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 56 ولمزيد من التفاصيل حول أعمال هذه الشخصية الكبيرة، يراجع: الفشتالي، مناهل الصفا في تاريخ موالينا الشرفا-إبن القاضي، المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور- التمجروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية

³ - مجلة دعوة الحق، العدد 93، المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور (لابن القاضي)

⁴ - المقري أبو العباس أحمد، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقبته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس، تقديم، عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1964م، ص 34 - ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، مرجع سابق، ص 376

⁵ - ابن القاضي أحمد، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق محمد رزوق، جزآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، 1986م، ص 382

مرافقة لعلماء اشتهروا كأدباء، ويؤدي نفس التكوين الى ولوج مناصب ادارية، لاتنفي صفة العالم عن صاحبها كالقضاء والكتابة والفتيا والشهادة وتولي المظالم وغيرها. وتزداد المسألة تعقيدا حينما تختلط صفة العالم بصفة الصوفي، نظرا لانخراط عدد من العلماء في سلك التصوف¹، ويضيف الباحث: حوسني عبد الرحمان قائلا: كثيرا ما يتردد مفهوم العلماء في التراجم والمراسلات المخزنية، والدراسات التاريخية، دون أن تكون لها دلالة واضحة ومضبوطة، فقد يرد في بعض الأحيان من باب الاطراد والتشريف مما يجعله مجرد صفة، ولا يستبعد أن يوسم بالعلم من قرأ شيئا من مبادئ العلوم أو أقبل على العلم في شبابه، أو حتى من لم يكن قد انقطع الى العلم انقطاعا كلياً، أو لم يكن قد شمر في طلب العلم عن ساقه²، ونحن نتفق الى حد بعيد مع الباحث حوسني عبد الرحمان في "أن السلاطين كانوا حرصين على استمالة العلماء الى صفوفهم حتى يضمنوا السند الشرعي لسياستهم"³ ولعلنا نختتم هذه الجزئية من البحث بما توصل اليه الباحث المغربي عبد القادر آيت الغازي في تقصيه عن دور العلماء بالمغرب في عهد الدولة السعدية مفادها "أنه رغم سلطة العلماء الرمزية وإدراكهم الدينية والشرعية والتاريخية فإن وضعهم في مجلس الشورى (الذي أنشأه المنصور الذهبي) كان يتميز ب:

- حضورهم كان فرديا أي أنهم لم يكونوا منتظمين في هيئة أو مؤسسة
- كانوا متأثرين بشكليات المجلس (بروتوكولات)
- كانوا مجردين من أية سلطة مادية إلا سلطتهم المعنوية (الرمزية)
- عدم الجرأة على الاقتراح⁴

¹ - عثمان المنصوري، ملاحظات حول علاقة العلماء بالمخزن في مغرب القرن السادس عشر الميلادي، مجلة أمل، العدد الثاني، السنة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 1992م، ص 07

² - حوسني عبد الرحمان، العلماء في المجتمع المغربي خلال ق19م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ المعاصر، اشراف محمد المنصور، كلية الآداب والعلوم الانسانية، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1993/1994م، ص 05

³ - نفسه، ص 412

⁴ - عبد القادر آيت الغازي، العلماء والمخزن السعدي من قيام الدعوة الى انهيار الدولة، أطروحة دكتوراه في التاريخ، ج2، اشراف مصطفى ناعمي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2002-2003م، ص 527

2 تأسيس المكتبات والخزائن:

اتسمت فترة الاستقرار في العصر السعدي بتنافس الأسر والخواص في اقتناء الخزائن وجمع الكتب، وذلك حبا في وضعها تحت تصرف الدارسين والباحثين، ولربما كانت أعظم خزانات المغرب حتى العهد السعدي هي خزانة القرويين التي كانت تحت إشراف قيم يعينه القاضي، وقد خصصت في البداية للأساتذة والباحثين، أما الطلبة فكان بإمكانهم مطالعة الكتب في عين المكان من غير استعارتها، ولما كانت هذه الكتب محبسة فلم يكن مباحا بيعها أو تبادلها¹. ولعل المغرب السعدي يزخر بعشرات المكتبات العامة ومئات المكتبات الخاصة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- المكتبات العامة:

مكتبة القرويين بفاس تظم مكتبتين أولاهما مرينية من تأسيس أبي عنان سنة (750هـ/1348م) ومن أبرز الكتب التي تحتويها كتاب "العبر" الذي أوقفه ابن خلدون نفسه على طلبة القرويين، والثانية سعديّة من انشاء أحمد المنصور وتحتوي على نفائس الكتب القديمة والحديثة وفي جميع الفنون²، ومكتبة جامع الأندلس بفاس وتحتوي على مؤلفات في التفسير والحديث تعود الى فترة الموحدين والمرينيين، ومكتبة ابن يوسف بمراكش، والتي أسسها عبد الله الغالب حوالي عام 965هـ/1558م عندما جدد المدرسة الكبرى المتصلة بجامع علي بن يوسف المرابطي، بالإضافة الى مكتبة جامع الشرفا بمراكش، ومكتبة الحرم العباسي بمراكش، ومكتبة جامع الحرة بمراكش، ومكتبة الجامع الأعظم بمكناس، ومكتبة جامع قصبه بالرباط، ومكتبة الجامع الأعظم بأسفي³

ب- المكتبات الخاصة: لم يكن منزل من منازل العلماء في العصر السعدي يخلو من مكتبة صغيرة أو كبيرة في المدن أو البادية، وظلت أسر هؤلاء العلماء تحافظ عليها لمئات السنين⁴ ومن أبرز هذه المكتبات نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

¹ - ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، مرجع سابق، ص 379

² - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع

والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 366

³ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، مرجع سابق، صص 185-186-187

⁴ - عن هذه المكتبات يراجع: ابن عسكرو، دوحه الناشر، مصدر سابق، ص 12

مكتبة آل الفرديس بفاس:تعتبر أقدم مكتبة خاصة عرفت بالمغرب، حيث عرف آل الفرديس التغليبين بفاس بالعلم والرياسة،عمل علماءهم الأوائل مع أمراء مغراوة أواخر دولة الأدارسة،وعمل آخرون مع المرابطين والموحدين والمرينيين،وقد آلت مكتبتهم في القرنين(10-11هـ/16-17م)الى الفقيه الصوفي محمد ابن القاضي محمد الفرديس ثم إلى ابنه الأديب الشاعر أحمد الفرديس، ومن هذه المكتبة استقى أحمد الونشريسي مادة معلمته الفقهية الكبرى "المعيار"¹، كذلك مكتبة بني الملحوم بفاس،وهي ثاني مكتبة مغربية قديمة،وعرف من أصحاب هذه المكتبة في القرن العاشر(16م) عبد الرحمان بن ملحوم من الشيوخ المدرسين بالقرويين،بالإضافة الى مكتبة ابن القاضي بفاس، ومكتبة الهبطين بالريف،والمكتبة الملكية بمراكش،والتي تعتبر أم المكتبات الخاصة في هذا العصر وأهمها على الاطلاق،حسبما ذهب اليه الباحث محمد حجي، إذ حوت من نفائس مؤلفات القدماء والمحدثين ما لم تحوه مكتبة أخرى من قبل في هذا البلد،وأهدي اليها مآت المؤلفين كتبهم من المغرب والمشرق،الى ما حمل لها أوأنتسخ لحسابها طوال نحو قرن ونصف، وغيرها من المكتبات الموزعة في أراضي الدولة السعدية²، ولا يغادر هذه الجزئية من البحث دون أن نشير الى ما أقدم عليه أحمد المنصور الذهبي في هذا المجال وذلك بتأسيسه لخزانة عظيمة سميت بالخزانة المنصورية،وقد جمعت كتبها من مختلف الأقطار حيث كان سفراؤه يحملون اليه من البلاد النائية مختلف الكتب وضمت الى خزانة القرويين بعد وفاته³

3 تأليف الكتب:

عرفت حركة التأليف على عهد السعديين نشاطا لامثيل له،هؤلاء السلاطين الذين أولوا العلم والتعليم عناية خاصة،حيث بلغ فيه النشاط التعليمي تطورا ملحوظا،خاصة وأن السلاطين السعديين عرفوا بشغفهم للعلم،وتقربهم من العلماء،وحبهم للكتب،والتشجيع على تأليفها⁴،وكثرة

¹ - المقري،روضة الآس،مصدر سابق، ص 187- محمد حجي الحركة الفكرية،ج1،مرجع سابق،ص188 -

ابراهيم حركات ،السياسة والمجتمع،مرجع سابق،ص 502

² - محمد حجي،الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين،ج1، مرجع سابق،صص 187-194

³ - الحسن السايح،الحضارة الاسلامية في المغرب،،الحضارة الاسلامية في المغرب،مرجع سابق، ص 312

⁴ - بكاي هوارية،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع

والعاشر الهجريين،مرجع سابق،ص 373

التأليف في العصر السعدي تعني بالطبع وفرة عدد القراء من العلماء والمتعلمين ،على أن الاقبال على قراءة الكتب واقتنائها غدا شائعا في ذلك العصر عند أصناف كثيرة من القراء ،وأصبحت الوراقة كما دعوها أحيانا مشيخة خاصة ،وغدت ذكاكين النساخين تفتح في الأسواق العامة بالمدن والقرى¹ ، وإذا كان الجو العلمي السائد آنذاك وحده حافزا على الاقبال على التأليف ونش الكتب فإن لتشجيع الملوك الشرفاء أثره الفعال، إذ استمر هذا التشجيع من عهد نشأة الدولة مع محمد الشيخ المهدي(الأكبر) الى عهد الاضمحلال مع محمد الشيخ (الأصغر)، وبرز أكثر على عهد أحمد المنصور الذهبي². ومن الكتب التي ألفت في هذا العصر نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ - كتب علوم القرآن والحديث:

ألف علماء العصر السعدي عشرات الكتب في القراءات ورسم القرآن وضبطه ما بين منشور ومنظوم وشروح وذيول، وقد كانت هذه المصنفات تقرأ بين يدي مؤلفيها وتروى عنهم ثم تعرض على تلاميذهم للاستفادة منها³، ومن أبرز مؤلفات هذا العصر "تقييد وقف القرآن" لمحمد الهبطي السمائي الذي يعتبر كتابه مختصرا جدا، يقتصر على بيان المكي والمدني من السور مع ذكر الكلمات التي يوقف عليها، مبتدئا من أم القرآن الى سورة الناس، وقد أثار هذا الكتاب ضجة كبرى في أوساط النقاد، وأصالة هذا الكتاب ومكانته تكمن في أن العمل جار عليه بأقطار المغرب منذ عهد المؤلف الى يومنا هذا سواء في تلاوة القرآن الجماعية بالمساجد، أو في كتابة المصاحف المخطوطة والمطبوعة⁴، وألفوا كتباً أخرى من بينها:

- كتاب تفسير القرآن لعبد الجبار الفجيجي في اثنا عشر جزءا
- كتاب اللباب في مشكلات الكتاب لمحمد بن علي الشطبي
- كتاب الدر الأزهر في مناسبات الآيات والسور

¹ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، مرجع سابق، ص 134

² - نفسه، ص 135

³ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع

والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 374

⁴ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، مرجع سابق، صص 140-141

- كتاب الفتح النبيل لما تضمنه من العدد ومعنى الحساب والتنزيل لأحمد بن القاضي
- كتاب تفسير الفاتحة على طريق الإشارة لعبد الرحمان الفاسي العارف¹
كان اعتماد العلماء آنذاك على مؤلفات عديدة، منها مؤلفات الحافظ العراقي، صاحب الألفية في مصطلح الحديث، وتقريب الأسانيد والتقييد والإيضاح، وقد عرفت مجالس الحديث بالقرويين، الكتب الصحاح كالبخاري، ومسلم، والترمذي، والموطأ². وفي مصطلح الحديث نظم علماء الدولة السعودية قصائد كثيرة فاق عدد أبياتها الألف، ومنها "نظم ألقاب الحديث"³، واختصروا مقدمة ابن حجر على شرحه الكبير لصحيح البخاري وهي في الحديث بمثابة مقدمة ابن خلدون في التاريخ⁴، وقد طبعت مقدمة ابن حجر في مجلد مستقل عن الأجزاء الثلاثة عشر لكتابه "فتح الباري لشرح صحيح البخاري"⁵

ب- كتب التوحيد والفقهاء والتصوف:

تكاد تكون معظم مؤلفات العلماء السعديين تختص بهذه العلوم الثلاثة وملحقاتها لانتشار التصوف وطغيان النزعة الدينية آنذاك فقد عدت بالمئات، فالتوحيد تم الاعتماد على "عقائد السنوسي الأربع"⁶، فكتبوا عليها نحو عشرين شرحا، وحاشية منها شرحا محمد المأمون الحفصي على العقيدتين

¹ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع

والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 375

² - احمد بوزيدية، المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب تلمسان وفاس "نموذجا" في القرن 10هـ، مرجع

سابق، ص 97

³ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، مرجع سابق، ص 142

⁴ - نفسه، ص 142

⁵ - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد

عبد الباقي، محب الدين الخطيب، ط1، 13، 1، مجلد، دار الكتب السلفية، عدد الصفحات، 8122، المملكة العربية السعودية، 2015م

⁶ - العقائد الأربع للسنوسي هي: العقيدة الكبرى والعقيدة الوسطى، وأم البراهين، المعروفة بالعقيدة الصغرى،

والمقدمات أو صغرى الصغرى، وأشهرهم أم البراهين. يراجع: محمد بن محمد بن محمد المصري، بغية الطالبين لما

تضمنته أم البراهين، عرض وتقديم، عميراي حميدة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2011م، ص 43 وما

بعدها

الكبرى والصغرى، وحاشيتا أحمد المنجور على الكبرى والصغرى أيضا، والحواشي الثلاث لعبد الرحمان الفاسي على الصغرى¹. كما ألف المغاربة في ذلك العصر كتب عديدة في مواضيع خاصة تتعلق بالفقه كالفرائض والنوازل والتوثيق والأصول والجهاد والتصوف وغيرها ومنها "الجامع المستوفي لجداول الحوفي" لابن الغازي والذي علق فيه على الفرائض الحوفية لقاضي اشبيلية أبي القاسم الحوفي (ت: 580هـ/1184م) و"الرائض لطالبي الناهض بأعباء علم الفرائض" لأحمد بن القاضي، وفي النوازل "الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجمال غمارة" لعبد العزيز الزياني، وفي التوثيق "اللائق لعلم الوثائق" لأحمد بن عرضون الزجاجي². ولا تقل مؤلفات علماء المغرب السعدي في التصوف عنها في الفقه والتوحيد فقد درسوا وشرحوا "صلاة الأنوار" لابن مشيش العلمي، و"حزب الفلاح" و"دلائل الخيرات" لمحمد بن سليمان الجزولي "حكم ابن عطاء الله الاسكندري"، على أن أعجب كتاب في ذلك كتاب "العود أحمد" للملك المنصور يضم أورادا وأحزابا صوفية للشاذلي، وابن وفا، والسهروري، وابن جابر الغساني، وغيرهم، باختيار أحمد المنصور نفسه³

ج- كتب اللغة والأدب:

ولع علماء العصر السعدي ولوعا خاصا بدراسة بعض كتب اللغة والأدب، فشرحوها وعلقوا عليها، كما ألفوا عشرات الشروح والحواشي، على كتب النحو والصرف والبلاغة والعروض التي اعتمدها في الدراسة، زمن ذلك: صحاح الجوهري، ولامية العرب، وديوان المتنبي، وقصيدة البردة، والهمزية لشرف الدين البوصيري⁴. ولشغفهم بالأدب وألوانه فقد ألفوا في ذلك كتب لا تعد ولا تحصى ومنها "مدد الجيش" لعبد العزيز الفشتالي، الذي عارض به جيش التوشيح للسان الدين ابن الخطيب، مستدركا عليه جملة من الموشحات الأندلسية التي أغفلها ومضيفا عليها بعضا من موشحات شعراء المغرب السعديين، أكثرها كانت في مدح المنصور الذهبي، وكتاب "روض السلوان" لابراهيم بن محمد الفجيحي وهي قصيدة اشتملت على ذكر الصيد، وفوائده، وما يتعلق به من الأحكام

¹ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع

والعاشر الهجريين، مرجع سابق، صص 376-377

² - نفسه، ص 379

³ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، مرجع سابق، صص 146-147-148

⁴ - نفسه، ص 149

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

الفقهية، والأدبية و التاريخية، ووصف الفرس والطيور والصحراء¹ وكتاب "روضة الآس" لأحمد المقري، الذي اشتمل على تراجم كتاب وشعراء البلاط السعودي، والتي سجلها المقريفي رحلته الأولى الى المغرب فيما بين سنتي(1601-1602)².

د- كتب علمية وتقنية:

هي أقل عددا من مقارنة مع كتب الدين و اللغة والأدب لكنها شملت مجالات متعددة ومنها، كتب الرياضيات، ككتاب "منية الحساب"³ للإمام ابن الغازي وكتاب "شرح كشف الأسرار عن علم حروب الغبار" لحسن الموشطوكي، شرح به كتاب أبي الحسن القلصادي الشهير في الحساب والجبر⁴، وكتاب "فتح الخبير بحسن التدبير لفك رموز الأكسير في صناعة التكسير"⁵ لأحمد بن القاضي، شرح به الأكسير الشهير في الهندسة لابن ليون التجيني(ت: 750هـ/1349م) ومقدمات علم التكسير لأحمد محمد الولاقي علق به على الأكسير كذلك⁶.

4 - انتشار المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية:

اهتم بعض سلاطين الدولة السعودية ببناء المدارس المحلية واقتناء الكتب وتشجيع المعرفة بمختلف الوسائل، كما أشرنا الى ذلك سابقا، ومن أهم المؤسسات التعليمية نذكر ما يلي:

أ - المدرسة: وتلعب المدرسة دورا هاما في انتشار المعرفة، وعلى اعتبار أن هذه المدارس كانت موجودة ومتوفرة منذ العهد المريني فقد استمرت في العهد السعودي في أداء مهامها، والمدارس التي

¹ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، صص 383-384

² - العنوان الكامل للكتاب: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تقديم عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، ط2، 1403هـ/1983م، يحتوي الكتاب على 396 صفحة، يمكن تحميله من النت

³ - مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، تحت رقم : 2243

⁴ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 391

⁵ - مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط، تحت رقم: 5455

⁶ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 391

شيدتها السعديون تنقسم الى نوعين أولهما المدارس الكبرى وهي على غرار مثيلاتها المرينية من حيث اشتغالها على مساكن للطلاب، وقاعة للصلاة، والدرس، والنوع الثاني هو عبارة عن مدارس صغيرة بنيت كملحق للمساجد الجامعة التي شيدوها، وتشتمل على مساكن للطلاب فقط¹. وهناك أيضا المدارس الخاصة التي تمتاز ببساطتها وعدم تأثرها بغير الطابع المحلي، وقد شيدت أساسا للدراسة، على عكس مدارس الدولة التي تخصص لسكنى الطلبة أيضا². وثمة ملاحظة هامة أثبتتها الونشريسي في معياره أن من الشروط الواجب توفرها في طالب المدرسة أن لا يسكن بالمدرسة إلا من بلغ العشرين من عمره، وأن يشتغل بالدراسة أو التدريس وحضور الحزب صباحا ومساء، ودروس القرآن باستمرار، على الأستاذ المختص، وكل طالب لم يظهر نبوغه أو تفوقه العلمي بعد مقامه عشر سنوات يطرد، حتى لا يظن بقاؤه في المدرسة بالوقف المخصص للطلبة³.

ب - **المساجد والجوامع:** تعد المساجد السعدية أكبر مساجد المغرب الأقصى مساحة بعد مساجد الموحدين وقد امتازت بأنها مبنية ضمن مجموعة معمارية تضم مصلى جنائزيا ومدرسة وخزانة للكتب ومكتبا لتعليم الصبيان وبيتا للخطيب وبيتا للإعتكاف وميضأة وحماما وسقاية وأحواضا للدواب⁴. ومن أبرز المساجد السعدية نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

الجامع الأكبر بتارودانت: من أعظم جوامع المغرب بناه محمد المهدي الشيخ، وذلك عندما جدد مدينة تارودانت بعد أن اتخذها مقرا له أثناء خلافته بسوس نيابة عن أبيه وأخيه كما بنى القصبه السلطانية داخلها، فنسبت اليه وسميت المحمدية⁵، مساحته 2500 متر مربع، ومساحة فناءه 1160 متر

¹ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 396

² - ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1398هـ/1978م، ص 444

³ - نفسه، ص 444

⁴ - محمد السيد أبو رحاب، العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، دراسة أثرية معمارية، دار القاهرة للنشر، ط1، القاهرة، 2008م، ص 231

⁵ - ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، مرجع سابق، ص 309 - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، مرجع سابق، ص 126

1160 متر مربع، ويشتمل بيت الصلاة على خمسة أساكيب، ووصومعة بارتفاع 27 متر، ونقوش سقف المسجد تعود الى عهد أحمد المنصور¹.

جامع باب دكالة بمراكش: من إنشاء مسعودة بنت أحمد الوزكيي الورزازي، والدة المنصور الذهبي، وتم ذلك سنة (965هـ/1557م)، وهذا الجامع من أكبر أحياء مراكش القديمة، ويحتوي بيت الصلاة على سبع بلاطات والصحن غير مربع تماما، ويمتاز الجامع بقبتين تعلوان طرقي بلاطتين محاذيتين للصحن من جهة بيت الصلاة².

جامع (الأشراف) المواسين بمراكش: شيده السلطان عبد الله بن محمد المهدي بن محمد القائم الملقب بالغالب بالله سنة (970هـ/1562م) وسمي بجامع الأشراف أو المواسين نسبة الى أسرة من سلالة الرسول ﷺ كانت تقطن بالحي الذي شيد فيه الجامع فغلب هذا الاسم على الحي والجامع معا³ ويمثل هذا البناء مجموعة دينية لا تشبه المؤسسات المسجدية الأخرى، وهي تشمل بالإضافة الى المسجد ميضأة وحماما ومدرسة قرآنية، ومساكن للموظفين⁴

5- الزوايا ودورها العلمي:

فاق عدد الزوايا عدد المساجد في العهد السعودي لأنها ظهرت وانتشرت في فترة مظطربة من تاريخ المغرب، إذ ازدادت الأطماع الاستعمارية في أراضي المغرب الأقصى خاصة الساحلية التي كانت محط أنظار الاسبان والبرتغال منذ ق9هـ/15م، ورغم محاولة السعديين الرامية إلى استرجاع شواطئ المغرب غير أن تلك المحاولات لم تحسم الموضوع نهائيا، مما أتاح الفرصة لنشوء حركة وطنية دينية تزعمها شيوخ الزوايا في محاولة منهم لرد هجمات العدو الاسباني والبرتغالي⁵ ونظرا لرغبة هؤلاء الشيوخ الملحة في

¹ - ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، مرجع سابق، ص 444

² - ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، مرجع سابق، ص 310- بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 402

³ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 403

⁴ - ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، مرجع سابق، ص 309

⁵ - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 406

الجهاد فقد كان منهم من لا يكتف ببناء زاوية واحدة،ومن أمثلة ذلك،الشيخ أبو المحاسن الفاسي صاحب زاوية بفاس وأخرى بتطوان،و الشيخ أبو محمد القاسم الملقب بالغازي الذي كانت له زوايا بفاس وأخرى منتشرة في الحواضر والبوادي¹. وقد حافظت هذه الزوايا على استمرارية المنهج السني في المغرب، كما استمر التمسك بالمذهب المالكي، متمسكة بالطريقة الشاذلية، إذ تعتبر الزاوية الدلائية خير مثال على ذلك لأنها أكثر الطرق تحذرا في المجتمع المغربي لقربها من الكتاب والسنة،وهي من أكثر الطرق انتشارا في المغرب إذ تعتبر الطريقة الرسمية في المغرب الى جانب المذهب المالكي في الفقه والعقائد الأشعرية في التوحيد،وهو ما يذهب اليه الباحث محمد حجي²،وقد جمع هذه العناصر الثلاثة عبد الواحد ابن عاشر، في رجزه "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"³،وما لبثت هذه الزوايا أن أصبحت تستقبل الراغبين في الانقطاع للعبادة،الى أن صارت الزوايا لا تطلق الا على الأماكن الدينية التي يقيم بها عدد من المومنين باستمرار ثم استعملها بعض أصحاب الطرق الصوفية،وصارت تعادل مراكز العمل السياسي والأندية الثقافية الحديثة إذ مارست أنشطة دينية وتثقيفية ثم سياسية⁴

ومن أبرز الزوايا التي ظهرت في عهد السعديين نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

- زاوية سيدي سليمان الجزولي: (ت: 870هـ)توجد بمراكش، وتنسب الى الشيخ محمد بن سليمان الجزولي من أبرز أعلام التصوف في عصره،اليه انتهت أسانيد الطريقة الشاذلية بأسرارها

¹ - عبد العزيز بن عبد الله،الزاوية المغربية كمنتدى للفكر والاشعاع العلمي،مجلة دعوة الحق،عدد 243،

ديسمبر 1984

² - محمد حجي،الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي،مرجع سابق،ص 50.

³ - هذه المنظومة ألفها عبد الواحد بن عاشر الأندلسي الفاسي (ت : 990هـ)وهو عالم دين ومن أبرز علماء المذهب المالكي،وهذه المنظومة تعد مرجعا مهما عند أهل المذهب المالكي،يقول عبد الواحد بن عاشر في مقدمة

رجزه"المرشد المعين"الذي يدرس في جميع معاهد المغرب الدينية:وفي عقد الأشعرية وفقه مالك وفي طريقة الجنيد

السالك،يراجع ، محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي،مرجع سابق،الهامش رقم

15،ص 50 - بكاي هوارية،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال

القرنين السابع والعاشر الهجريين،مرجع سابق،ص 408، الهامش رقم 01

⁴ - ابراهيم حركات،السياسة والمجتمع في العصر السعدي،مرجع سابق،ص 312

ومعارفها،وعنه تفرعت جل الطرق الصوفية بالمغرب¹،وتكون هذه الزاوية مع زاوية أبي العباس السبتي مجموعة دينية،كالتى يشمل عليها جامع المواسين وجامع باب دكالة،فهناك مسجد يحتوي على بلاطات وفناء مربع يفضي الى ضريح الجزولي الذي تجلله قبة كبرى ومدرسة قرآنية وسقاية ودار لمؤذن الزاوية،وأخرى لاستقبال الزوار،وحمام وميضأة²

- زاوية الشيخ عبد الوارث الصلوتي(ت: 971هـ/1563م)كان عالما مشاركا وأديبا بارعا أخذ الطريقة على يد الشيخ عبد الله الغزواني أكبر رجال الطريقة الجزولية-الشاذلية،عاش عبد الوارث في زاويته ببني بركول ما يزيد عن خمسين سنة قضاها في عقد المجالس العلمية،وتربية المريدين وارشاد العامة،له عدة مؤلفات في التصوف منها"المسلك القريب الموصل الى حضرة الحبيب" و "نصح المؤمن"³

- زاوية تمكروت:أسسها الشيخ عمر بن أحمد الأنصاري الدرعي التمكروتي (ت: 983هـ/1575م)،وبعد أن استقر بها الشيخ محمد بن ناصر الدرعي وكثر بها مريدوه وتلامذته سميت بالزاوية الناصرية،وقد اجتذبت هذه الزاوية مع نهاية القرن 10هـ/16م عددا كبيرا من الأنصار وطلبة الدراسات الدينية،وتكونت بها خزانة عظيمة وجل محتوياتها من المخطوطات القيمة⁴.

- الزاوية الدلائية:توجد زاويتان دلائيتان،تبعدهما عن الأخرى حوالي 12كلم،الأولى أسسها أبو بكر بن محمد الدلائية (974هـ/1566م)في مرتفعات جبال الأطلس الأوسط،و الثانية شيدها حفيده محمد الحاج الدلائي عام (1048هـ/1636م)في موقع زاوية آيت اسحاق

¹ - محمد السيد أبو رحاب،العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين،مرجع سابق،ص 350-349

² -Marçais(G),L architecture musulmane d Occident,paris,1955,p386

³ - بكاي هوارية،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين،مرجع سابق،صص 409-408

⁴ - ابراهيم حركات،السياسة والمجتمع في العصر السعدي،مرجع سابق،ص 313 - بكاي هوارية،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين،مرجع سابق،ص 409

الحالية بين خنيفرة وقصبة تادلا¹. والطريقة الدلائية لا تختلف كثيرا عن الجزولية، فقد استخدمت دلائل الخيرات مع إضافة أدعية تختلف من شيخ الى آخر، وإذا كان الحزب الدلائي تردد فيه الصلاة على الرسول- صلعم- بصيغ مختلفة فإن الحلقات المخصصة للذكر ليس بها حضرة أي لا رقص فيها ولا أدوات موسيقية²، واختلفت الزاوية الدلائية عن غيرها من الزوايا بكونها كانت مجموعة من المباني والمرافق، لأنها كانت عاصمة سياسية بعد أن بدأ الدلائيون يمارسون العمل السياسي³، ومرت الزاوية الدلائية في الميدان الثقافي بمرحلتين، أولاهما امتدت الى وفاة أحمد المنصور وكانت في هذه الفترة مركزا ثقافيا بدويا، وفي المرحلة الثانية أي بعد وفاة المنصور وظهور الحرب الأهلية بين أبنائه في الشمال والجنوب، اتجهت الأنظار اليها باعتبارها مكانا آمنا بموقعها المنيع وسط قبائل زيان، فقصدتها العلماء والطلبة من كل جهة⁴، وعندما آل الأمر الى محمد الحاج الدلائي، أواسط القرن 11هـ/17م فكر في أن يحصل الى جانب الزعامة الروحية على سلطة دنيوية ترفعه الى درجة السلاطين فكان له ذلك، وشيد زاوية دلائية جديدة على غرار مدينة فاس، إلى أن اجتاحتها جيوش الرشيد بن يوسف أوائل سنة 1079هـ/1668م وتركتها خاويتين على عروشهما⁵.

¹ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، رسالة دكتوراه دولة في الآداب والعلوم الانسانية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الرباط، 1976 ص 499- ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، مرجع سابق، ص 348 - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، صص 409-410

² - ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، مرجع سابق، ص 348

³ - نفسه، ص 348

⁴ - محمد حجي، الحركة الفكرية محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2 ص 500 - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 310

⁵ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2 مرجع سابق، ص 500

لقد كانت الزاوية الدلائية مركزا ثقافيا متميزا تدرس به مختلف العلوم كالقراءات، والتفسير، والحديث، والتوحيد والفقهاء والاصول والتصوف، والبلاغة والأدب¹.

العلوم النقلية والعقلية في العهد السعودي:

1 - العلوم النقلية: ولعل أبرزها:

- العلوم الدينية: فرض المذهب المالكي نفسه بقوة في العهد السعودي، حيث ظل المرجع الرئيسي في القضايا الشرعية، وقد انصبت معظم دراسات فقهاء هذا العصر على فروع المذهب المالكي، وازداد اهتمام العلماء بعلوم الدين والشريعة، وازدهر في العهد السعودي فقه النوازل والفتاوى، ومن أبرز العلوم الدينية آنذاك:

- علم القراءات: والتي وجدت اقبالا منقطع النظير، ومن أبرز قراء هذه الفترة (محمد بن يوسف الفاسي (959-998هـ/1551-1589م)، وأبو فارس عبد العزيز الزياتي (ت: 1055هـ/1645م)، أبو العباس أحمد بن القاسم القدومي الغساني (ت: 992هـ/1584م) الذي يعتبر مرجعا في القراءات آنذاك. والحسن بن أحمد الهداجي الدراوي (ت: 1006هـ/1597م)²

- التفسير والحديث: كان التفسير يلقت في دروسا للجمهور في المساجد، بينما تقريره كمادة للدراسة المركزة إقتصر على المستوى العالي من التعليم، نظرا لما يتضمنه من معلومات شاملة للفقهاء والاصول والبلاغة وغيرها، ومن أهم التفاسير:

اللباب المختصر لأهل العبادات والنظر، للحاج الشطيبي محمد بن علي البرجي (ت: 963هـ/1555م) وهذا الشرح مختصر لشرحه اللباب في حل مشكلة الكتاب³. وحاشية على تفسير الجلالين لعبد الرحمان بن محمد الفاسي

¹ - عن دراسة وتدریس هذه العلوم، يراجع: محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مرجع سابق، صص 74-86

² - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، صص 413-414

³ - ابراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، مرجع سابق، ص 416. توجد نسخة من الكتاب في خ.ع. بالرباط، تحت رقم: د 1644

(ت: 1036هـ/1626م)، ومن أبرز مفسري هذه الفترة بالإضافة إلى عبد الرحمان بن محمد الفاسي السابق الذكر، أبو القاسم بن إبراهيم الدكالي المشتراي، الذي تخصص في القراءات السبع، وعلي بن محمد الأنصاري السجلماسي (ت: 1054هـ/1644م)¹

أما التفسير: فقد ازداد الإقبال عليه لا كعلم فحسب بل باعتبار مقام صاحبه الرسول - صلعم - وقد زاد في ترسيخ هذه المكانة انتماء الأسرة المالكة لآل البيت، لذلك فقد كان صحيحا البخاري ومسلم في كل مكان²، ومن أبرز مؤلفي الحديث في هذا العصر، محمد بن أبي بكر الدلائي، الذي شرح "موطأ عياض" وعبد الرحمان بن بن محمد الفاسي، له "شرح على صحيح البخاري"، والحسن بن أحمد حرزوز المكناسي (ت: 961هـ/1553م)، الذي ألف "الكوكب الساري في اختصار صحيح البخاري"³

الفقه: يعد "خليل" في رأس قائمة الفقهاء الذين درست كتبهم في هذا العصر في كل المؤسسات التعليمية، وهنا وجبت الإشارة إلى التقدم الذي حققه الفقهاء في ميدان الفتيا والنوازل مراعين الأوضاع والأعراف المحلية ومتشبهين في نفس الوقت بأصول الشريعة التي لا يكاد أحدهم يتهاون فيها، ويعتبر "كتاب المعيار" للونشريسي التلمساني الذي ضم الكثير من نوازل أهل المغرب والأندلس⁴، ومن أبرز مؤلفي الفقه في هذا العصر، أبو العباس أحمد بن علي المنجور الفاسي (ت: 995هـ/1586م) الذي كان أستاذا لأحمد المنصور الذهبي، وابن القاضي، والتنبكتي، ويعتبر المنجور من أسرة البلديين الذين كانوا يهودا ثم أسلموا، وله عدة مؤلفات منها "شرح على قواعد الزقاوية" و"شرح المنهج المنتخب إلى

¹ - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، مرجع سابق، ص 416

² - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، صص 416-417. "لقد كان حفظ الصحيحين بمثابة احاطة بالحديث

وأسانيده" يراجع: إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، مرجع سابق، ص 417

³ - تكوّن الحسن تكوينا علميا متينا في المغرب والمشرق وحصل على سند عال في رواية الحديث، اشتهر بالفصاحة وجودة الانشاء، وكان يناصر بني وطاس وينفر الناس من خصومهم السعديين، لذلك كانت نهايته الذبح على يد علي يد أعوان محمد الشيخ السعودي عام 1553م يراجع: محمد حجي، الحركة الفكرية محمد حجي، الحركة

الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج 2، ص 339

⁴ - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، مرجع سابق، صص 418-419

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

قواعد المذهب" و"خلاصة شروح ألفية بن مالك"¹، بالإضافة الى الفقيه عبد الواحد بن عاشر الأنصاري(ت:1040هـ/1630م) الذي جمع بين التخصص في الفقه والرياضيات ومن أبرز مؤلفاته"المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"الذي نال شهرة فائقة تضاهي شهرة الأجرومية ويعتبر من الكتب الرئيسية بالمغرب، وله مؤلفات أخرى منها،"شرح متن خليل" و"متن في الفقه على طراز متن خليل"²

بالإضافة الى العلوم السابق ذكرها، اهتم علماء العصر السعودي كذلك بالأدب وعلوم اللغة والتاريخ والجغرافيا والتراجم وغيرها³

2 - العلوم العقلية: كان الاهتمام بها قليلا،وتقل عدد الكتب المؤلفة في هذا العصر مقابل كتب اللغة والدين والأدب،ومع ذلك تبقى معدودة بالعشرات،ومن بين هذه التصانيف نذكر على سبيل المثال لالحصر مايلي:

- الرياضيات والفلك: بلغ الاقبال على دراسة الفلك والرياضيات أوجه خلال القرنين العاشر والحادي عشر،فأما الرياضيات فللحاجة اليها في علم الفرائض،وأما دراسة الفلك فلحاجة البلاد الى الموقتين وتنظيم أوقات الصلاة و الصوم والأعياد⁴ وكتب الرياضيات هي كثيرة ومتعددة أبرزها:

(منية الحساب للإمام ابن غازي)وهو رجز في حوالي خمسين ومائة بيت،(بغية الطلاب على منية الحساب)شرح بها الإمام ابن غازي نظمه السابق،(أجنحة الرغاب في معرفة الحساب)المعروفة في

¹ - ابراهيم حركات،السياسة والمجتمع في العصر السعودي،مرجع سابق،ص 419 - بكاي هوارية،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين،مرجع سابق،419

² - ابراهيم حركات،السياسة والمجتمع في العصر السعودي،مرجع سابق،ص 419

³ - نظرا لضخامة المؤلفات وتعدد المؤلفين في هذه العلوم وغيرها نكتف بالإحالات التالية :- ابراهيم حركات،السياسة والمجتمع في العصر السعودي،مرجع سابق،صص:424-429، - بكاي هوارية،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين،مرجع سابق،صص 421-435 - محمد حجي، الحركة الفكرية محمد حجي،الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعوديين،ج1 صص 149-164

⁴ - ابراهيم حركات،السياسة والمجتمع في العصر السعودي،مرجع سابق،ص 444

سوس بالمنظومة السملالية، لإبراهيم بن أبي القاسم السملالي، (شرح كشف الأسرار عن علم حروب الغبار) لحسن الهشتوكي، شرح به كتاب أبي الحسن القلصادي الشهير في الحساب والجبر¹، ومن أبرز الفلكيين نذكر: أحمد التوكليتي الذي اعتبره ابن القاضي في درة الحجال ج1، أستاذ الحيسويين والفلكيين، وأحمد بن حميدة المطرفي (ت: 1001هـ/1592م) له شرح على روضة الأزهار، بالإضافة الى شخصية الحكيم ابن سليمان الروداني الذي نال شهرة فائقة بالمشرق كفلكي وعالم مشارك²، وشخصيته تمثل الى حد ما شخصية ابن البناء الذي عاصر بني مرين، وكان آية من آيات العلم وله تأثير تجاوز أقطار المغرب³

- الطب: من المؤكد حدوث تفهقر كبير للطب منذ انحطاط العهد المريني وهو ما يؤكده الباحث، إبراهيم حركات إذ كان بالمغرب مارستانات⁴، مجهزة تجهيزا لاثقا سواء من حيث الأدوية أو الأطباء، ولطن الأطباء قد تناقص عددهم في العهد السعودي، وبموازاة ذلك تعددت مؤلفات الطب⁵، ومن أبرز الأطباء في العهد السعودي، أبو القاسم الغساني محمد بن أحمد من

¹ - معظم هذه المؤلفات عبارة عن مخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط، أو بفاس أو بسوس، يراجع: محمد حجي،

الحركة الفكرية محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج1، ص 157

² - من أبرز مؤلفاته: صلة الخلف بموصل السلف، جمع الكتب الخمسة من الموطأ، جمع الفوائد لجامع الأصول وجمع الزوائد، حاشية على توضيح ابن هشام في النحو، مختصر في الهيئة، جدول في العروض، منظومة في التصوف. لمزيد من التفاصيل يراجع: محمد المختار السوسي، سوس العالمية، مطبعة فضالة، المحمدية/المغرب الأقصى، 1380هـ/1960م، ص 181

³ - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، مرجع سابق، صص 445-446

⁴ - البيمارستان كلمة فارسية مركبة من كلمتين، بيمار: بمعنى مريض أو عليل أو مصاب، ستان: بمعنى مكان أو دار، فهي تعني دار المرضى، ثم أختصرت الى كلمة مارستان، وهذه البيمارستانات هي إحدى المنشآت والعمائر كالمساجد والقباب... كان يشيدها الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء وأهل الخير على العموم صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية وتخليدا لذكراهم، ولم تكن هذه البيمارستانات قاصرة على مداواة المرضى، بل كانت في نفس الوقت معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب، يتخرج منها المتطيبون والجراحون (الجراحيون) كما يتخرجون اليوم من مدارس الطب... لتفاصيل أكثر يراجع: أحمد عيسى بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، ط2، بيروت لبنان، 1401هـ/1981م، صص 3-4

⁵ - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، مرجع سابق، ص 442

مؤلفاته،-حديقة الأزهار، ألفه سنة 994هـ/1585م يشرح فيه طبيعة ومزايا النباتات المستعملة في العلاج الطبي وقد رتبته بالحروف الأبجدية¹، ومع حركة الترجمة التي نشطت في أوروبا فقد ازدهر الطب هناك بفضل ترجمة المؤلفات الإسلامية إلى اللاتينية، والتحق بذلك عدد من الأطباء الأوربيين بالبلاط السعودي، ومنهم غليوم بيرا طبيب الملك عبد الملك المعتصم، وقنصل فرنسا سابقا بالمغرب، وأرنولد وليل طبيب المنصور ثم ابنه زيدان من بعده².

المراكز الثقافية في العهد السعودي:

اختلفت مراكز الثقافة بالمغرب، تبعا للعصور والظروف التاريخية، فانبتق الإشعاع في الصدر الأول من المرافئ التي كانت أقرب إلى ربوع الأندلس، كسبتة وطنجة، ولكن تأسيس مدينة فاس، وقيام جامعة القرويين بها مهد السبيل بعد القرن الرابع الهجري لتفتق أندية دراسية داخل المغرب، لاسيما بعد تأسيس مراكش عاصمة المرابطين والموحدين³. لقد تأثرت الثقافة المغربية ومراكزها المختلفة خلال القرن الهجري العاشر تأثرا كبيرا بالتطورات السياسية في الداخل و في الأقطار المجاورة، وتعددت بذلك المراكز الثقافية أيام السعديين في المدن والأرياف، وقد تطعمت العناصر العلمية الوطنية بأخرى أندلسية وشرقية، فازدادت آفاق المعرفة اتساعا أمام الراغبين في التدريس والتحصيل، وغدا الطلبة يجدون في ديارهم ما كان أسلافهم لا يدركونه إلا بالرحلة والاعتراب⁴، وسنحاول في هذه الجزئية من البحث التركيز على أهم الحواضر العلمية التي كانت تعتبر فعلا مراكز ثقافية وأهمها:

- مراكش: تعتبر مراكش من أهم المدن الحضارية المغربية، وكانت هذه المدينة مزدهرة ثقافيا منذ عهد المرابطين والموحدين، إلا أنها همشت أيام المرينيين والوطاسيين على حساب مدينة فاس⁵، وبوصول السعديين لحكم المغرب سنة (956هـ/1549م) ونقلهم العاصمة من فاس

¹ - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، مرجع سابق، ص 442

² - بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، صص 436-437 نقلا عن :

Jaque, Caillé ; la petite histoire du maroc ,E.d,casablanca

³ - عبد العزيز بن عبد الله، مراكز المغرب الثقافية، مجلة رسالة المغرب، المطبعة الاقتصادية، عدد: 8-9-ماي،

الرباط، المغرب، 1948م، ص 478

⁴ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، مرجع سابق، ص 339

⁵ - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعودي، مرجع سابق، ص 384

الى مراكش، استرجعت المدينة بريقها وازدهارها الحضاري والثقافي، حيث أصبحت عاصمة للمغرب كله، ونافست فاس على المركز العلمي الأول في المغرب، وتفوقت عليها بفضل من نرح إليها من علماء فاس نفسها، وسائر حواضر المغرب، ومن وفد إليها من علماء البلدان المجاورة للمغرب، ومن المشرق، وبلاد السودان¹ ويعتبر جامع ابن يوسف بن تاشفين والذي بني عام 1541هـ، أشهر مؤسسة دينية وثقافية بمراكش، إذ تمكن السعديون من إعادة الاعتبار له وذلك بتزويده بأنفس المخطوطات والمصنفات، ومن ثمة أصبح قبلة لأبرز العلماء والشيوخ، وتقام به المناظرات الفكرية بحضور السلاطين السعديين أنفسهم²، ومن أبرز علماء الجزائر الذين وطئت أقدامهم مراكش نذكر على سبيل المثال لا الحصر: محمد بن علي الخروبي، الذي زار المدينة مرتين في مهمة سفارية من طرف السلطان العثماني سليمان القانوني، ومحمد شقرون بن هبة الله الوجدجي التلمساني، وأبو الطيب البسكري الذي زار المدينة لتنهئة أحمد المنصور بعد معركة وادي المخازن عام 1578م، وغيرهم³، وبالطبع نالت مراكش حظا وفيرا بوصفها مركز اجتذاب لسائر الاتجاهات الفكرية، وبها ألف أحمد بابا التنبكتي معظم كتبه الشهيرة، كما أنها تميزت باحتضان المجلس العلمي، الذي كونه أحمد المنصور، وبلغت مراكش كفاس، مكانا خاصا في بث العلوم الفقهية وعلم التصوف، وعليه فإن مراكش إنما عرفت أمجد عهودها الثقافية في إبان الحكم السعدي⁴.

¹ - بن خروف عمار، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي ج 2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 1427 هـ/2006م، صص 151-152

² - برادة رشيدة، الحياة الاجتماعية والثقافية لطلاب مؤسسات التعليم العالي العتيق، (جامعة القرويين وابن يوسف نموذجاً)، مجلة البحث العلمي، عدد، 50، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، صص 22-23

³ - الصالح بن سالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال (1549-1664م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير، اشراف، اسماعيل سامعي، كلية الآداب والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة-2013-2014م، صص 98-99-100

⁴ - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، مرجع سابق، صص 385-386

- فاس: تعتبر مدينة فاس أبرز الحواضر والمدن المغربية تاريخيا وإرثا وثقافة، وهي أكبر وأجمل مدينة بإفريقيا¹، وقد احتلت مدينة فاس أثناء الدور الأول لحياة الدولة السعدية، مكان الصدارة في الميدان العلمي بالمغرب، سواء عندما كانت ما تزال خاضعة للمتأخرين من الوطاسيين، أو بعدما دخلت تحت سلطة السعديين عام 956هـ/1549م. وقد استقبلت فاس منذ النصف الثاني من ق9هـ/15م، وطوال القرن 10هـ/16م، مهاجرين من الأندلس في مختلف المساجد والمدارس لتصهرهم جميعا في بوتقة العلم، ومن بين العلماء الجزائريين الوافدين على فاس نذكر على سبيل المثال لالحصر، محمد بن علي المديوني والمعروف بابن ملال، حيث نشأ بتلمسان ثم رحل الى فاس التي تولى بها الإفتاء، وأبو الحسن علي بن عيسى الراشدي، الذي تولى كرسي الشاطبية الكبرى بمسجد الشرفاء بفاس، وأحمد بن محمد أبو العباس العقباني، الذي تصدر للتدريس بجامع القرويين، وأسرة بني جلال التي تعد من البيوت التلمسانية العلمية العريقة التي هاجرت الى فاس، وعبد الرحمان الزواوي، من علماء زاوة². وقد احتفظت فاس بمميزاتها القديمة المرتكزة على التعمق في دراسة الفقه المالكي والعناية الفائقة بعلوم القرآن، دون أن تغض الطرف عما حمل إليها من العلوم الحديثة والعقلية³. وقد تميزت فاس كمركز ثقافي ب:
- بكونها مركز إشعاع ثقافي على الصعيد القومي لا الجهوي فحسب.
- بالعدد الضخم من الكراسي العلمية المخصصة لمختلف فروع المعرفة والتي أوقفت بها من قبل الخواص والسلطة
- بكونها مركزا للدراسات الفقهية من مستوى عال حيث أضيفت دراسة الأصول بها الى سائر المواد الفقهية، وذلك بمبادرة من بعض كبار أساتذة الشريعة كمحمد القصار وأحمد المنجور⁴.

¹ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت لبنان، 1397هـ، 1977م، ص 230 - مارمول كاربخال، إفريقيا، ج2، تر، محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المملكة المغربية، 1404هـ، 1984م، صص 144-145

² - الصالح بن سالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال (1549-1664م)، مرجع سابق، صص 88-92

³ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، مرجع سابق، ص 345

⁴ - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، مرجع سابق، ص 387

- سجلماسة: تقع بالجنوب الشرقي للمغرب الأقصى، ويعد تأسيسها الى سنة 140هـ/758م، وتعرف باسم تافيلالت¹، ومنذ نشأتها أصبحت من أوائل المراكز الثقافية المغربية في الاسلام، على أن التفهقر الاقتصادي الذي عرفته في ق9هـ/15م والذي استمر بعد ذلك بالرغم من العناية التي وجهها المنصور الذهبي الى المنطقة، كان له أثر بارز في ضيق النشاط التعليمي والفكري، إلا أن سجلماسة احتفظت مع ذلك بنشاط ثقافي لا بأس به حيث بقيت عدة معاهد تقليدية بالمنطقة تواصل أداء مهمتها²، وبسبب موقعها ومميزاتها زارها عدد من علماء الجزائر واتخذها بعضهم مستقرا له أمثال: محمد بن أحمد ابن الوقاد، وعبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التواتي، وأبو عثمان سعيد بن إبراهيم قدورة، وأبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني (أكبر المعارضين للتواجد العثماني بالجزائر) ومحمد بن مبارك المغراوي السجلماسي، وغيرهم³.

- تارودانت:

مدينة قديمة اكتسبت أهميتها من موقعها الاستراتيجي، على مقربة من وادي سوس بين جبال الأطلس الكبير والصغير، وفي أثناء خلافة محمد المهدي الشيخ بسوس نيابة عن أبيه وأخيه، جدد مدينة تارودانت، وسيد جامعها الكبير، والمدرسة القريبة منه، وبنى القسبة السلطانية داخلها، فنسبت اليه المدينة وسميت بالمحمدية⁴ ورغم تواجدها بالجنوب الغربي للمغرب الأقصى الا أنها تمكنت من البروز

¹ - لحسن تاوشينخت، مدينة سجلماسة وشح المعطيات التاريخية والأثرية، مجلة كان التاريخية، عدد، 12، السنة

الرابعة، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الإمارات العربية المتحدة، 1432هـ، 2011م، ص 19-20

² - إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، مرجع سابق، ص 391

³ - الصالح بن سالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال (1549-1664م)، مرجع سابق، صص

102-103

⁴ - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، مرجع سابق، ص 405. اشتهر اسم

المحمدية فقط أيام السعديين، ثم ظهر من جديد اسم تارودانت بعد انقراض دولتهم، يراجع، المرجع نفسه، ص

405، الهامش رقم 01

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

واستقطبت الكثير من علماء الجزائر ومنهم، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن جلال، وعائلة ابن الوقاد، وأبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني، المعروف بابن الوقاد¹.

أما عن الجانب التعليمي، فإننا نجد في المحمدية الى جانب المدرسة والمساجد الصغرى والكتاتيب، ثلاثة جوامع كبرى لتدريس، هي جامع القصبة السلطانية، وجامع سيدي، والجامع الكبير² بالإضافة الى المدن المغربية السابقة الذكر، والتي استقطبت العديد من علماء الجزائر وغيرهم، فإن هناك مدنا مغربية أخرى كانت وجهة للعديد من العلماء الجزائريين كمدينة مكناسة، ومدينة تطوان وغيرهما.

الكراسي العلمية:

عند الحديث عن مدينة فاس³ لا يمكن بأي حال من الأحوال إهمال جامع القرويين الذي يعتبر منارة للعلم ليس في المغرب الأقصى فحسب بل في شمال إفريقيا ككل، وجامع القرويين كان في الأصل جامعا صغيرا يطلق عليه جامع الشرفاء، وقد أقامه إدريس الثاني في منتصف القرن الثاني الهجري، التاسع الميلادي أي سنة 245هـ/859م. وتم توسيع هذا الجامع سنة 349هـ/955م، وقد

¹ - الصالح بن سالم، التوصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال (1549-1664م)، مرجع سابق، صص 104-105

² - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، مرجع سابق، ص 406

³ - تبتدئ مملكة فاس من نهر أم الربيع غربا لتنتهي إلى نهر ملوية شرقا وفي الشمال يحدّ قسم منها بالبحر المحيط وسائرهما بالبحر المتوسط، وقد أسس مدينة فاس تائر شيوعي حسب رواية حسن الوزان (في كتاب: وصف إفريقيا ج 1 مصدر سابق، ص 192) ويقصد به إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي فر من العباسيين في موقعة فخ الشهيدة، وجاء إلى المغرب فبايعته قبيلة أوربة وغيرها بمدينة وليلي في جبل زرهون عام 172هـ / 788م و هناك اختلاف في مؤسس مدينة فاس هل هو إدريس الأول أم ابنه إدريس الثاني؟ والراجح هو إدريس الثاني) وظلت السلطة في يد أسرته ما يقارب مائة وخمسين سنة، ولم يظهر اسم مملكة فاس إلا عندما سيطرت أسرة بني مرين واتخذوا من فاس قاعدة لملكهم وحصن دفاعهم وقد كان ذلك سنة 646هـ / 1248م، ويذكر صاحب سلوة الأنفاس بأن بداية تأسيس مدينة فاس كان صبيحة يوم الخميس غرة ربيع الأول سنة إثنين وتسعين ومائة، ورفع يديه عند إرادة الشروع في بناءها، ودعا لها ولأهلها وقال: (اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام فيها حدودك واجعل أهلها متمسكين بالكتاب والسنة ما أبقيتها) يراجع: علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح، عبد الوهاب ابن منصور، ط1، المطبعة الملكية بالرباط، المغرب، 1411هـ/1991م، ص 40 وما بعدها

الفصل الثالث:.....العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16م

استقطب هذا الجامع العلماء والطلاب من مختلف الأقطار الإسلامية¹. وتذكر النصوص التاريخية أن أن مسجد القرويين توافرت له عناصر الجامع وتحققت له الشخصية المعنوية وأصبح مؤسسة ومركزا علميا مرموقا، ليس في المغرب الأقصى فحسب، بل في جميع أقطار المغرب الإسلامي، وأصبح يستقبل حتى الطلبة الأوربيين². وجامع القرويين كما يقول عنه الباحث محمد حجي هو هو أقدم جامعة في العالم الإسلامي، بل في العالم كله³ ولعل أبرز ما يميز الدراسة بجامع القرويين هو ما يعرف بالكراسي العلمية، وكراسي القرويين هي مناصب لتدريس علوم أو كتب معينة يجري عليها راتب من أوقاف محبسة عليها، وكان مبدأ ظهورها بجامع القرويين للاستعانة بها على تلقين طلبة العلم فأنشئ أول كرسي للأستاذية لدروس التفسير ثم توالى إنشاء الكراسي العلمية منذ ذلك الوقت⁴ وتعاقب على جامع القرويين أجيال من كبار العلماء والفقهاء، وجلسوا على نحو 100 كرسي، في صنوف مختلفة من العلم، بلغت أكثر من 250 فرعا⁵، وتعتبر ولاية الكرسي للتدريس بالقرويين منصبا رفيع المستوى، ولا يصدر قرار تولي هذا المنصب إلا من طرف السلاطين، ولا يجلس عليه إلا الكهول أو الشيوخ، ولا ينال هذا المنصب إلا من شهد له أقرانه بالتفوق العلمي⁶. كما كان لهذه الكراسي أوقافا خاصة بها صادرة عن السلاطين أو الأفراد⁷.

ومن أهم الكراسي العلمية نذكر ما يلي:

¹ - محمد كمال شبانة، المدن الثقافية الإسلامية، فاس، مجلة دعوة الحق، عدد 253، 1985م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، صص 88-89

² - نفسه، ص 91

³ - محمد حجي، جولات تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1995، صص 238-239

⁴ - محمد المنوني، كراسي الأساتذة بجامعة القرويين، مجلة دعوة الحق، العدد 4، المغرب، 1966، ص 15 - الباشي سالم، الحركة الحديثة بالمغرب في العهد السعودي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في السنة وعلومها، اشرف، فاروق حمادة، كلية الآداب والعلوم الانسانية، شعبة الدراسات الإسلامية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1992/1991م، ص 67

⁵ - أحمد بوزيدية، المراكز الثقافية في الجزائر والمغرب تلمسان وفاس نموذجا في القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 105

⁶ - محمد المنوني، كراسي الأساتذة بجامعة القرويين، مرجع سابق، ص 16

⁷ - نفسه، ص 17

- كرسى المحراب، أنشء سنة 651هـ، وأهم الدروس التى تقدم للطلبة فى هذا الكرسي، تفسير القرآن للثعلبي، وحلية الأولياء لإبي نعيم، وكتاب الإحياء للإمام الغزالي، وكتاب الشفا للقاضي عياض، وصحيح الامام مسلم¹
- كرسى الامام الورياكلبي، 880هـ والعلوم والفنون التى كانت تدرس بهذا الكرسي هي كتاب التفسير صباحا، وصحيح البخاري ومسلم بين العشاءين ورسالة ابن ابي زيد، ومختصر ابن أبي الحاجب بعد الظهر، ومن رجاله، ابن غازي (ت: 919هـ)، وابن حميدة (ت: 951هـ) والدكالي (ت: 962هـ)، والمنجور (ت: 995هـ)، والحميدي (ت: 1003هـ)²
- كرسى الونشريسي، سمي على الشهيد عبد الواحد الونشريسي، لأنه آخر درس له كان على هذا الكرسي، يوم 27 ذي الحجة 955هـ، بعد أن رفض أن يخلع على بيعة أبي العباس الوطاسي لصالح للسعديين، ويعد هذا الكرسي من الناحية المادية من أثرى الكراسي العلمية وأغناها بالقرويين، وقد شهد هذا الكرسي العديد من المساجلات والمناظرات³. ومن أبرز العلماء الجزائريين الذين تولوا التدريس بهذه الكراسي نذكر على سبيل المثال لا الحصر كل من: ابن أحمد بن محمد بن يحيى جيدة الوهراني، والشيخ عبد الواحد الونشريسي.

وخلاصة القول: أنه من خلال هذا العرض المبسط لمختلف العلوم والمعارف فى كل من المغربين الأوسط والأقصى يمكن الخروج بالاستنتاجات التالية:

- أن علماء المغربين الأوسط والأقصى -خلال الفترة المدروسة- كان لهم اهتمام كبير بمختلف العلوم النقلية والعقلية، على حد سواء، لكن الأولوية كانت للعلوم النقلية باعتبارها تحافظ على شخصية الأمة المغاربية والاسلامية، وتمنعها من الزيغ والانحراف خاصة فى ظل الظروف العصيبة التى كانت تمر بها المنطقة.

¹ - علي الجزائري، جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، مصدر سابق، ص 80-81

² - احمد بوزيدية، المراكز الثقافية فى الجزائر والمغرب تلمسان وفاس نموذجا فى القرن 10هـ/16م، مرجع

سابق، ص 106

³ - محمد حجي، المراكز الثقافية المغربية، مجلة البحث التاريخي، عدد، 06، المغرب، 1965م، صص 44-45

- رغم طابع التكرار والتقليد الذي امتازت به العلوم -النقلية والعقلية- بالمغربين آنذاك إلا أن الكثير من العلماء أضافوا لها تعليقات وحواشي متعددة، إن دلت على شيء فإنما تدل على ارتباطهم الوثيق بهذه العلوم ومحاولة تفسيرها وفق روح العصر
- الشيء الملفت للإنتباه خلال هذه الفترة(ق10هـ/16م) في كل من المغربين الأوسط والأقصى هو انتشار ظاهرة التصوف وكثرة الزوايا، ورغم ما امتازت به هذه الزوايا من كثرة الأتباع والمريدين، إلا أنها كانت تبرز لنا مدى إقبال المغاربة على هذه الزوايا وتعلقهم بها في كلا البلدين لأنها بطريقة أو بأخرى كانت توفر لهم نوعا من التكافل الاجتماعي والتلاحم بين طبقات المجتمع على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، وأن هذه الزوايا هي رابطة قوية بين الأفراد والجماعات
- الفرق بين حكام الجزائر وحكام المغرب الأقصى خلال هذه الفترة من حيث التكوين العلمي والثقافي لكليهما فرق شاسع، ذلك أن حكام المغرب (السعدي) كانوا أكثر ثقافة وحبا للعلم والعلماء وهو مانعكس إيجابا على التأليف وكثرة المراكز العلمية، إذ كان يمثل كل مركز من تلك المراكز منطقة جذب للعلماء من مختلف الأقطار المغاربية والاسلامية.

الفصل الرابع:انتقال العلماء من المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى

خلال القرن 10هـ/16م

أولا:الرحلة أهميتها وأنواعها

ثانيا:الهجرة وأنواعها

ثالثا: أسباب الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى

رابعا:هجرة العلماء الجزائريين الى المغرب الأقصى في القرن 10هـ/ 16م

خامسا: نماذج عن هجرة علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى

سادسا: نتائج انتقال العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى

أ- نتائج هجرة العلماء على الجزائر

ب- نتائج هجرة العلماء على المغرب الأقصى

عرف الإنسان الهجرة منذ القدم، وقد كان النبي ﷺ قد حث أصحابه على الهجرة إلى الحبشة (الهجرة الأولى) التي تعتبر أول هجرة في الإسلام وقد شهدت دول المغرب الإسلامي عدة هجرات أبرزها الهجرة الهلالية، حوالي منتصف القرن الحادي عشر ميلادي، وقد أضحت الهجرة بذلك ظاهرة ألفتها الشعوب لما لها من أهمية في تغير الواقع المعاش للفرد والجماعات¹.

ولعل ما يهمنا في هذا المقام هو تلك الهجرة التي شهدتها المغرب الأوسط في العصر الحديث لنخبة من العلماء مع منتصف القرن 10هـ/16م فما هو مفهوم الهجرة، وما هي أسبابها؟ ولماذا شملت هذه الهجرة نخبة من العلماء؟ وإلى أين كانت وجهتهم؟ وما هي آثار هذه الهجرة على المغرب الأوسط من جهة وعلى الأماكن المهاجر إليها من جهة ثانية، هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذا الفصل.

أولاً: الرحلة: أهميتها ودوافعها :

إذا كان الاستقرار يبعث في نفسية الإنسان التمتع بملذات الحياة ومن ثمة الركون إلى الخمول (في بعض الأحيان). فإن التنقل من مكان إلى آخر (رغم الصعاب التي تعترض الإنسان من خلاله) له متعته في اكتشاف أرض الله الواسعة وما تحتويه من مظاهر طبيعية وبشرية وعمرانية، وهذا التنقل قد يكون طواعية عن طريق الرحلة وقد يكون قسرياً. عن طريق الهجرة الإجبارية²، ارتبطت حياة الإنسان ارتباطاً وثيقاً بالتنقل الدائم والسعي في أرجاء الأرض طالبا للرزق ثم طلباً للمعرفة، فأصبحت عادة الترحال عادة متأصلة فيه، حتى قيل فيه "ولد الإنسان راحلاً"³ والعرب كغيرهم من الأمم عرفوا الرحلات قبل مجيء الإسلام وكانت لديهم رحلتا الشتاء والصيف اللتان ورد ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى: "إيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف"⁴ بهدف التجارة وهذا نوع من أنواع الرحلات

¹ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 83

² - مسعود بقادي، هجرة التلمسانيين الى المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م - العلماء أنموذجاً -، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 14، السادسي الأول، 2018م، ص 121

³ - عبد الصمد عزوزي، ادب الرحالة الجزائريين في الخمسية الهجرية الثانية، رسالة ماجستير في الادب المغربي القديم جامعه ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2003، ص 1

⁴ - سورة قريش، الآيتان، 1-2

التي تعددت أوجهها بتنوع دوافعها¹. وقد عرف العرب الرحلة منذ القديم ومع ظهور الإسلام أصبحت عنايتهم بها عظيمة وارتبط مفهوم الرحلة عندهم بالكتابة الأدبية، فإن كان معظم الرحالة في العالم الغربي بعيدين عن ميدان الأدب فإن الرحالة العرب كانوا كتابا قبل كل شيء، فقد جابوا كل الأرض المعمورة في أزمانهم ودونوا ملاحظاتها الإنسانية والجغرافية والتاريخية، فكانت جهودهم عظيمة أفرزت تراثا عربيا هائلا، بنيت على أساسه عدة علوم منها علم الجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع²، ومع أن أدب الرحلة عرف تطورا هاما في الكتابة وتنوعا في المواضيع وبلغ ذروته وارتفع شأنه خصوصا خلال القرن الرابع الهجري، وما تلاه من عصر الاستقرار والازدهار والمعرفة حتى مشارف القرن العاشر هجري (السادس عشر ميلادي) حين بدأت معالم التدهور تصيب كافة مجالات الحياة بما في ذلك الرحلات إلى أن خبا نشاطها تدريجيا وهزلت مادتها فاقصر الرحالة على زيارة اسطنبول عاصمة الخلافة العثمانية وعلى الحج وزيارة الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية³

تعد الرحلة إحدى الوسائل لنقل العلوم والمعارف من بلد إلى آخر لذا كان التجوال في سبيل الدراسة والعلم أمرا شائعا بين طلاب العلم في المغرب الإسلامي حيث لم تقف أمام طلبة العلم حدود تمنعهم من الترحال والاستفادة منه ولقاء الشيوخ والأساتذة المشهورين في مختلف أنحاء بلاد العالم الإسلامي⁴ وقد عد عبد الرحمن بن خلدون الرحلة في طلب العلم من الأمور التي على طالب العلم الاعتناء بها من أجل إتمام معارفه وتقويتها والتحكم أكثر في العلوم وقد ارجع ذلك إلى أن البشر يأخذون

¹ -تعدد الرحلات بتعدد أهدافها منها التجارية والعلمية والاستكشافية وغيرها. للإمام بعض أهداف وأهمية الرحلة عند العرب المسلمين ونماذج عن أهم الرحالة، يراجع: -زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م. - ليلي غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف، عائشة غطاس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر-2-2010-2011م، صص 19-20-

² - ليلي غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مرجع سابق، ص 10

³ - نفسه، ص 18

⁴ - محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، مرجع

سابق، ص 75

معارفهم إما علما وتعلّما وإلقاء وإما محاكاة وتلقينا وأن الإكثار من الشيوخ يعد أفضل للطالب من أجل تمييزي اصطلاحات العلوم وتصحيح المعارف زيادة على أخذ العلم من منابعه¹. ويمكن القول بأن الرحلة هي وسيلة لاستكشاف العالم وأسراره وتوسيع المعارف والخبرات وهنا نستدل بقول الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون بقوله: "السفر(الرحلة) هي تعليم للصغير وخبرة للكبير"²، في حين يشير الباحث عميراوي حميدة الى أن "أدب الرحلة هو ما يمكن أن يوصف بالواقعية وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة الى بلد من بلاد العالم، ويدون ويقدم وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب، والقدرة على التعبير، وهناك نوعان من الرحلة واقعية محسوسة تمتاز فيها المشاعر وتتولد عنها المعاني الدينية والاجتماعية والفكرية والانسانية، ورحلات خيالية على غرار أبو العلاء المعري في كتابه "رسالة الغفران"³. ولعل من أبلغ ماورد

في الحث على الرحلة(السفر) تلك الأبيات الشعرية التي تنسب الى الإمام الشافعي بقوله:

سافر تجد عوضا عن تفارقه وانصب فان لذيد العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب
الاسد لولا فراق الغاب ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب
التبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب⁴

وإذا كانت الرحلة تعني الانتقال من مكان الى مكان لهدف معيّن فإن أبرز ما يهمننا في جزئية البحث هاته هي الرحلة العلمية التي كان لها عظيم الأثر في تبادل العلوم والمعرفة بين المغربين الأوسط والأقصى. فما هي الرحلة العلمية وماهي دوافعها آنذاك؟؟

الرحلة العلمية: تعد الرحلة العلمية دررا مرصعة في تاج التراث الإسلامي لما تشتمل عليه من فوائد في مختلف العلوم والأفهام وشتى العلوم العقلية والنقلية ومن أخبارها تسمع ما يشرب العقول

¹ - عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 605

² - سميرة انساعد، الرحلة الى المشرق في الأدب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 20-21

³ - حميدة عميراوي، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، ص 46

⁴ - عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الاسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، مدينة نصر، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص 22

والأذهان¹. وقد كان الدافع لتحصيل العلم من المراكز العلمية الاسلامية المتعددة والمنتشرة في كل أنحاء العالم ولا سيما في البلاد الاسلامية عاملا لا يستهان به في ازدهار كتب الرحلات، وقد تعددت الأحاديث التي حثت المسلمين على طلب العلم ومنها قوله صلعم: "من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"²

لقد أثمرت فطرة الرجل العربي المحبة للتنقل والترحال وحبه للطبيعة والاستكشاف روادا من الرحالين أسهموا بما سجلوه عن قصد أو غير قصد في توفير معارف جغرافية وتاريخية واجتماعية وثقافية عظيمة القيمة³، لذا تعتبر الرحلة من أهم سمات وخصوصيات الثقافة الإسلامية ومظهرا من مظاهر الحركة العلمية، ومهما اختلفت بواعثها وتنوعت دوافعها فان المقصد العلمي كان أقواها واشملها امثالها لما حث عليه الإسلام لطلب العلم وتحصيله وشرف صاحبه حيث ورد ذكره في القرآن الكريم في مناسبات كثيرة مثل قوله تعالى "وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون"⁴، كما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة منها قوله "اطلب العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم"⁵ وقوله صلى الله عليه وسلم "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"⁶

لقد كان طلاب المغرب الأوسط في بداية الأمر لا يكتفون بما يتلقونه من العلوم في مدينتهم بل يطوفون البلاد للقاء العلماء المشهورين للأخذ عنهم وكان الكثير منهم يرحل إلى أقطار المغرب

¹ - لامعه زكري، الرحلة العلمية بين الاندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنين (7-9هـ/13-15م)، رساله ماجستير في التاريخ السياسي والثقافي للمغرب الإسلامي، جامعه أبي بكر بلقايد تلمسان 2009 / 2010، ص 27

² - أخرجه الترميذي وقال حديث حسن

³ - ليلي غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مرجع سابق، ص 13

⁴ - سورة التوبة، الآية 122

⁵ - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ج1، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009م، ص 15

⁶ - الترميذي، الجامع الكبير ج3، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى، بيروت، لبنان 1996، ص 385

الأخرى والأندلس والمشرق من اجل البحث والتعمق في العلوم في وقت كان السفر شاقا وصعبا والرحلات متعبة والطرق غير معبدة وآمنة، والقوافل غير منتظمة، وذلك للتعرف على البلدان وطبائعها وحالاتها الاجتماعية والثقافية وغيرها من نواحي الحياة¹. وبما أن العلم كان يحصل أساسا بالمشاهدة والكتب كانت نادرة حيث أن الدراسة العملية تقوم مقام ما نصنعه اليوم من تتبع المراجع والمؤلفات التي تزخر بها خزانات الكتب العامة والخاصة وجب الارتكاز عليها لضرورتها لاكتساب ملكات جديدة فأضحت من التقاليد المحمودة لكل طالب علم².

لقد كانت الرحلة العلمية ومازالت شرفا لكل طالب علم، حيث أن انتصار طالب العلم على شيوخ بلده يقدر في قيمة ما يحمله من علم فهي في رأي ابن القنفذ القسنطيني (ت: 810هـ) "شرف وفائدة" لذا شد محبي العلم من بلاد المغرب الأوسط الرحال الى مختلف الحواضر الاسلامية سواء المغربية (تونس والمغرب الأقصى) أو الأندلسية أو المشرقية (القاهرة ودمشق وبغداد والمدينة المنورة ومكة) تدفعهم الرغبة في الاستفادة من العلم على يد كبار شيوخها بالاضافة الى نشر معارفهم وعلومهم هناك فطارت شهرتهم مغربا ومشرقا وتركوا كل بصماتهم في حقل العلم والمعرفة³. لقد كان طلاب المغرب الأوسط لا يكتفون بما يحصلونه من العلوم بل يشدون الرحال الى مختلف الحواضر العلمية الكبرى آنذاك، وقد تكاثفت مجموعة من العوامل ساعدت على نشاط الرحلة العلمية خلال العهد الزياني خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، تمثلت في:

- حرية التنقل بين مختلف أقطار المغرب والأندلس بالرغم من الانقسام السياسي الذي ميز هذه الفترة
- حفاوة استقبال طلبة العلم أينما حلوا وتوفير لهم أماكن الإقامة والتكفل بهم عند الحاجة
- بساطة شروط الالتحاق بالمراكز التعليمية، وعدم تمييزها بين طلاب البلاد الأصليين والوافدين عليها من الأمصار الأخرى لا عرقيا ولا مذهبيا

¹-الأخضر عبدلي، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، مرجع سابق ص 99

²-رزويو زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م، مرجع

سابق، ص 41

³-نفسه، ص 41

- ترحيب الشيوخ بطلاب العلم الوافدين عليهم مثلما فعل ابن مرزوق الحفيد مع القلصادي أثناء رحلته العلمية الى تلمسان، وفعل ابن حجر العسقلاني مع ابن مرزوق حين زار مصر

- تمتع الطلبة بالحرية المطلقة في اختيار أساتذتهم، وكذا الانتقال من شيخ لآخر لإتمام التعليم¹ ولعلنا نتساءل هنا عن فوائد الرحلة العلمية التي كانت ظاهرة منتشرة في معظم البلاد الإسلامية وليست مقتصرة فقط على بلاد المغرب الإسلامي آنذاك، وعلى العموم يمكن إجمال هذه الفوائد في النقاط التالية:

- أخذ العلم مباشرة عن الشيخ والجلوس إليه فالطالب لا يكتفي بقراءة مصنفات الأستاذ بل لابد من أن يقرأها عليه أو أن يسمعها منه حتى يعد ثقة في مادة وحجة في عمله وبدون ذلك لا تصلح روايته ولا يوثق بقوله

- التعرف على مناهج التعليم والمستجدات الطارئة على التخصصات العلمية المختلفة والتحكم فيها

- التعرف على البلدان والشعوب وثقافتهم وتقاليدهم وإمكانية التبادل الثقافي بين المسلمين

- أخذ الإجازات من شيوخ متعددين وفي تخصصات علمية مختلفة²

ومن خلال هذا نستنتج أهمية الرحلة، ليس لدى طالب العلم فقط بل في حياة الشعوب والأفراد والأمم. لأنه من خلالها يمكن الاطلاع على عادات وتقاليد وثقافات مختلف الشعوب، في أنحاء المعمورة .

ثانيا: الهجرة وأنواعها: الهجرة من المهجر ضد الوصل فهجر الشيء بمعنى تركه، وهجر الرجل هجرا إذا تباعد ونأى والاسم منه الهجرة بالكسر والهجرة بالضم وهي الخروج من ارض الى اخرى وقد اختلف

¹- محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، مرجع سابق، ص 75-76

²- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الاسلام أنواعها وآدابها، مرجع سابق، صص 18-19-20-21-22 - محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، مرجع سابق، صص 76-77 - عبد الرحمان بلعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الاسلامي، اشراف، مبخوت بودواية، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة تلمسان، 2007-2008، صص 112-113

في مدة الهجرة فليل السنة فصاعدا وقيل بعد ستة أيام فصاعدا وقيل المغيب أيا كان¹. ويقال هاجر أي ترك وطنه، وهاجر من مكان كذا أو عنه أي تركه وخرج منه إلى غيره، وهاجر القوم أي هجرهم وانتقل إلى آخرين² واصطلاحا تعني الهجرة انتقال فرد أو جماعة من منطقة إلى أخرى داخل بلده أو خارجه، إما بصفة دائمة (هجرة استيطان) أو بصفة مؤقتة (هجرة عودة) وذلك بصورة إرادية أو قسرية³، ورد لفظ الهجرة في القرآن الكريم 30 مرة في 26 آية من 17 سورة أما في الحديث الشريف وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"⁴ ويتعلق حكم الهجرة أساسا من الناحية الفقهية بإقامة شعائر الإسلام ثم المحافظة على النفس، وهما من الكليات الخمس التي حرص الإسلام على حفظها وهي الدين والعقل والنسل والنفس والمال⁵، وفي القرآن الكريم قوله تعالى "لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ^ع أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

¹- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر احمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2005م، المجلد الثالث، ص، 414

²- شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشرق الدولية، جمهورية مصر، 1425هـ / 2004م، ص 973

³- بحدّة طاهر، الهجرة في المغرب الاوسط واقعها وأثارها من منتصف القرن السادس الى اواخر القرن الثامن الهجري(ق 12-14م) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، اشراف بوباية عبد القادر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الاثار جامعه وهران 1 احمد بن بلة، 2016-2007 ص 18

⁴- البخاري، صحيح البخاري، ضبط محمود محمد محمد حسن نصار، دار الكتب العلمي، ط5، بيروت، 1428هـ 2007م، كتاب الإيمان باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم الحديث 10 ص 18

⁵- بحدّة طاهر، الهجرة في المغرب الاوسط واقعها وأثارها من منتصف القرن السادس الى اواخر القرن الثامن الهجري(ق 12-14م)، مرجع سابق صص 18-19

كَانَ بِهِمْ حَخَاصَةً¹ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ¹، ولما كانت الهجرة ذات أهمية في الإسلام، فقد وردت كثير من الآيات الداعية إلى وجوب الهجرة، منها قوله تعالى (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)² وقوله تعالى (وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً³ وَمَنْ تَخَرَّجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)³.

كما وردت كثير من الأحاديث النبوية الدالة على وجوب الهجرة، ومنها في سنن أبي داود من حديث معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) وفي حديث ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية وإن استنفرتم فأنفروا)⁴، فأما الهجرة من أرض الكفر فهي فريضة الى يوم القيامة وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنه فإن قيل: فإذا لم يوجد بلد إلا كذلك، قلنا يختار المرء أقلها إثما مثل أن يكون في بلد فيه كفر وبلد فيه جور خير منه، أو بلد فيه عدل وحرام فبلد فيه جور وحلال أولى للمقام أو، بلد فيه معاصي في حقوق الله فهو أولى من بلد فيه معاصي في مظالم العباد، قال ابن العربي "إن الله حرم أولاً على المسلمين أن يقيموا بين أظهر المشركين وافترض عليهم أن يلحقوا بالنبي ﷺ فلما فتح مكة سقطت الهجرة وبقي تحريم المقام بين أظهر

¹ - سورة الحشر، الآيتان 8-9

² - سورة الحج ، الآية ، 58

³ - سورة النساء ، الآية 100

⁴ - أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الونشريسي، أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه

النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواج، تحقيق، د. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية

1416هـ/1996م، ص 35

المشركين"¹.والإسلام يؤكد على وجوب الهجرة من بلاد الكفر،ومن بلاد الضلال،والتي يتعرض فيها الإنسان المسلم إلى الضغط العقيدي الذي يحوّل الإنسان إلى كافر أو إلى ضال أو منحرف بفعل القوى المضادة المعادية للإسلام والمسلمين الذين لا يملكون فيها حرية الحركة² لأداء شعائرهم الدينية،وعندما سُئل أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الونشريسي عن حكم الهجرة أجاب "أن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة،وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أوفتنة"³.

وقد اعتبر أحد الأدباء(الإمام الشافعي) الهجرة بالغبية والرحلة بالسفر لأنها أقل شقاء وهدفها مائع فقال:

تغزّب (هاجر) عن الأوطان في طلب العلا

وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفريج هم (تسليية) واكتساب معيشة (إطعام)

وعلم وأدب (تكوين) وصحبة ماجد (ملازمه الشيخ أو المعلم)⁴

ويبين هذان البيتان بجلاء أهمية الرحلة والهجرة فالهجرة تشمل كل أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فهي مؤمنة ومغذية ومكونة ومحسنة للوضع الاجتماعي فهي أخذ وعطاء تأثير واندماج واختلاط وثناء ديموغرافي وثناء وتعدد ثقافي¹

¹ - أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الونشريسي،المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب،خرجه محمد حجي وآخرون، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية 1401هـ 1981م، ج2، ص 440

² -عادل القاضي،الهجرة والاعتراب،تأسيس فقهي لمشكلة اللجوء والهجرة،ط1،مؤسسة العارف للمطبوعات،بيروت،لبنان،1419هـ / 1999م، ص 45

³ -أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الونشريسي،أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر،وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر،مصدر سابق،ص25 . للتوسع أكثر حول موضوع الهجرة في الاسلام يراجع:حسين بن عودة العوايشة،الفصل المبين في مسألة الهجرة ومفارقة المشركين،ط1،دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،لبنان،1423هـ / 2002 م

⁴ -أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان،ديوان الامام الشافعي،مكتبة إقرأ،ط1،قسنطينة،الجزائر،2007 م، ص 26

إن حركة الهجرة الداخلية والخارجية التي عرفتها بلاد المغرب عموماً وبلاد المغرب الأوسط بصفة خاصة لا يمكن تجاهلها باعتبارها ظاهرة اجتماعية عاشتها القبائل والتي يجب دراستها سواء باعتبارها كنمط للحياة وما انطوت عليه من أبعاد وآثار أو كانت نتيجة أسباب وظروف سياسية ومذهبية واجتماعية، وفي كلتا الحالتين تبقى هذه الظاهرة أحد أهم الأحداث التي عاشها سكان المغرب الإسلامي في العصر الوسيط والحديث².

ومن خلال اطلاعنا على العديد من المصادر الخاصة بأوضاع المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط تبين لنا بأن حركة الهجرة والتنقل بين البلدين المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى كانت ظاهرة قائمة قبل القرن 10هـ / 16م³ والملفت للانتباه أن هذا التنقل شمل فئة العلماء والمثقفين خاصة - خلال القرن المذكور إذ لم تكن ثمة عراقيل أو مشاكل حدودية تمنع تنقل هؤلاء الأشخاص من وإلى البلدين ذلك أن تنقل المثقفين والدارسين بين المغرب والجزائر كنتنقل سكان الجزائر بين مدينتي وهران وتلمسان وسكان المغرب بين مدينتي فاس ومكناس⁴.

ويضيف الباحث المغربي محمد امطاط قائلاً: "لقد كانت الصلات الثقافية والاجتماعية بين أجزاء المغرب الإسلامي قائمة طيلة الفترة الإسلامية، من عهد الأدارسة إلى بداية السعديين، ساهمت في تمتينها الروابط الجغرافية والتاريخية واللغوية الموجودة بين أجزائه، فاستمر بذلك تنقل التجار والعلماء بحرية من منطقة إلى أخرى"⁵

¹- كمال فيلاي، أشكال الهجرة السرية والهجرة القصرية في تاريخ المغرب الحديث، الهجرة بين الجزائر والمغرب نموذجاً، مخبر الدراسات والأبحاث حول الرحلة والهجرة، جامعة قسنطينة 2، ديسمبر، 2014م، ص 59 - محمد الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، ط 1، مكتبة اقرأ، الجزائر، 2007، ص 26

²- بخدة ظاهر، الهجرة في المغرب الأوسط واقعها وأثارها من منتصف القرن السادس إلى أواخر القرن الثامن الهجري (ق 12-14م)، مرجع سابق، ص 20

³- عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م، الجزء الثاني، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص 111

⁴- أرزقي شويتم، العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية (الفترة العثمانية)، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد، 13، 1433هـ/2011م، ص 85

⁵- محمد امطاط، الجزائريون في المغرب ما بين 1830-1962م، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط 2008، ص 1، 29

وفي بحث متميز للباحث كمال فيلاي عن بداية ظاهرة الهجرة في المغرب الإسلامي يقول "يعود أصل الهجرة السرية بين المغرب والجزائر إلى عهد الحركات الدعوية التي كان يقوم بها المرابطون الوافدون من مختلف مشاتل الشريفة فاس، الدرغ، الصحراء الغربية، خاصة من الساقية الحمراء(التي وسمت بالحمراء ببركة الأولياء) ثم بلاد الريف مرحلة متقدمة ويردف قائلاً:"جاء هذا الحراك الفردي من الغرب باتجاه الشرق عكس الفتوحات الإسلامية،وفي محاولة لرسم مسار الرحلة وأهم مراحلها وانعكاساتها على المحيط الاجتماعي والعمري لاحتظنا من خلال عينات متكررة تشكل نمطية ثرية في موضوع هذا النوع من الحراك: كان هؤلاء الرجال المخاطون بمالة القدسية والشرف يفدون في هجرات سرية فردية بزد بسيط يحتوي علي مزود به شيء من الدقيق وشجره أنساب الشرف وقرآن وعكاز،ليستقروا على حواشي القبائل ونقاط الماء ومناطق العبور وملتقى طرق التجارة والحج وهم يخفون دائما الدوافع الشخصية لسياحتهم،وفي البداية تكون الهجرة في مرحله السياحة لعدم ثبوت معالمها ومقصدتها وعند استقرار هؤلاء المرابطين بمناطق استراتيجية كمناطق عبور القوافل أو نقاط الماء،يظهرون في مظاهر توهم الناس أنهم مرسلون بفعل العناية الإلهية وأنهم أصحاب كرامات وبركة¹،على أن الميزة التي تميزت بها هاته الحركية،أنها زادت من الروابط متانة وعمقا،من خلال الحركة الدائبة والمستمرة المتمثلة في الهجرة والتنقل بين البلدين لمختلف الفئات الاجتماعية،ولمختلف الأغراض كالتجارة وطلب العلم،وزيارة الأهل والأقارب،والأولياء والمشايخ،وبالأخص فئة المثقفين من الطلبة والعلماء ومن هم على شاكلتهم كالمرابطين²

ومن خلال ما سبق ذكره حق لنا أن نتساءل عن تلك الهجرة - موضوع البحث - التي شملت مجموعة من العلماء مع منتصف القرن 10هـ/16م من المغرب الأوسط،إلى المغرب الأقصى،هل كانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ؟ أم أن هذه الهجرة كانت بسبب التواجد العثماني بالمغرب الأوسط؟ وما نظرة هؤلاء العلماء إلى الأتراك من جهة، وإلى الأسرة الحاكمة في المغرب الأقصى من جهة ثانية ؟

¹ - كمال فيلاي، أشكال الهجرة السرية والهجرة القصرية في تاريخ المغرب الحديث، مرجع سابق، ص 60

² - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، ج1، مرجع سابق، ص

من خلال تتبعنا و قراءتنا لبعض المصادر والمراجع اتضح لنا أن هجرة العلماء من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى لم تكن وليدة القرن 10هـ/16م ولم تكن وليدة سبب بعينه بل لها أسباب متعددة

ثالثا: أسباب الهجرة الجزائرية

الهجرة ظاهرة قديمة جديدة ومتجددة بتجدد العوامل والظروف المحيطة بها، وهي نوعان:

أ - هجرة قسرية (إجبارية) تكون نتيجة لاضطرابات سياسية أو عسكرية، أو هروبا من أوضاع غير مرضية وهي ما عبّر عنها أحد مؤرخينا المعاصرين بالهجرة الدائمة

ب- هجرة طوعية: وهي تلك التي تصدر بإرادة الفرد أو الجماعة وتكون مؤقتة تنتهي بانتهاء دوافعها¹ لذلك فإن هجرة العلماء بين الحواضر المغاربية كانت أسبابها متباينة فقد تكون علمية أحيانا أو اضطرابية لآراء سياسية أو وشاية من حاقد أو حاسد، ومهما تكن الأسباب من وراء هذه الهجرة إلا انه كان لها الأثر البالغ في تفعيل النشاط الثقافي والعلمي وحتى الرقي الاجتماعي وهو ماسنراه في الفصل الخامس من هذا البحث. ومن أبرز أسباب وعوامل الهجرة الخارجية من المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى في الفترة موضوع الدراسة نذكر ما يلي :

السبب الأول: وهو الذي أشار اليه الباحث، العيد مسعود، "والمتمثل في وجود فائض من العلماء (خاصة بتلمسان) التي تكوّنت بها طبقة كبيرة من العلماء من أسر عدّة، كأسرة ابن مرزوق، والمقري، والعقباني، والسنوسي، وابن زاغوا، وابن زكري، فتخرج بذلك عدد ضخم من العلماء لم ينزح إلى ريف البلاد، وهم أبناء حواضر، فأثاروا الهجرة إلى حواضر مغربية أخرى كفاس"²

السبب الثاني: ويتمثل حسب ما ذهب اليه الباحث قاصري محمد السعيد في "اضطراب الوضع السياسي وكثرة الفتن بسبب النزاع حول الحكم (الأسرة الزيانية) وتدخل القبائل لمناصرة هذا الفريق أو

¹ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 85

² - العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سرتا، عدد، 03، 1400، هـ/ 198م، ص 59 - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 85

ذاك¹، ونفس الشيء يقال عن المغرب الأقصى خاصة في عهد الدولة السعدية إذ هاجر ثلاثة من الأمراء السعديين وهم (عبد الملك وأحمد وعبد المؤمن) والعديد من أتباعهم من المغرب إلى الجزائر بعد أن آل الحكم فيه إلى أخيهم عبد الله²

السبب الثالث: وهو عامل أشارت إليه كثير من المصادر والمراجع والمتمثل في تعسف العثمانيين وطغيانهم في أوائل حكمهم، خاصة سياسة العنف التي استعملها عروج في تلمسان³ ولما استقر أمر تلمسان ونواحيها للأتراك العثمانيين في أواسط القرن 10هـ/16م، هاجرت قبائل عرب الشارقة، الذين كانوا يستوطنون منطقة تلمسان ووجدة إلى المغرب فرارا من سلطة الأتراك عليهم وهروبا من دفع الضرائب الباهظة إليهم، وآثروا الدخول في خدمة الأشراف السعديين⁴.

كل هذه العوامل وغيرها جعلت العلماء لا يشعرون بالراحة ولا بالجو الملائم والاجتهاد في الرأي والحياد السياسي⁵ ومن ثمة رفض بعض رجال الدين التواجد العثماني باعتبارهم عجم، إذ أن الوجود العثماني يظم أجناسا مختلفة اللسان والعرق والجغرافيا (يونانيين وألبان، وأرمن وبولونيين من أناضوليا

¹ -قاصري محمد السعيد، المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى (1830 - 1930)، رسالة دكتوراه بإشراف د. عميراي أميدة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008 / 2009، ص 14

² -عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/ 16م، ج 2، مرجع سابق، ص 112

³ -أقدم عروج على إعداد مولاي ابو زيان -الملك الشرعي الحرر- ونحو سبعين فرد من حاشيته ومن العائلات الزيبانية وأكثر من ألف من أهل البلد حسب رواية الناصري ابوراس، ولا تزال هذه الحادثة المروعة محل استفهام لكن الأستاذ احمد توفيق المدني يرجع سبب ذلك إلى تجدد الفتن في تلمسان ولعله وجد الملك الزيباني وحاشيته وراء ذلك مثل ما فعل سالم التومي أمير مدينه الجزائر لتفاصيل أكثر، يراجع: بن عتو بلبروات، سلاطين مملكة تلمسان الزيبانية في مواجهة الإخوة بربروس (1517-1546)، مجلة عصور الجديدة، العدد، 02، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامي، 1432هـ/2011م، ص 216 - محمد امطاط، الجزائريون في المغرب ما بين 1830-1962م، مرجع سابق، ص 30

⁴ -محمد الصغير الوفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مصدر سابق، ص 174

⁵ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 424

ومن البلقان)¹، وقد صدرت بذلك فتاوى ترفضهم وتصفهم بالغرباء من أمثلة ذلك صدور فتوى من مرابط جنوب الجزائر، هو سلطان بني جلاب في تقرت وقاضيها، والذي نظم حملة مضادة للعثمانيين وأفتى بوجوب محاربتهم محتواها(من يقتل أحد الأتراك سوف ينال رضى من الله وهو في مرتبة من قتل ملحد أو كافر)²، وكان سيد تلمسان سيدي محمد بن يوسف السنوسي يؤكد أنه لا يوجد شيء أصعب من العيش مع مسيحي وتحت السلطة العثمانية فلا يتوقف عن ترديد عبارة الترك والنصارى الكل في زمرة واحدة³. وقد عبّر الأديب العالم أبو عثمان المنداسي بن عبد الله التلمساني عن ظلم وجور الأتراك بقصيدة سماها العقيقة بقوله :

أمن قادر بالله يحمي تلمسان
بنى السد ذو القرنين للناس رحمة
سمعنا حديثا صادق النقل ربه
و لكن وراء السد عمّ فساد هم
فإن بها من قوم ياجوج إخوانا
فيالته من شوكة الترك هنا
بأن لجنس الترك في الأرض إخوانا
وهم أفسدوا في الغرب كفرا تلمسانا⁴

وإذا كان العاملان الثاني والثالث المشار إليهما سابقا - أساسيان - في هجرة الأفراد والجماعات - خلال الفترة موضوع البحث- فان هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عنهما والمتمثلة في الهجرة لاستكمال الدراسة وطلب العلم، أو للعمل، أو لزيارة الأضرحة وكبار شيوخ الصوفية والمرابطين⁵

¹-Grammont (Henri-delmas) Histoire d'Alger sous la domination turque(1515-1830), présentation de lemnouar merouche, Editions bouchene , 2002 p,202

²- لبصير سعاد، دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني (1516 - 1830) أعمال الملتقى العلمي الأول سوسولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر، مايو ، 2008 ص 59 ، نقلا عن : (Ch) feraud , les ben-jallab, p 140

³-مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 85

⁴-نفسه، ص 86

⁵-عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م، ج 2، صص 113 - 114 - 115 - 116 ، وهذه العوامل التي تطرق إليها الأستاذ بن خروف في هذه الصفحات تدخل ضمن الهجرة الطوعية

ويضيف الأستاذ سعد الله عوامل أخرى متمثلة في كثرة مراكز التعليم، ووفرة المكتبات ووجود جامع القرويين وتقدير ولاية المغرب لأهل العلم إضافة إلى وجود جذور تاريخية من أسر وأنساب وتجارة بالمغرب، كما أن الجوّ العلمي في المغرب أفضل منه في الجزائر آنذاك رغم تقلب الأحوال السياسية¹ ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن معظم الفئات المهاجرة كانت الطبقة المثقفة الواعية التي كانت تريد تغيير واقعها المعاش وذلك بالانتقال إلى المغرب للعوامل والأسباب السابق ذكرها.

قبل التطرق إلى تلك الأعداد الهائلة من العلماء الجزائريين المهاجرين إلى المغرب الأقصى - خلال فترة القرن 10هـ/16م - وجب التذكير بملاحظة هامة وهي وجود مواقف متباينة تجاه التواجد العثماني بالجزائر من طرف العلماء الجزائريين آنذاك خاصة علماء تلمسان، وعليه فقد شكل قدوم الأخوين عروج وخير الدين إلى المغرب الأوسط حدثاً تاريخياً هاماً، ذلك أنه أدى إلى تغيير جذري في كثير من الأوضاع السياسية والعلمية في المنطقة، وبرزت بذلك كثير من المواقف المؤيدة والمعارضة لهذا القدوم قادها رجال السياسة والأعيان، وشيوخ القبائل وزعماء الطرق الدينية وحتى العلماء الذين انقسمت آراؤهم في هذا المجال². وتشير العديد من المصادر إلى أن العلماء - خاصة المتصوفة منهم - قد باركوا التواجد العثماني بالجزائر، وكنا قد أشرنا إلى ذلك في الفصل الأول خاصة في اللقاء الذي جمع عروج بالعالم الفقيه محمد بن يوسف الملياني، ونضيف إليه الفقيه والعالم أحمد بن القاضي شيخ إمارة كوكو بجبال جرجرة الذي كان "من أكبر المدعمين والمساندين للإخوة بربروس، حيث شارك في كل الأحداث الهامة في الإيالة ومنها حصار بجاية عام 1514م، ودخول مدينة الجزائر عام 1516م، ثم تلمسان سنة 1518م"³. وأهم المواقف تجاه التواجد العثماني نوردها فيما يلي:

- العلماء المعارضين للتواجد العثماني:

يأت موقف هؤلاء المعارضين للأتراك حسب الباحث محمد بوشناني في السياسة التي إستعملها عروج ومن جاء بعده خاصة في تلمسان إذ أنه رغم النوايا الحسنة لعروج بغرض القضاء على الفتنة داخل مدينة تلمسان من طرف حكام الأسرة الزيانية" إذ أنه وبعد أيام من دخول عروج مدينة تلمسان

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ج1، مرجع سابق، ص 428

² - محمد بوشناني، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر (ق10-13هـ/16-19م)، مجلة

عصور الجديدة، عدد: 02، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1432هـ/2011م، ص 203

³ - نفسه، ص 204

سجن السلطان أبا زيان مع ستة من المرشحين للملك، ونحو ستين من الأمراء، فولد ذلك معارضة لدى علماء تلمسان وعامتها¹ ومن أبرز العلماء المعارضين نذكر على سبيل المثال لا الحصر: العالم أحمد بن ملوكة التلمساني² والشيخ المتصوف عبد الله بن عبد الرحمان اليعقوبي الندرومي³، والشيخ العالم ابن لولو التلمساني⁴. وغيرهم.

- نماذج لعلماء قدّموا النصح للعثمانيين:

رغم أن عددهم قليل حسب المصادر المعاصرة لفترة التواجد العثماني بالجزائر فإن بعضهم قد حاول التعايش مع الأتراك وتقديم النصح لهم، ليس حبا فيهم وإنما اتقاءا للفتنة التي كانت تنتج عنها تمردات وثورات ضد الأتراك وهو ما حدث في عام 1035هـ/1625م، لما ثار السكان ضد القائد العثماني محمد بن سوري بسبب ظلمه وجوره، فدفع ذلك بالشيخ محمد بن علي العبدلي إلى الدخول على هذا القائد وتقديم النصح له، وتوعده بكوارث الأمور إن هو واصل في ذلك قائلا له: "لا تجعل نفسك هدفا للنصال، ولا تنصبها لرمي النبال، باعد البلاء يباعدك البلاء"⁵

- نماذج لعلماء أيدوا العثمانيين:

لقد أعطى العثمانيون لسيادتهم على العالم الاسلامي صبغة دينية، ولهذا دخلت تحت نفوذهم عدد من البلدان الاسلامية طواعية ومنها الجزائر، وتؤكد الباحثة فوزية لزغم بأن علاقة العلماء بالعثمانيين كانت قوية خلال القرن السادس عشر وذلك لارتباط الوجود العثماني بالجزائر بالجهاد ضد الغزوات

¹ - نفسه، ص 205-206

² - محمد بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر، مصدر سابق، صص 121-122

³ - ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 134

⁴ - ختم تفسير القرآن الكريم في الجامع الأعظم بتلمسان، وكان من أبرز علماء الجزائر في تدريس تفسير القرآن، وكان من الأدباء الحاذقين. يراجع: سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، مرجع سابق، صص 12-13

⁵ - سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 3، ط 2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 2005م، ص 225

الصليبية الأوربية على السواحل الجزائرية،ولهذا كان جل العلماء ورجال الدين المرابطين يؤيدون العثمانيين¹

لعل الكثير من هؤلاء العلماء المؤيدين للأتراك في تلمسان وغيرها من المناطق كانوا قد أدركوا دور وأهمية ما قام به الأتراك في القضاء على الأطماع الصليبية وتحرير السواحل الجزائرية آنذاك(باستثناء وهران التي لم يتم تحريرها من الأسبان إلا في سنة 1792م)ورأى هؤلاء المؤيدين أن التضحيات الجسام التي قام بها الأتراك تستحق منهم التعايش معهم رغم بعض السلبيات التي بدرت من بعض الأتراك سواء أكانوا جنودا أم قادة،ولعل القبول بالمناصب الدينية الممنوحة لبعض العلماء تؤكد هذا التعايش وهذا القبول. ومن أمثلة ذلك جلوس العالم والفقير سعيد بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمان بن بلعش المقرئ على كرسي الإفتاء والخطابة بالجامع الأعظم لأكثر من خمسة وأربعين سنة،وهذا العالم كان من كبار علماء عصره²،والى جانب هذا العالم نجد من بين العلماء الآخرين المؤيدين للتواجد العثماني العالم والمفتي أحمد بن زاغو الذي كان الشاعر المنداسي قد هجاه متهما اياه بالخضوع للعثمانيين والتعدي على حدود الدين³

- نماذج لعلماء هاجروا من تلمسان رفضا للواقع الجديد:

عرفت الجزائر عامة وتلمسان خاصة خلال منتصف القرن العشر هجري/السادس عشر الميلادي نزيفا كبيرا نتيجة لهجرة عدد كبير من العلماء لأسباب كثيرة منها السياسية متمثلة في الاضطرابات التي عرفتها الإيالة آنذاك(خاصة الحملات السعدية على تلمسان) فكانت هذه الهجرة إحدى الظواهر التي تميز بها القرن العاشر الهجري في إطار العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى

رابعا:هجرة علماء المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى:شملت الهجرة التي سنتحدث عنها في الفترة - موضوع البحث- علماء أجلاء أغلبهم من الغرب الجزائري - خاصة تلمسان - فما هي

¹- فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، (1830/1520م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، اشراف، محمد بن معمر، كلية العلوم

الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2014/2013م، ص472

²- محمد بوشناق، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر(ق10-13هـ/16-19م)، مرجع

سابق، ص209

³- نفسه، ص210

دوافع وأسباب هذه الهجرة ؟ وهل كانت مقتصرة على فترة القرن 10هـ / 16م ؟ ولماذا كان السواد الأعظم من هؤلاء المهاجرين العلماء من تلمسان¹؟

شهدت العلاقات بين المغربين الأوسط والأقصى اضطرابات واصطدامات متعددة، كنا قد أشرنا إليها من قبل، وذلك منذ نهاية دولة الموحدين (منتصف القرن الثالث عشر ميلادي) واشتد التنافس خاصة على تلمسان في عهد الدولة السعدية لاسيما مع منتصف القرن 10هـ/16م ومرّد ذلك إلى نظرة الحكام السعديين إلى الأتراك على اعتبار أنهم عجم ذلك أن (الأتراك هم من جملة المماليك والموالي الذين دافع الله بهم عن المسلمين وجعلهم حصنا وصورا للإسلام، وإن كان أكثرهم وأكثر أتباعهم ممن يصدق عليهم قوله ﷺ "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"² ويعلق التمجروتي، صاحب النفحة المسكية على مسألة الخلافة العثمانية - بقوله: (و إن كانوا إنما حملوا الإمارة وقلّدوا (بضم القاف وكسر اللام) الأمر في الحقيقة نيابة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها وهم موالينا، وسادتنا الشرفاء ملوك المغرب، وقد أجمع المسلمون على أن الخلافة لا تنعقد إلا لمن هو من صحيح قريش)³ ويتحدث التمجروتي عن أفعال وخصال الأتراك السلبية، عندما مرّ بليبيا سنة 997هـ/1589م (بأنهم قد جاروا على أهلها، وأفسدوا فيها، وضيّقوا عليهم في أرضهم وديارهم وأموالهم، واستباحوا حرّيم

¹- لتفاصيل أكثر يراجع: مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10 هـ / 16م، مرجع سابق، ص 87 وما بعدها، وهنا لابدّ من الإشارة بأن هذه الدراسة (أي الأطروحة) أثبتنا من خلالها بأن أكثر من 70% من العلماء الذين شملتهم هذه الدراسة هم من

تلمسان وضواحيها

² - فهد بن محمد، السويكت، مواقف الإشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية، مجلة جامعة الملك سعود للآداب، 1427هـ / 2006م، ص 183

³ - التمجروتي علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي، الرباط، 2002م ص 135. ومما تجدر الإشارة إليه هو أنه عندما تسلم السلطان سليم الأول مفاتيح الكعبة من ابن شريف مكة سنة 1517م، قد كرّس دوره كخليفة وأمير المؤمنين (سلطة دينية وسياسية) على شرق المتوسط وكان يريد توسيع هذه السلطة على غرب المتوسط، يراجع، فهد بن محمد السويكت، مواقف الإشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية، مقال سابق، ص 180

المسلمين حتى أن بنت الإنسان من الأعيان والأكابر إذا كان لهم فيها غرض لا يقدر أحد أن يمنعها منهم - أعني النكاح - ولا أن ينكحها لغيرهم، إلى غير ذلك من الذل والإهانة التي هم فيها معهم¹ ويرى ابن القاضي بأن السعديين أحق بالخلافة من الأتراك بسبب شرفهم²، وبالمقابل فإن الأتراك العثمانيين في تركيا أو الجزائر - سواء بسواء - كانوا ينظرون إلى المغرب الأقصى على أنه امتداد للعالم الإسلامي، الذي تمكنت الدولة العثمانية من توحيدده وجعله تابعا لإسطنبول، أي إلى الخلافة الإسلامية ولن يتأت لها ذلك إلا بجعل المغرب الأقصى تابعا لهذه الخلافة التي تشرف عليها الدولة العثمانية، بل كان طموح سلاطين الدولة العثمانية أبعد من ذلك إذ أنه عندما ألقى السلطان العثماني سليم الأول نظرة على خارطة الأرض استصغرها وقال (وهل تتسع هذه الدنيا لأكثر من ملك واحد)³ ومما يشجع هذا الطرح هو أن الدولة العثمانية في الشمال الإفريقي رفعت لواء الجهاد وهو ما تذهب إليه الأستاذة نفيسة الذهبي بقولها (أن العثمانيين دخلوا البحر المتوسط في البداية من خلفية دينية بدافع الجهاد لأنه واجب يلزمهم باعتبارهم حماة للإسلام. ومما أن منطقة الشمال الإفريقي مهددة من

¹ - فهد بن محمد السويكت، المقال السابق، ص 184

² - ابن القاضي أحمد، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور ج1، دراسة وتحقيق، محمد رزوق، مكتبة المعارف الرباط، 1986، ص263. باستيلائه على مراكش عام 1544م، اتخذ محمد الشيخ لقب الخلافة، ومن الغريب أن عددا من كبار الفقهاء منهم عبد الواحد الونشريسي (سنتطرق لهذه الشخصية العلمية والأدبية والدينية السامية في الصفحات المقبلة) رفضوا بيعة السعديين ... واعتمد السعديون في مسألة البيعة على نسبهم وتراثهم الشريف أي التمسك بالقرشية والانتماء للسلالة النبوية وبالتالي أفضليتهم على منافسيهم الوطاسيين في الغرب والعثمانيين في الشرق و بأن البيعة في قريش سادة العرب وهم منهم يراجع:

Willis, j, r, the bayca in islam, and some a spects of the bayca in morroco relations with the western sudan

منشور باللغة الإنجليزية ضمن أعمال مؤتمر المغرب وإفريقيا، وجنوب الصحراء في بداية العصر الحديث، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1992، ص221 يراجع: فهد بن محمد السويكت، مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية، مقال سابق، ص 182

³ - نفيسة الذهبي، الدولة العثمانية في مجالها المتوسطي خلال القرن 16م بين إستراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة سلسلة ندوات ومناظرات رقم 109، بعنوان العثمانيون والعالم المتوسطي، مقاربات جديدة، ط1 تنسيق، عبد الرحمان المؤذن، عبد الرحيم بنحادة، 2003، ص 81

قبل النصارى فضمها للدولة أولى من تركها،وبذلك يكون حضورهم رد فعل تلقائي،ونوع من النجدة والإغاثة لأهل هذه المنطقة وليس نوعا من الاحتلال كما ادعى البعض¹.

وعليه ومن خلال جدلية الخلافة بين العثمانيين والأسرة السعدية ظهر في المغرب الأوسط خاصة في تلمسان من يؤيد الأسرة السعدية ومن ثمة طلبوا ضم تلمسان إلى المغرب الأقصى بل وجهوا نداءات استغاثة إلى الأمراء السعديين².ولعل ترحيب علماء تلمسان بالسعديين ثم هجرتهم الى المغرب الأقصى فيما بعد بأعداد هائلة يفسرها الباحث،كمال فيلاي بسببين رئيسيين:

أولهما: أن المرابطين وأغلب العلماء أشرف من أصول مغربية ويدينون بمذهب الإمام مالك

ثانيهما: أن بعض العلماء أصبحوا مناوئين لآل عثمان باعتبارهم أحناف المذهب،عجم من غير البربر والعرب سكان المغرب³،ونحن نتفق الى حد بعيد مع الباحث كمال فيلاي غير اننا نضيف عوامل أخرى نراها موازية لهذين العاملين ومنها كثرة مراكز التعليم،ووفرة المكتبات ووجود جامع القرويين وتقدير ولاية المغرب لأهل العلم إضافة إلى وجود جذور تاريخية من أسر وأنساب وتجارة بالمغرب،كما أن الجو العلمي في المغرب أفضل منه في الجزائر آنذاك وهو ما ذهب إليه كذلك المرحوم أبو القاسم سعد الله⁴.

رابعاً: نتائج انتقال العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى

إن عملية تنقل العلماء بين أقطار العالم الاسلامي مشرقا ومغربا كانت عملية مألوفة،ونفس الشيء يقال عن تنقل العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى،"إذجلبت فاس،والعديد من المدن والحواضر المغربية على غرار مراكش،وسجلماسة،وتارودانت وحتى تيطوان إليها معظم الفقهاء الباقين في تلمسان ونواحيها،ومن العائلات التلمسانية الشهيرة التي اهتمت بالفقه،عائلة الونشريسي،والمغيلي،والمقري،

¹ - نفيسة الذهبي،المقال السابق،ص 89

² -كنا قد أشرنا الى الحملات الثلاث التي قم بها السعديون للسيطرة على تلمسان في الفصل الأول ولتفاصيل إضافية يراجع: محمد دادة،تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الاسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن16م،مجلة عصور الجديدة،العدد 02،عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية،1432هـ/2011م،ص 198

³ -كمال فيلاي،أشكال الهجرة السرية والهجرة القصرية في تاريخ المغرب الحديث،مرجع سابق،ص64

⁴ -مسعود بقادي،هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م،مرجع سابق،صص 86-87

والعقباني ومعظم أفراد هذه العائلات كانوا يترددون بين حاضرتي تلمسان وفاس والحواضر المغربية السابقة الذكر¹. وعلى اعتبار ما ذكرناه سابقا من أوضاع سياسية سادت العلاقة بين البلدين (المغربين الأوسط والقصي)، فقد ظلت مشكلة الحدود هي هاجس الحكام المغاربة، غير أن ذلك لم يكن يخطر ببال شعوبهم، خاصة العلماء والمثقفين منهم بصفة خاصة إذ أنهم لم يتقيدوا بفكرة الحدود عبر المراحل التاريخية المختلفة، وحتى في تلك الفترات التي وصلت فيها العلاقات السياسية إلى ذروة التوتر فكانوا يعتبرون الأقطار المغاربية وحدة متكاملة، "إذ كان العلماء يشكلون مدرسة واحدة يتبادلون فيها المعارف"²، كما أن أغلب حكام المغرب (وطاسين أو سعديين) كانوا يتميزون باحترامهم للعلماء ومجالستهم ويصطحبونهم معهم، ويستشيرونهم ذلك أنهم كانوا هم آخذين من العلم بنصيب وافر³ ما أكثر كتب التراجم⁴ التي اعتنت بتفاصيل حياة هؤلاء العلماء، إذ أن العديد من هذه الكتب أفرد أصحابها صفحات متعددة لمآثر هؤلاء العلماء وكذا مؤلفاتهم، والتطرق حتى لأساتذتهم الذين تتلمذوا

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج2، مرجع سابق، ص67 - قاصري محمد السعيد، المهاجرون

الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص10 - 11 - 12

² - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص461

³ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال

القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 92-93، وللتوسع أكثر في ثقافة هؤلاء السلاطين كمحمد الشيخ

المهدي، وكذا أحمد المنصور الذهبي يراجع: الأفراني، نزهة الحادي، مصدر سابق، ص 23 - 24 - 57

، الفشتالي، مناهل الصفا، مصدر سابق، ص 265 - 269 - 294 .

⁴ - علم التراجم، هو العلم الذي يتناول سير حياة الأعلام من الناس عبر العصور المختلفة. وهو علم دقيق يبحث

في أحوال الشخصيات والأفراد من الناس، الذين تركوا أثارا في المجتمع، ويتناول هذا العلم كافة طبقات الناس من

الأنبياء والخلفاء والملوك والأمراء والقادة والعلماء في شتى المجالات، والفقهاء والأدباء والشعراء والفلاسفة

وغيرهم، ويهتم بذكر حياتهم الشخصية ومواقفهم وأثرهم في الحياة وتأثيرهم، ويعتبر علم التراجم عموما فرعا من

فروع علم التاريخ. تراجع: ويكيبيديا الموسوعة الحرة <https://ar.wikipedia.org>، يوم 2019/03/21،،

على أيديهم¹، ونظرا لأهمية أصحاب هذه الترجمات حرصنا في عملنا هذا على تناول الشخصيات العلمية، والترجمة لهم وذلك بترتيبهم حسب تاريخ وفاتهم، معتمدين على المصادر أولا ومستأنسين بالمراجع التي تناولت بعضا من حياتهم ثانيا، كما يجدر بنا أن نشير الى أننا تناولنا بنوع من التحليل لمسار أربعة عشر (14) عالما جزائريا في رسالة الماجستير²، وارتأينا ضرورة ادراجهم في هذا البحث كي تكتمل الصورة أكثر حفاظا على وحدة الموضوع من جهة، والتزاما بالفترة الزمنية موضوع البحث (القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي) من جهة ثانية

إنه ومن خلال اطلاعنا على مجموعة من المصادر المتعلقة بالعلماء الجزائريين الوافدين على المغرب الأقصى خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، أمكننا أن نحصي عددا لا بأس به، سواء أولئك الذين تنقلوا بمحض إرادتهم طلبا للعلم، أو أولئك الذين تنقلوا بسبب الظروف السياسية العامة التي كان يشهدها المغرب الأوسط، فإنه يمكننا القول بأن هؤلاء العلماء هم غيض من فيض، ولولا ارتباطي بعامل الزمن لإتمام هذه الرسالة، لما وسعتني عشرات الصفحات للبحث عن عدد لا يحصى منهم، والملاحظة نفسها كان قد أبداها غيري أبرزهم الباحث، عمار بن خروف³، وإنني إذ أقدم هذا العدد المعبر من العلماء بواسطة ترجمة وجيزة لحياتهم ومواقفهم وبعض المناصب التي أسندت لهم، وكذا ما امتازوا به من علم ومكانة، فإنني بذلك أعتبرهم مثلا يحتذى به، ليس على مستوى بلدان المغرب الاسلامي، بل على مستوى العالم الاسلامي ككل. ومن أبرز هؤلاء العلماء نذكر ما يلي:

1 - أحمد بن يحيى الونشريسي أبو العباس التلمساني (834هـ / 1430م - 914هـ / 1509م) هو العالم العلامة، حامل لواء المذهب على رأس المائة التاسعة، الشيخ الإمام العالم العلامة المصنف الأبرع والفقهاء الأكمل الأرفع، البحر الزاخر والكوكب الباهر، حجة المغاربة على أهل الأقاليم

¹-يراجع على سبيل المثال لا الحصر: كتاب دوحة الناشر محاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، لمحمد بن عسكر الحسني الشفشاوني- درة المجال في أسماء الرجال، لأبي العباس أحمد ابن القاضي المكناسي

²-مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 93-101

³- وذلك عندما كان يتحدث عن العالم عبد الرحمان العنابي قائلا: وما أكثر أمثاله في مختلف المدن المغربية-

يراجع، عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، مرجع سابق، ص

وفخرهم الذي لا يجحده جاهل ولا عالم¹ أخذ الفقه عن أبيه الفقيه الكبير الحافظ المحصل النوازي وعن شيوخه التلمسانيين، انتقل إلى فاس سنة أربع وسبعين من التاسعة²، له تأليف عظيم القدر في الفتاوى سماه، "المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب"³ و"الفائق في الوثائق" و"قواعد المذهب" وغير ذلك⁴، ثم حصلت له كائنة من جهة السلطان في أول محرم عام أربع وسبعين فانتهدت داره⁵، وفرّ إلى مدينة فاس، فاستوطنها⁶. تخرج على يد الشيخ أبي العباس جماعة من

¹ - محمد ابن عسكر الحسيني الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ / 1977م، ص 47

² - أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط 1396هـ / 1976م، ص 50

³ - تتناول هذه الفتاوى مجموعة من الأجوبة في مختلف المسائل الشرعية، فيورد الونشريسي السؤال ثم يردفه بإجابة الفقيه الفلاني مستشهدا بالأحاديث والآيات القرآنية، يراجع: أبو العباس احمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي 12 جزءا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة، المغرب، 1401هـ / 1981م

⁴ - احمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص، 156. كذلك ابن عسكر، الدوحة، مصدر سابق، ص 47، كذلك: يحيى ولد سيدي أحمد، بيليوغرافيا - تلمسان، 1400 عنوان، دار المعرفة، 2011، ص 100، كذلك: مخطوط إيضاح المسالك إلى قواعد مالك لأحمد بن يحيى الونشريسي، عدد من الصفحات (420 - 468، الرقم 115 / ك / 12) - الخزانة الحسينية (الملكية) الرباط . المغرب

⁵ - تتعلق هذه الحادثة بفتواه المتعلقة ببناء جدار وحصن على أحد المقابر المجاورة للمدينة وقد عارض الونشريسي ذلك، فنهب السلطان الزياني المتوكل داره يراجع: حساني مختار، موسوعة المدن الجزائرية ج4، مدن الغرب، دار الحكمة الجزائر، 2007، ص 96/97، كما تطرق الدكتور حساني لهذه القضية في عنصر الهجرة إلى فاس وأبرز العلماء المهاجرين في كتابة: تاريخ الدولة الزيانية، ج2 - الأحوال الاقتصادية والثقافية منشورات الحضارة، طبعة 2009م صص 218 - 228

⁶ - أحمد بابا التمكنكي، نيل الإبتهاج، مصدر سابق، ص 135

الفقهاء ممن لازمه¹ توفي رحمه الله، سنة 914هـ/ 1509 م، وهي السنة التي أخذ النصارى دمرهم الله وهران... وكان عمره نحو ثمانين سنة²

2- الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون أبو العباس (ت: 920هـ/1514م) الشيخ الفقيه العالم العلامة، الأستاذ المقرئ المتكلم الحافظ الضابط المطلع، المحقق المشارك أبو عبد الله سيدي محمد المدعو شقرون ابن أحمد بن أبي جمعة المغراوي ثم الوهراني³ وهو المعروف بالسيد شقرون، لأنه كان أشقر اللون أحمر العينين، جهير الصوت⁴ رحل إلى فاس حيث جلس إلى التدريس فطارت شهرته وأقبل وأقبل عليه جمع غفير من طلبة العلم فأعجبوا بعلمه وسعة اطلاعه وسرعة استحضاره⁵، له العديد من المؤلفات منها "الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين"⁶، بالإضافة إلى كتاب "جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان"⁷ بالإضافة إلى مؤلفات أخرى

¹ - أحمد المنجور، فهرسة أحمد المنجور، مصدر سابق، ص 50

² - ابن مريم، البستان، مصدر سابق ص 81 - كذلك أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف ج 1، ط 1، دراسة وتحقيق: خير الدين شترة، دار كردادة، للنشر والتوزيع . 1433هـ / 2012م، ص 554 / 555 .
- كذلك: كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي - مركز الإسكندرية للكتاب، 1996 صص . 06/05 - كذلك سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1 مرجع سابق ص 123 وما بعدها .

³ - محمد بن جعفر الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء و الصلحاء بفاس ج 3 حققها ووضع فيهارسها، د. الشريف محمد حزة بن علي الكتاني ضمن الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، ص 353

⁴ - ابن عسکر، دوحه الناشر، مصدر سابق ص 126

⁵ - عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيها بين القرنين التاسع و العشرين الميلاديين (3 / 14 هـ) ديوان المطبوعات الجامعية ، مرجع سابق، ص 118

⁶ - تراجع دراسة، مخطوط الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين، لمحمد شقرون بن أبي جمعة الغراوي، مذكرة ماجستير، للطالب عبد القادر فكايير، إشراف د. جمال قنان، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، م 1995

⁷ - توجد منه نسختان مخطوطتان الأولى: بالمكتبة العامة بتيطوان رقم: 710 يراجع كذلك: نفس المخطوط، دراسة وتحقيق وتعليق، أحمد جلولي البدوي، ورايح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، لاحظ الملحق رقم: 03

منها "تقريب النافع في الطرق العشر لنافع"¹ وكذا "تقييد على مورد الظمان"² وكذلك "فتوى محمد شقرون لمسلمي الأندلس"³ توفي رحمه الله بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة⁴

3- موسى بن سعيد الزواوي (ت 1524هـ)

ترجم له ابن القاضي في الدرّة وقال عنه انه كان شيخا مقررًا في فاس وذكر أن من تلاميذه أبا مهدي عيسى بن احمد الماواسي وأنه توفي في سنة 931 هـ/1524 م، ولكنه لم يذكر متى دخل مدينته فاس⁵

4- عبد الله بن إبراهيم الخياط (ت: 1532هـ)

نرح من وهران الى المغرب ودرس بفاس ثم انتقل الى مكناس ومنها الى زرهون حيث استقر به المقام هناك وبنا بها زاويته الشهيرة التي كان يعقد بها المجالس لتدريس العلوم اللغوية والشرعية من توحيد وفقه وقراءات وتلقين مبادئ التصوف وتخرجت على يده جماعه من العلماء⁶

¹- هو عبارة عن عمل في القراءات نظمها في أبيات شعرية انتهى من تأليفها سنة 899هـ وهذا العمل ما يزال مخطوطا في باريس تحت رقم 4532، ونسخة أخرى بالمكتبة الملكية بالرباط رقم 4497- سعد الله أبو القاسم تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 22

²- هو عمل في القراءات في جزء واحد، مازال مخطوطا في كتاب اللآلي الفريدة في الخزانة المصرية التيمورية بمصر تحت، رقم: 213

³- وهي فتوى وجهها الى مسلمي الأندلس للقيام بأحكام الإسلام سرا(خفية)، وأفقي لهم بالتظاهر بالنصرانية و تاريخ هذه الرسالة فاتح رجب 910هـ / 28 نوفمبر 1504م، يراجع: ليلي الصباغ، ثورة مسلمي غرناطة، مجلة الأضالة، عدد، 27، سبتمبر، أكتوبر، سنة 1976

⁴- أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس .. مصدر سابق ص، 321، وقد اختلف في سنة وفاته، فصاحب الدوحة يقول انه توفي في العشرة الثالثة ص126 والأستاذ عمار هلال، يحدد تاريخ وفاته ما بين 1514 م، أو 1524م، يراجع: عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيها بين القرنين التاسع و العشرين الميلاديين (3 / 14 هـ)، مرجع سابق ص، 118

⁵- أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، الشهير بابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح، محمد الأحدي أبو النور، ج3، دار التراث، القاهرة، 1970/1971م، ص 7

⁶- ابن عسكر محمد الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب في القرن العاشر، مصدر سابق، ص 83 - الشريف عبد الله بن محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، سلوة الانفاس ومحادثه الاكياس بمن اقبر من

5- أحمد بن محمد العبادي التلمساني (توفي حوالي 940هـ/1533 م)

هو الشيخ الإمام العالم المحقق النحرير أبو العباس أحمد بن محمد العبادي كان من العلماء الأعلام، ورد على فاس في الدولة الوطاسية الناصرية، وقدمه الناصر بن الشيخ الوطاسي للتدريس في جامع القرويين، فانتفع الناس بعلومه وأخذ عنه الفقه سيدي أبي محمد الهبطي، ولقي منافسه من فقهاء فاس في ذلك الوقت لأمر يطول شرحها لتقدمه عليهم، وتوجه أرباب الدولة الى جهته، توفي في أوائل العشرة الرابعة، ودفن بتلمسان رحمه الله¹

6- عبد العزيز القسنطيني (القسمطيني) (ت: العقد الرابع من ق 10هـ) عرفه ابن عسکر بأنه شيخ المشايخ المشار إليه بالقطبانية ابو فارس عبد العزيز القسمطيني ويردف قائلاً كان هذا الشيخ من أكابر الأولياء وأعلام الصوفية، ويقال انه بلغ مقام الأفراد ومنازل الأقطاب كبير الشأن شهير الذكر له الشأن العظيم من العلماء العاملين والأولياء المتقين وأخباره شهيرة ومناقبه كثيرة وكراماته أكثر من أن تحصى وعلى الجملة فهو ممن بلغ الغاية في مقام التربية النبوية توفي والله اعلم في صدر العشرة الرابعة رحمه الله²

7- ابن أحمد بن محمد بن يحيى ابن جيدة الوهراني (ت 951هـ / 1544م)

هو الشيخ الفاضل العالم أبو العباس أحمد بن جيدة، كان يدرّس علم الكلام بفاس وكان من أهل الفضل والدين والعلم المتين³ أخذ عن الإمام السنوسي مقدمته الصغرى، وأخذ التصوف عن ابن تاغزوت⁴ ويقول عنه أحمد المنجور في فهرسته (الشيخ الفقيه الموحد الصالح أبي العباس أحمد بن جيدة)، توفي سنة 951هـ / 1544م، وقيل أنه توفي في العشرة الرابعة بفاس رحمه الله⁵

العلماء والصالحين بفاس، تح، عبد الله الكامل الكتاني واخرون، ج3، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء 2004، ص 236

¹ - ابن عسکر، دوحه الناشر، مصدر سابق، ص 119

² - ابن عسکر، دوحه الناشر، مصدر سابق، صص 132-133

³ - ابن عسکر، المصدر نفسه، ص 136 - الباشي سالم، الحركة الحديثة بالمغرب في العهد السعودي، مرجع سابق ص 87

⁴ - ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 80

⁵ - أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، مصدر سابق، ص 17- ابن مريم البستان، المصدر السابق، ص 80 - ابن عسکر، دوحه الناشر، مصدر سابق ص 136 - الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف ج2، مرجع

8- علي بن موسى بن علي بن هارون أبو الحسن 871هـ - 1466م / 951هـ - 1545م

هو الشيخ الفقيه الأستاذ العددي الفرضي المؤقت العروضي المتفنن المفتي الخطيب أبي الحسن علي بن موسى ابن هارون المطغري¹، وبه اشتهر المطغري بالطاء مطغرة تلمسان²، وأخذ عنه عبد الواحد الونشريسي واليسيتني والزقاق وغيرهم³، له مشاركة في علوم التفسير والعربية والحساب والفرائض، انتقل إلى فاس سنة 891هـ/1486م، فلازم العلامة ابن غازي 29 سنة في البحث والتحقيق⁴ توفي في ذي القعدة سنة إحدى وخمسين، وقد ناف عن ثمانين⁵

9- ابو زيد عبد الرحمان بن محمد التلمساني ابن الوقاد (ت: 1075 هـ / 1649)

هو ابن العلامة محمد بن الوقاد بعد وفاة والده خلفه ابنه في تولي خطط الخطابة والتدريس والإمامة وقد اخذ عن والده شعره وعلمه كما تتلمذ على يد احمد بابا التنبكتي وأبي عثمان سعيد الهوزالي ومن ابرز تلاميذه أبو زيد عبد الرحمان محمد⁶

10- محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الوقاد تلمساني: (ق10هـ/16م)

اكتسب شهره والده وجده العلمية إلا انه لم ينل الخطط الثلاث التي كانت حكرا على أسرته، الإفتاء الخطابة والتدريس إنما نال خطه القضاء فكان هو من يحضر المواثيق والشهادات وكان فصيح اللسان ويتمتع بخط جميل وراق⁷

سابق ص 44 - 45-عمار هلال، العلماء الجزائريون في فاس في ما بين القرنين 10/20، مجلة الدراسات

التاريخية، عدد، 09، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1995م، ص 30

¹ - أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، مصدر سابق ص 11- 12

² - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 345

³ - نفسه، ص 346

⁴ - عادل نويهض، أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف

والترجمة والنشر، بيروت، لبنان 1400هـ / 1980م، ص، 305 - 306

⁵ - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، مصدر سابق، صص 26 - 27

⁶ - الافراني محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي

عشر، تق، تح، عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي في المغرب، ط1، الدار البيضاء،

المغرب، 1425هـ/2004م، صص 271-272

⁷ - الصالح السالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال: 1549-1664م، مرجع سابق، ص 105

11- احمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الوقاد التلمساني:(ق10هـ/16م)

هو شقيق محمد السابق الذكر كان من عدول تارودانت،فقد ترك العديد من الوثائق الشرعية الموقعة في الحوالة الحبسية لمدينه تارودانت¹

12- الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت955هـ / 1549م)

هو الفقيه العالم العلامة،البحر الفهامة،صاحب القلم الفصيح واللسان الصريح،فريد دهره وأعجوبة عصره²،الإمام الفقيه الأستاذ النحوي الأديب الناظم الناثر الخطيب المفتي³،صاحب العلم الصحيح واللسان الفصيح،قاضي فاس ومفتيها وعدل قضاة زمانه،كان عارفا بالأصول والفروع مشاركا في الفنون،محققا لجميعها مع طلاقة اللسان وحسن التعبير وسرعته،وجودة الفهم والخط والشعر،شاعرا مجيدا لايقارعه أحد من أهل عصره...وقد جمع له بين الخطط الثلاثة،الفتيا والقضاء والتدريس⁴،ولد بفاس بعد الثمانين وثمانائة،أخذ (العلم) عن أبيه أبي العباس والشيخ ابن غازي والهبطي، تولى القضاء ثمانية عشر عاما⁵. من تأليفه: "نظم قواعد المذهب المسمى بالنور المقتبس من قواعد مذهب مالك بن أنس" لخص فيه كتاب : "إيضاح المسالك لوالده وزاد عليه زيادات رائقة،وتعليق حسن على البخاري لم يكمل،وله أزجال وموشحات⁶ وكان ممن لا تأخذه في الله لومة لائم إذ خرج يوم عيد ليصلي بالناس صلاة العيد فانتظر السلطان أبو العباس أحمد المريني فبطأ عليهم ولم يأت إلى أن خرج وقت الصلاة ولما وصل السلطان إلى المصلى نظر الشيخ عبد الواحد إلى الوقت،فراه قد فات فرقي المنبر وقال:يا معشر المسلمين عظم الله أجركم في صلاة العيد،فقد عادت ظهرا،ثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة وصلى بالناس الظهر وانصرف ولم يراع تغيير السلطان ولا فضيحته⁷،ومما عرف به عبد الواحد الونشريسي أنه عقد صلحا بين الوطاسيين والسعديين سنة 940هـ / 1534م تم بموجبة

¹ - نفسه،ص 105-106

² - ابن عسكرا،الدوحة،مصدر سابق،ص 52

³ - أحمد المنجور،فهرس المنجور،مصدر سابق،ص 12

⁴ - محمد بن جعفر الكتاني،سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس،ج2،مرجع

سابق،ص ، 162-163

⁵ - احمد بابا التمكني،نيل الابتهاج بتطريز الديباج،مصدر سابق صص 288-289

⁶ - محمد بن جعفر الكتاني،سلوة الأنفاس،ج2،مرجع سابق،ص 163

⁷ - ابن عسكرا،الدوحة،مصدر سابق،ص 52

تقسيم المغرب كما يلي: يكون مُلك السعديين من تادلا إلى السوس، ولبنى وطاس من تادلا إلى المغرب الأوسط¹ وبسبب تدخله في الشؤون السياسية في المغرب مات مقتولا سنة 955هـ/1549م²

13- -أبومهدي عيسى بن موسى التوجيني (ت:962 هـ / 1554): من قبيله بني توجين احدى بطون زناتة،القاطنين بجبال الونشريس،هاجر الى فاس ودرس على يد احمد بن غازي شيخ الجماعة بفاس، وكان له نظم في علماء عصره، سماه،بغية الطالب في ذكر الكواكب³

14- أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي:(ت 963هـ - 1556م)

هو ابو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الأصل الفقيه والناقد الاجتماعي نزيل الجزائر،فبعد ان استولي الجنوبيون على طرابلس سنة 916هـ/1510م،انتقل إلى مدينة الجزائر واشتغل مدرسا ومرشدا بمسجدها الأعظم و هو احد أتباع الصوفي أحمد زروق البرنسي الفاسي وقد جاء الخروبي سفيرا من طرف الأتراك لدى محمد الشيخ السعدي مرتين 959 هـ/1552 - 961هـ/1554 والتقى أثناء مقامه في المغرب بعدد من علمائه،فاخذ عنهم وأخذوا عنه واستحازه بعضهم فأجازه بسنده وقد استغل طلبه فاس هذه الزيارة فأخذوا عنه أمثال محمد بن أبي جمعه الهبطي وأبو الحسن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي⁴

15- أحمد بن عزوز الديلمي: (ت بعد 986هـ/1560م)

الفقيه العالم الحافظ الإمام المقرئ كان يحفظ مختصر ابن الحاجب الفرعي والرسالة لابن أبي زيد والتلمسانية والحساب والفرائض، يدرس ابن الحاجب والرساله والتلمسانيه بعبارة حسنة وتدقيق،اخذ

¹ - حساني مخطار، موسوعة المدن المغربية، ج4، مرجع سابق، ص 99

² - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 69 وهذا التاريخ (في نظرنا) خاطئ، أو ربما هو خطأ مطبعي والأصح هو أنه قتل سنة 955هـ/1549م وهو ما أشار إليه ابن عسكر في دوحة الناشر، المصدر السابق، ص 54، كذلك: أحمد بابا التمبكتي، في نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص 289

³ - الصالح السالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال: 1549-1664م، مرجع سابق، ص 89

⁴ - ابن عسكر، دوحة الناشر، مصدر سابق، ص 42 -زهراء النظام، العلاقات الجزائرية المغربية، مرجع سابق، ص 413 - الحفناوي، تعريف الخلف/ج2، مرجع سابق، ص 489 - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، مرجع سابق، ص 107 - يراجع كذلك بالفرنسية: bouabdalli El mahdi, le cheikh Mohamed Ben Ali Al kharoubi, revue africaine, volume 96, 3e et 4e trimestre, p p, 330- 341

عن سيدي محمد بن موسى الوجد يجي،رحل الى مدينه فاس مع فقهاء تلمسان في الهجرة الكبرى عام 1560، وكان يدرس الفقه وأصوله والفرائض، سكن البادية في أول عمره وفي آخر عمره ذهب بصره وانتقل الى الحاضرة ثم بعد ذلك الى مدينه فاس وتوفي بها¹

16- **العقباني أحمد بن محمد أبو العباس (ت 980هـ / 1572 م)**: هو سيدي أحمد بن محمد بن قاسم العقباني أبو العباس الفقيه²، من فقهاء المالكية مهتم بعدة علوم من علوم عصره، ولد بتلمسان، وبها تعلم ونشأ، انتقل إلى فاس حيث جلس للتدريس بجامعة القرويين³ كان له حصة مباركة من الفقه، قدم مع الشيخ أبي العباس أحمد العبادي، والشيخ أبي عبد الله محمد شقرون وتصدر للتدريس بالقرويين، وكان دونهما في إدراك العلوم⁴ توفي في آخر العشرة الثامنة من القرن العاشر (980هـ / 1572 م) بفاس وسلسلة سلفه، سلسلة العلم والفضل⁵

17- **أحمد بن يعقوب العبادي أبو العباس التلمساني (ت 980هـ/1572 م)**

هو أحمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي التلمساني أبو العباس، عالم كبير من فقهاء المالكية من أهل تلمسان وبها نشأ وتعلم⁶، هذا الرجل من فحول العلماء كبير الهمة غزير العلم، كريم السجية، قدم السجية، قدم على فاس عام ثمانية وستين في جملة فقهاء تلمسان لما رحلهم السلطان الغالب من تلمسان حين وقعت الفتنة بينهم وبين الأتراك واستغاثوا به فأمدهم بالأجناد ونقلهم إلى فاس، ووصله بألف مثقال ذهباً وأمر له بكساء وإقامة جلييلة، وقال لا تسووه بأحد من الفقهاء فإن همته كبيرة⁷، وقد أجاز صاحب دوحة الناشر في جميع مروياته⁸ واشتغل بالتدريس ثم رجع إلى تلمسان وتلمسان واستقر بمليانة حتى وافته المنية بها⁹.

¹ - ابن مريم، البستان، مصدر سابق، صص 282-283 - بن خروف العلاقات ... ج2، ص 149

² - الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج 2، مرجع سابق، ص 79

³ - عمار هلال، العلماء الجزائريون في فاس، مقال سابق ص 30

⁴ - ابن عسکر، الدوحة، مصدر سابق، ص 23

⁵ - ابن عسکر، المصدر نفسه، ص 23، كذلك : الحفناوي، المرجع السابق، ص 79

⁶ - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 65

⁷ - ابن عسکر، دوحة الناشر، مرجع سابق، ص 118

⁸ - أبو العباس بن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الأعلام، ج2، مصدر، سابق، ص 244

⁹ - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 65

18- ابن جلال الوعزاني المغراوي التلمساني محمد بن عبد الرحمان (908هـ- 1502

م/981 هـ -1573م) وهو الشيخ الفقيه الخطيب المدرّس المفتي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان ابن جلال التلمساني¹ كان مولده سنة 908هـ / ثمان وتسعمائة² كان إماما في علم الكلام، قدم على فاس في صدر أيام السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف فقلده الفتوى بمدينة فاس وتولى التدريس، وكان يخطب بجامع الأندلس، ثم صار يؤم ويخطب بجامع القرويين³. وقد كان ابن جلال الوعزاني عارفا بالمنطق والعقائد والبيان، وقد أخذ عن محمد بن موسى فقيه تلمسان وعن جماعة من أصحاب محمد بن يوسف السنوسي، وأحمد بن يوسف الملياني⁴ تكوينه هذا جعل الكثيرين يصفونه بأنه (إمام الأئمة وحبيرا من أخبار الأمة، فقد تضيع من أفانين العلوم، وشرب من صفو رحيقها المختوم، فتنافس الناس في علومه والاقْتباس من مفهومه⁵، توفي سنة واحد وثمانين وتسعمائة (وطالت أيام رياسته العلمية بفاس حتى أسن وأثقله الهرم وانتفع الناس به)⁶

19- علي بن يحيى السلماني التلمساني (ت: 980هـ/ 1573)

وهو من علماء تلمسان تتلمذ على يد سعيد المقرئ ورحل الى فاس ومن ابرز تلاميذه احمد بن علي السوس⁷

¹ - ابن عسكر، دوحة الناشر مصدر، سابق ص 123

² - ابن مريم، البستان، مصدر سابق ص، 279

³ - ابن عسكر، دوحة الناشر، مصدر سابق ص 123، نلاحظ من خلال مهامه الثلاث التدريس والخطابة والفتوى مكانة هذا العالم الجليل بفاس وهذه المكانة لا يحض بها إلا من كان واسع العلم ومشهود له بذلك .

⁴ - أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الإقتباس في ذكر من جل من الأعلام بمدينة فاس، مصدر، سابق صص 325-324

⁵ - أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مرجع سابق، ص 409-410

يراجع-سعاد لبصير، هجرة ونفي أهل العلم و الدين من الجزائر في العهد العثماني (1516 - 1830)، رسالة ماجستير إشراف كمال فيلاي، جامعة منتوري، قسنطينة 2007، ص 203-بوشناني محمد، هجرة العلماء الجزائريين الى المغرب وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني(1520-1830)مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع الجزائري، عدد 04، ديسمبر، 2009م، ص 101

⁶ - عادل نويهض، أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص، 77 - 78

⁷ - الصالح السالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال: 1549-1664م، مرجع سابق، ص 90

20- محمد شقرون الوجديجي بن هبة الله التجيني التلمساني (ت 983هـ / 1575م): هو الشيخ الفقيه الفهامة العالم العلم العلامة، شيخ الفتيا وإمامها الأكبر أبو عبد الله محمد بن هبة الله المعروف بالسيد شقرون بن هبة الله¹، ووصفه أحمد المنجور بقوله (الفقيه الموحد المشارك المفتي الخطيب استفدت منه في العقائد والفقه والحديث والأدب وغير ذلك، وقال لي بأنه ولد سنة ثمان وتسعمائة² استوطن فاسا بعد أن قدم إليها من تلمسان سنة سبع وستين وتسعمائة (967هـ/1559م) فعظمه سلطان المغرب يومئذ (الغالب بالله) وولاه الفتوى بحضرة مراكش وسائر أقطار المغرب، وكان يحضر مجلسه أعيان الفقهاء والسلطان بنفسه واتفق الناس بعلمه³، وبسبب تمكنه من مذهب الإمام مالك فقد عرف بمالك الصغير⁴، له شرح على رجز أبي إسحاق التلمساني في الفرائض وكان فقيها نوازيلا يقوم على ابن الحاجب أتم قيام، وكان عارفا بالأصليين والبيان والمنطق⁵، توفي آخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، عن خمس وسبعين سنة رحمه الله⁶

21- أبو الطيب البسكري (ت: بعد 987هـ / 1579 م)

العالم الشهير مفتي الجزائر وخطيب جامع الأعظم، من العلماء الجزائريين الموالين لأتراك الجزائر وكانوا يجتارونه للقيام بمهمة دبلوماسية، لدي السعديين قدم إلي المغرب مرتين الأولى سنة 978 هـ / 1571 م، حيث كلف من قبل أتراك الجزائر بتوصية من السلطان العثماني سليم الثاني بالتوسط مع جماعة من الصوفية وعلماء الجزائر في الصلح بين عبد الملك المعتصم وأخيه عبد الله الغالب ثم قدم إليه مرة ثانية في جمادى الأولى 987هـ / 1579م على رأس وفد الجزائري للتهنئة المنصور السعدي بالانتصار في معركة وادي المخازن وبتوليته حكم المغرب⁷

¹ - ابن عسکر ، دوحة الناشر ، مصدر سابق ، ص 117

² - أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور ، تحقيق محمد حجي ، مصدر سابق، ص، 78

³ - محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس، مرجع سابق ج 3 ، ص، 357

⁴ - عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مرجع سابق، ص 188. يراجع كذلك، بوشنافي محمد هجرة العلماء

الجزائريين إلى المغرب الأقصى وبلدان المشرق العربي ، مقال سابق، ص 102

⁵ - أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس، مصدر سابق ، ص 325

⁶ - ابن مريم، البستان، مصدر سابق، ص 279

⁷ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص

22- محمد الحاج بن أحمد المري التلمساني (ت: 989هـ / 1581 م) هو محمد المدعو

الحاج بن أحمد بن محمد بن علي بن عبد الرحمان بن مسعود بن عبيد الله بن محمد الشريف التلمساني¹ ولد ونشأ بتلمسان، كان فقيها عالما بمختلف العلوم، عرف عنه شدة التدين والزهد والصلاح، دخل فاس مع جملة الفقهاء الذين رافقوا الحملة السعدية على غرار أحمد العبادي التلمساني، الذي كان رفيقه في الرحلة في، فأحسن استقباله ومقامه إذ ولي الخطابة في الجامع ومنح له بيتا جميلا للإقامة²، ظل محمد بن الحاج بن احمد بن الشريف التلمساني في فاس خمس سنوات ثم رحل الى مراكش قصد التزود بالعلم، فدرّس بها الى أن توفي سنة 989هـ³

23- عبد الرحمن الزواوي (995 هـ / 1588)

يلقب بأبي زيد، من علماء زواوه ارتحل مع اليستيني⁴ الى قسنطينة للأخذ من عالمها حسن الوزان وقد وقد سكن فاس ودرس بها ومن ابرز تلاميذه عبد الرحمان بن علي سقين⁵

24- محمد بن أحمد التلمساني (ابن الوقاد التلمساني (ت : 1001هـ / 1592 م)

هو الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني ويعرف بابن الوقاد¹ وهو تلميذ ابن هبة الله شقرون²، كان أديبا وفقهيا وعارفا بالتفسير والحديث، ولد وتعلم بتلمسان³، هاجر إلى المغرب

¹ - السملالي ، الإعلام بمن حل بمراكش و أغمات من الأعلام ، ج5 ، مصدر سابق ، ص ، 217
² - سعاد لبصير، هجرة و نفي أهل العلم والدين من الجزائر في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 239.
نقلا عن :

أبو العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام لمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج5، ص 357
³ - كمال فيلالي، هجرة علماء غريس وتلمسان الى فاس في العهد العثماني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ ، عدد خاص، أبريل 2008 ، ص 376

⁴ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمان اليستيني الفاسي الفقيه المتكلم النظار، نشأ حريصا على طلب العلم مجتهدا فيه ،أخذ عن أهل تلمسان وقسنطينة وتونس ومصر ومكة، فكثر تحصيله، ثم رجع إلى فاس فتولى الفتوى، وكان زاهدا ورعا متفانيا في النصح والإرشاد وقد ألف عدة تأليف منها، رسالة في تصحيح قبلة فاس، توفي سنة 959هـ/1551م. يراجع: عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، مرجع سابق، ص 250

⁵ - أحمد المنجور، فهرس احمد المنجور، مصدر سابق، صص 60-61-62 - الصالح السالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال: 1549-1664م، مرجع سابق، ص92/93

المغرب رفقة السلطان السعدي الذي فشل في حملته ضد العثمانيين في تلمسان وكان ذلك سنة 968هـ/1560م⁴ حلّ بتارودانت وولي به قضاء الجماعة حوالي ستة أشهر ثم استعفى لكونه لا يعرف البربرية التي هي لسان أهلها، ظل يتنقل بين فاس ومكناسه ثم عاد إلى تارودانت فتولى الفتوى والخطابة، وهو أول من أقرأ البخاري قراءة ضبط وإتقان ومن شعره في تحبيب كتاب البخاري وضرورة قراءته قوله :

كتاب البخاري واضب على قراءته واروه في الشدائد

فهو الجرب تريقه لدفع سموم الأفاعي الأسود⁵

وكان زاهدا في الدنيا و يحذر من مخالطة الملوك والاقتراب منهم قائلا :

كل التراب و لا تعمل لهم عملا فالشر أجمعه في ذلك العمل⁶

توفي سنة إحدى وألف (1001هـ) بمدينة تارودانت وخلفه ولده الخطيب أبو زيد عبد الرحمان في علمه وهديه المتقدم⁷

25- ابو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت: 999هـ/ 1594 م)

الفقيه المعقولي الخطيب، له كتاب في مجلدين "الرد على الطائفة الاندلسية" التي نحت نحو المذهب الظاهري، وقد أجاد فيه كل الإجادة وناضل فيه عن السنة السمحة وهو رجل زاهد ورع، محافظ على

¹ - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلق برجال السلف، ج2، مرجع سابق، ص 348

² - إبراهيم حركات، الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب، مجلة الأصالة، العدد 25 جويلية - أوت 1975، ص 190

³ - عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين 9 - 20 م / 3 - 14 هـ، مرجع سابق، ص 120

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج 1، مرجع سابق، ص 425

⁵ - سعاد لبصير، هجرة ونفي أهل العلم والدين، مرجع سابق، ص 241

⁶ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 425

⁷ - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مرجع سابق ص 349. وللتعرف على شخصية ابنه أبو زيد عبد الرحمان، يراجع: نفس المرجع، صص 198 - 199

دينه¹. اخذ عن أبي العباس احمد المنجور وله رحله الى المشرق أدى فيها فريضة الحج والتقي هناك جماعه من العلماء أخذ عنهم كالتاجوري وأبي الحسن البكري الصديقي وغيرهم²

26- احمد بن يوسف الزياتي (ت: 1003 هـ/1594م)

ينسب الى بني عبد الواد ملوك تلمسان اشتهر بعلمه وصلاحه وكانت له مشاركات في عده علوم وبيع في النحو والفقه، تلقى تعليمه بفاس وتخرج بها على يد جلة من علمائها، ثم انتقل الى تطوان حيث اشتغل مدرسا وخطيبا وكان عالمها الأول بلا منازع إلى أن توفي³

27- ابو محمد عبد العزيز بن علي المغراوي (ت: 1014 هـ/ 1605 م)

أصله من مغراوة بتلمسان رحل الى فاس واصبح قاضي الجماعة بهاء كان فقيها ومدرسا وبرز من اخذ عنه احمد المنجور⁴

28- ابو عبد الله بن أحمد الوهراني (ت: 1017 1608م)

تقلد القضاء وكان قاضي الجماعة بالقرويين⁵

29- محمد بن أحمد التلمساني (ت: 1018 هـ/ 1609 م)

هو الإمام الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد المري الشريف التلمساني⁶، خرج إلى فاس مع جملة الفقهاء وعلماء تلمسان الذين رجعوا إليها مع الحملة السعدية، فلما حل بفاس أحسن استقباله

¹ - ابن القاضي، درة الحجال، ج3، مصدر سابق، ص288

² - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م مرجع سابق، ص

416 - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن

10هـ/16م، ج2، مرجع سابق، ص151

³ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م مرجع سابق، ص

417 - الصالح السالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال: 1549-1664م، مرجع سابق، ص

108

⁴ - الصالح السالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال: 1549-1664م، مرجع سابق، ص93

⁵ - عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري

والفكري، ج2، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، ط2، الرباط، المغرب، 2000م، ص516

⁶ - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مرجع سابق ص352

(فأحسن مقامه واستقبله لحسن علمه وفصاحة لسانه)¹، كان فقيها صالحا يقوم على الرسالة بنقل سائر شراحها وولي الفتوى بالقرويين²، عرف بالتفاف الناس من حوله وإيمانهم بتصرفاته، إذ طلب الناس منه يخرج للاستسقاء فأخذ جميع ما عنده من الزرع وفرقه على المساكين وقال: الآن أخرج للاستسقاء حين صرت من جملة الفقراء، فخرج فلما كان قريبا من باب الفتوح أحد أبواب فاس والناس معه قال لهم: انتظروني حتى أرجع إليكم فلما رجع سئل عن الخبر فقال تفقدت خميرة العجين لم أفرقها فرجعت لذلك³، توفي عام ثمانية عشر وألف 1018هـ⁴

30- ابو عثمان سعيد بن احمد المقرئ (ت: 1020 هـ / 1611 م)

ينتمي الى أسرته المقرئ العلمية المشهورة بتلمسان، ظهر منها ابو عبد الله محمد المقرئ وابو العباس احمد المقرئ، اخذ العلم في تلمسان على مجموعة من العلماء منهم محمد بن عبد الرحمان الوعزاني وعمر الراشدي، وشقرون بن هبة الله، رحل إلى مدينه فاس للتزود بمختلف العلوم عن شيوخ أمثال عبد الواحد الونشريسي ومحمد بن عبد الوهاب الزقاق وتلمذ على يديه مجموعة من العلماء أبرزهم ابن أخيه العلامة احمد المقرئ⁵

31- ابو عبد الله محمد بن مريم المديوني التلمساني (ت: 1020 هـ / 1612 م) ولد ونشأ ودرس بتلمسان على خيرة علمائها، وكان فقيها ومؤرخا وهو صاحب كتاب " البستان في ذكر الأولياء

¹ - سعاد لبصير، هجرة ونفي أهل العلم والدين، مرجع سابق ص 243.

² - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف ج2، مرجع سابق، ص 352

³ - العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكز وأعمات من الأعلام، ج4، مصدر سابق، ص 254

⁴ - أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف ج2، مرجع سابق، ص 352

⁵ - الافرائي محمد بن الحاج بن محمد بن عبد الله الصغير، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، مصدر سابق، صص 101-102، - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، رسائل المقرئ، دراسة وتحقيق، أسماء القاسمي الحسني، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2011م، صص 102-103 - الصالح السالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال: 1549-1664م، مرجع سابق، ص 94 .

والعلماء بتلمسان" وقد رحل الى المغرب الأقصى وبالضبط مدينه مكناسة أين اخذ عن الشيخ عبد السلام¹

32- ابو سرحان مسعود بن محمد الشراط (1031 هـ / 1621)

أصله من قبائل زناته قرب تلمسان، كان يقطن حارة مغراوه بفاس، له كرامات كثيره حتى أصبح مزارا في حياته ومماته توفي سنه 1621 ودفن بفاس²

33- المقري أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس (ت: 1041 هـ / 1631 م)

جاء في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الثاني للأستاذ المرحوم سعد الله حول شخصية أحمد المقري قوله ،لوحاولنا أن نترجم للمقري ترجمة تقليدية،لضاق عنه مجال هذا الكتاب³،ذلك أن علمه غزير وحياته خصبة بالعطاء والتأليف وما كتب عنه سواء في الجزائر أو المغرب أو في المشرق لا يعدّ ولا يحصى،فهو الإمام الحبر،البحر العلامة،ذو الفنون،أبو العباس التلمساني المالكي⁴،ولد بتلمسان⁵ ونشأ بها وحفظ القرآن ومنها انتقل إلى فاس سنة 1009 هـ / 1600م فأخذ عن شيوخها ثم انتقل إلى مراكش فاستدعاه الخليفة المنصور السعدي وقربه إليه وأكرمه⁶،له العديد من المؤلفات التاريخية

¹ - محمد بن مريم،البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،مصدر سابق،صص 118-119-120 أبو القاسم الحفناوي،تعريف الخلف برجال السلف، مصدر سابق2012م،صص 640-652 - الصالح

السالم،التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال:1549-1664م، مرجع سابق،صص 106-107

² - الصالح السالم،التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال:1549-1664م، مرجع سابق،صص 94

³ - سعد الله أبو القاسم،تاريخ الجزائر الثقافي،ج2، مرجع سابق،صص 212

⁴ - عبد الحق حميش ومحفوظ بو كراع بن ساعد،موسوعة تراجم علماء الجزائر،علماء تلمسان وتوات،طبعة خاصة دار زمورة للنشر والتوزيع،الجزائر،2011م، ص 247

⁵ - معظم من كتب عن المقري،يرى بأنه ولد بتلمسان،لكن مراجع و دراسات أخرى تقول بأنه و لد بمقرة -التي تقع بين مدينتي المسيلة وبريكة، في منطقة الزاب وبالجنوب الجزائري يراجع :

أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني،معجم مشاهير المغاربة،جامعة الجزائر،1995، صص 507-؛-

أسماءالقاسمي الحسني،رسائل المقري،دراسة وتحقيق،مرجع سابق صص 96 - 97

⁶ - عمار هلال، العلماء الجزائريون بفاس،مقال سابق، صص 33

والأدبية والدينية¹، تعرض لفتنة² بالمغرب الأقصى فهاجر على إثرها إلى المشرق العربي، مصر ثم مكة التي أدى بها فريضة الحج، وكان ينتقل ما بين مصر ومكة وبيت المقدس ودمشق إذ كان يلقي الدروس الدينية والتاريخية وعندئذ ألف كتابه الشهير (بمصر) الذي سمّاه في البداية عرف الطيب بالتعريف بالوزير ابن الخطيب³، ثم عدل عن هذه الشخصية إلى تسمية أخرى هي "نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"⁴ وقد بلغت مؤلفات المقرئ ثمانية وعشرين تأليفا في سنة 1037هـ / 1628م⁵، توفي بمصر في جمادى الآخرة 1041هـ / 1631م فدفن في قرافة المجاورين قرب جامع الأزهر⁶

34- احمد بن محمد بن عبد الرحمان بن جلال (ت 1045 هـ / 1635 م)

وهو شقيق محمد المرابط ومما عرف عنه انه كان فقيها وخطيبا⁷

35- أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلالي (ت: 1018هـ/1609م)

من أعلام فاس وكان أحد كتاب الانشاء لدى محمد الشيخ المامون ولي عهد المنصور بفاس، برز في علم البيان، وكان قاضيا ومفتيا بمدينة فاس، وكانت له خزانة قديمة من الكتب حسب روايه المقرئ، التقاه المقرئ وحضر دروسه في مختصر خليل ووصفه بأنه آية من آيات الله في السير، فكان يحفظ "اكتفاء الكلاعي" عن ظهر قلب، حتى لا يند عليه منه شيء، وقال عنه كذلك: وأول يوم دخلت

¹ - عن هذه المؤلفات يراجع: أسماء القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص، 199- 200 - 201 - 202-

203 - 204 - 205 - 206 - 207 - 208 - 209 . 2010 م - أبو القاسم الحفناوي، تعريف

الخلف برجال السلف، ج1، ص 541

² - تفاصيل الفتنة يراجع: عبد الحق حميش، محفوظ بو كراع بن سعد، موسوعة تراجم....، مرجع سابق ص 248

- 249

³ - أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، مرجع سابق، صص 508- 509

⁴ - أسماء القاسمي، رسائل المقرئ، مرجع سابق، ص 200

⁵ - أسماء القاسمي، نفس المرجع، ص 210

⁶ - أبو عمران الشيخ و ناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، مرجع سابق، ص 509

⁷ - الصالح السالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال: 1549-1664م، مرجع سابق، ص91

فاسا-حاطها الله- رابع صفر من عام تسعة وألف، حضرت مجلس صاحب الترجمة في مختصر خليل وبخلقته جمع وافر من نجباء الفقهاء¹

36- عبد العزيز ابن الحسن الزياتي (ت: 1055هـ/1645م)

من أسرة بني عبد الواد الزيانية التلمسانية، درس بفاس وتطوان ومراكش، كانت له ثقافة واسعة، شملت عددا من المعارف، ونال نصيبا كبيرا في علم القراءات، وأقام في تطوان حيث اشتغل بالتدريس والتأليف²

37- ابو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة(ت:1066هـ/ 1656م) بعدما رحل الى مدينة

سجلماسة سنة 1012هـ، توجه الى مدينه فاس ليتابع دراسته بمسجد القرويين وقد مكث بالمغرب حوالي سبع سنوات ثم عاد الى الجزائر أين تقلد مناصب الإفتاء والامامة والخطابة الى غاية وفاته³

38- أبو زكريا يحيى بن عاشور (ق 16/10م)

حظّ رحاله بمراكش فاخذ عنه الكثير من طلبة وعلماء، مراكش ومنهم محمد بن محمد ابن عطية الفاسي الذي كان يعتبره عمدته في التوحيد⁴.

خامسا: نتائج انتقال العلماء الجزائريين الى المغرب الأقصى:

أ _ نتائج هجرة العلماء على الجزائر :

لاشك أن ظروف المرحلة(نهاية القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر الميلادي)في شقها السياسي، أثرت تأثيرا كبيرا على ذلك الحراك الذي شهدته المغرب الأوسط -خاصة فئة العلماء- وجعلتهم ينتقلون فرادى وجماعات الى المغرب الأقصى، ومن أبرز مميزات تلك المرحلة "سياسيا" هو معاملة الأتراك والحروب الداخلية التي عرفتها الدولة الزيانية في أواخر أيامها وعلاقتها بالإسبان في

¹ - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تح، محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية(د-ت) صص 336-337 - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، رسائل المقرئ، مصدر سابق، ص 104

² - محمد حجي الحركة الفكرية، ج2، مرجع سابق، ص 421 - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية، مرجع سابق، ص 418

³ - الصالح السالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال: 1549-1664م، مرجع سابق، ص 97

⁴ - نفسه، ص 101، نقلا عن سلوة الأنفاس ج1، ص 422

وهران وضغط السعديين عليها من الغرب والعثمانيين من الشرق كل هذه العوامل وغيرها، قد جعلت العلماء لا يشعرون بالراحة ولا بالجو الملائم والاجتهاد في الرأي والحياد السياسي، فما كان من العديد منهم إلا أن حمل أمتعته وأهله وترك البلاد جملة حتى يهدأ غبار الفتن والمعارك¹ وهذه الظروف الحرجة المليئة بالاضطرابات لم تكن لتشجع العلماء الجزائريين (خاصة علماء تلمسان) على البقاء في وطنهم لأن من طبيعة العالم هو البحث عن جو يسوده الهدوء والاستقرار لأداء رسالته العلمية على أحسن وجه²، ولعل من بين الأسباب الأخرى التي دفعت بهؤلاء العلماء إلى الهجرة هو ذلك الجمود الفكري الذي عرفه المغرب الأوسط لأن العثمانيين ركزوا اهتمامهم على الجهاد البحري منذ مجيئهم إلى الجزائر مع مطلع القرن 10هـ / 16م، وذلك لصد هجمات (الأوربيين الكفار) المتتالية على السواحل الجزائرية هذا من جهة، ومن جهة أخرى هو أن الأتراك كانوا أعاجم لا يتقنون لغة أهل البلد وهو ما جعلهم لا يولون الثقافة الاهتمام الذي تستحقه³، ويضيف الباحث أبو القاسم سعد الله عن الأتراك (حكام الجزائر آنذاك) أنهم في معظم الأحيان جهلة لا يعرفون حتى القراءة والكتابة، كما كانوا مغامرين لا فائدة لهم من الحكم إلا جمع المال والتسلط⁴.

ومن جهته يضيف الباحث عمار بن خروف "أن من يبحث في نشاط الحياة الثقافية في المغرب طوال القرن 10هـ / 16م، يجد أنه كان قائما في جزء كبير منه على جهود عديدة من العلماء الجزائريين (خاصة علماء تلمسان) الذين استوطنوا المغرب إذ كانت المراكز الثقافية فيه - خاصة فاس -

¹ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق ص 424

² - أرزقي شويتام، العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية (الفترة العثمانية)، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، العدد، 13، 2011، ص 85

³ - بوشناني محمد، هجرة العلماء الجزائريين، مرجع سابق، ص 99

⁴ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 14 . إن من يقرأ كلام سعد الله هذا يقول بأنه قد نظر نظرة قائمة السواد إلى التواجد العثماني بالجزائر ولكي نكون موضوعيين في عملنا ندرج ما ذكره الأستاذ سعد الله من إيجابيات للتواجد العثماني بالجزائر بقوله : أما الجانب المضيء (فهو أن العثمانيين أنقذوا بتدخلهم المغرب الإسلامي من الاحتلال الأجنبي المؤكد و كانوا غزاة مجاهدين ... و كانوا شوكة في حلق العدو و قذى في عينه وصخرة تحطمت عليها كل محاولات الغزو الخارجي، المرجع نفسه، ص 15

لا تخلوا من أحد منهم"¹، وهو ما يجعلنا نستنتج شيئا أساسيا هو تدهور الحياة الثقافية بتلمسان بسبب مغادرة هؤلاء العلماء لها، ولأن معظم العلماء والطلبة الذين هاجروا إلى فاس آثروا الاستقرار فيها بصفة نهائية فإن هجرتهم تلك كانت تترك فراغا كبيرا في المراكز التي هاجروا منها مثل تلمسان التي هاجرت منها مجموعة كبيرة، فضعف نشاطها الثقافي² إنه ومن خلال بحثنا في العديد من كتب التراجم المعاصرة لتلك الفترة، عن تلك الشخصيات العلمية التي هاجرت من تلمسان إلى المغرب في الفترة موضوع البحث ومنها على سبيل المثال لالحصر "كتاب الدوحة"، و"كتاب الإعلام"، و"جدوة الاقتباس" كانت تصف أولئك العلماء بأوصاف منها، العالم العلامة، الشيخ الفقيه، الإمام العالم المحقق صاحب العلم الصحيح واللسان الفصيح ... إلى غير ذلك من الألقاب التي لم يوصفوا بها من قبيل المدح أو الإطراء (بل نالوها عن جدارة واستحقاق بسبب شهرتهم العلمية الذائعة الصيت التي تجاوزت الآفاق، وأثبتوا مكانتهم حتى بين أقرانهم علماء المغرب الأقصى³، حتى أن بعضهم قد وجد منافسة شديدة (إن لم تكن حسدا) من طرف فقهاء فاس⁴. وعندئذ يمكننا القول بأن كل عالم من هؤلاء العلماء كان بمثابة خزانة علم، ودائرة معارف، فقدت البلاد بهجرتهم ركنا أساسيا من أركان الحياة العلمية⁵.

¹ -عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، ج2، مرجع سابق، صص 131 - 132

² -مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 116
³ -نفسه، صص، 116-117

⁴ - تراجع ترجمة هؤلاء العلماء في الفصل الرابع خاصة العالم الفقيه، أحمد بن محمد العبادي

⁵ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 424 . يشير سعد الله بقوله هذا إلى هجرة أحمد الونشريسي، (صاحب المعيار) ونحن نعتقد جازمين أن هذا الوصف ينطبق على كل العلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى في الفترة - موضوع البحث - فخسرت البلاد على إثرها موردا هاما من موارد الثقافة الجزائرية ، فلو استقرت الأوضاع في الجزائر آنذاك ، ولو اهتم الأتراك بالناحية الثقافية ، وعاملوا الفئة المثقفة و على رأسهم العلماء معاملة حسنة تليق بمقامهم و بعلمهم و بنوا جامعة أو جامعات ، كجامعة القرويين مثلا في تلمسان ، ألم يكن ليتغير الوضع ؟ و تصح بذلك تلمسان رائدة في المجال العلمي - الديني بالدرجة الأولى - وتشد إليها الرحال كما كانت تشد إلى جامعة القرويين والقيروان .

ب - نتائج هجرة العلماء على المغرب الأقصى إنه ومن خلال ما سبق ذكره حتى وإن بدت لنا هجرة وانتقال هذا العدد المتميز من العلماء الى المغرب الأقصى في فترات زمنية متباينة، مسألة عادية فإن هذا الانتقال قد ترك فراغاً ساهمت فيه السياسة العثمانية في الجزائر بشكل مباشر، وبالمقابل فإن هذا الانتقال كان نعمة على المغرب الأقصى، بما ساهم به هؤلاء العلماء - ذوي السمات الفاضلة، والحاملين لمختلف العلوم الدينية - بحظ وافر في تطور وازدهار الثقافة بالمغرب الأقصى عموم، وبجامع القرويين بفاس خصوصاً، طيلة فترة القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، وربما كانت اللبنة التي وضعها هؤلاء العلماء نبراساً تتهدي به الأجيال اللاحقة، ليس في المغرب الأقصى فقط، بل في العالم الإسلامي كذلك، لأن ثقافة هؤلاء العلماء هي بالدرجة الأولى ثقافة دينية إسلامية بحتة¹. وإذا كانت الهجرة من تلمسان إلى فاس وبالا على ثقافة المغرب الأوسط وتدني مستواها، فإنه بالمقابل كانت خيراً وبركة على المغرب الأقصى، لأسباب قد تبدوا للوهلة الأولى سياسية إذ يتمثل ظاهرها (حسب رأينا) في إعجاب سلاطين المغرب الأقصى (وطاسيين وسعديين) بالعلماء، بينما يتمثل باطنها في كسب هؤلاء السلاطين مؤيدين لهم، خاصة من تلمسان (التي كانت تعتبر جزءاً من المغرب الأقصى منذ العهد المريني)² إذ رحّب السلطان محمد الشيخ السعدي بوفادة محمد بن عبد الرحمان بن جلال التلمساني فقلّده الفتوى والإمامة والتدريس بجامع الأندلس ثم بجامع القرويين بفاس³، كما رحّب السلطان عبد الله السعدي ببناء علماء تلمسان الذين استغاثوا به في أعقاب فتنة 968هـ/1560م ونقلهم إلى فاس، وأمر للعالم أحمد بن أحمد العبادي بألف مثقال ذهباً وبكساء وإقامة جليلة، وقال لأعوانه لا تسووه بأحد من الفقهاء فإن همته كبيرة⁴.

إن عناية الملوك الشرفاء بهؤلاء العلماء (ليس من تلمسان فقط) بل كذلك من تونس والأندلس ساهم كثيراً في تنشيط الحركة الثقافية بالمغرب، إذ أن (البلاط المغربي) وظّف العلماء الجزائريين لصالحه كما

¹ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال

القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 119

² - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، ج 2، مرجع سابق، ص 122

³ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان إلى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 117

⁴ - ابن عسكراً، الدوحة، مصدر سابق، ص 119

حدث في عهد الدولة السعدية حيث استفاد المغرب من هؤلاء العلماء في ازدهار الدراسات الإسلامية بمراكزه الحضارية مثل فاس¹، وقد ساهم العلماء الجزائريون في نشر العلم والمعرفة في المجتمع المغربي، وعملوا على تقوية روابط المودة بين الشعبين، "فقد كانت العلاقات الثقافية بمثابة جسور متينة تربط بين الشعبين بواسطة علماء البلدين"².

وبحديثنا عن نتائج هجرة علماء تلمسان إلى المغرب لا بد لنا أن نعطي نتائج ملموسة عن آثار هذه الهجرة، وعن أمثلة ذلك ما قام به الشيخ العلامة محمد بن أحمد التلمساني المعروف بابن الوقاد (إذ كان فضله كبيراً في تحبيب اللغة العربية لأهل تارودانت البربرية التي كان قد قصدتها بعد هجرته من تلمسان سنة 968هـ/1561م، ونشرها العلوم الدينية والعلوم اللغوية المختلفة من حديث وتفسير وفقه وقواعد اللغة، "فتخرج بذلك على يده خلق كثير"³.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن علماء المغرب الأوسط الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى لم تكن وجهتهم فقط مدينة فاس بل هناك من قصد فاس ثم توجه إلى مدن مغربية أخرى ومن أمثلة ذلك مدينة مراكش التي ذاع صيتها، خاصة في النصف الثاني من القرن 10هـ/16م، بعدما أصبحت مقراً لخلافة السعديين فقصدتها بعض علماء تلمسان، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، محمد بن هبة الله المعروف بشقرون والذي سبقت الإشارة إليه (فانتفع الناس بعلومه الغزيرة وكثر الآخذون عنه من الملوك والأمراء السعديين و العلماء ومن بينهم السلطان الغالب بالله، والسلطان أحمد المنصور، والعالم ابن القاضي، والعالم والمؤرخ ابن عسكر، والعالم أحمد المنجور، وكانوا يحضرون دروسه الشائعة في الفقه

¹ - حساني مختار، موسوعة المدن الجزائرية، مدن المغرب، ج4، مرجع سابق، ص 226

² - أرزقي شويتام، العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية (الفترة العثمانية)، مرجع سابق، صص 86 - 87
وهنا لا بد من الإشارة إلى أن انتقال العلماء لم يكن من جانب واحد فقط، أي من الجزائر إلى المغرب الأقصى، بل كذلك انتقل مجموعة من العلماء المغاربة إلى الجزائر - في الفترة موضوع البحث - نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد التواتي وأحمد الفاسي ومحمد الفاسي، وعلي بن عبد الواحد السجلماسي، الذين استقروا في الجزائر أو في قسنطينة أو في تلمسان، وتصدروا للتدريس فيها لمزيد من التفاصيل يراجع: عمار بن خروف العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ج2، مرجع سابق، ص 120 وما بعدها

³ - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، ج2، مرجع سابق، ص

والمنطق والتفسير والبلاغة والفرائض والحساب¹، وهذه العلوم التي كان يدرسها تدل دلالة قطعية على أنه كان بالفعل مكتبة متنقلة ذات مخزون علمي وفير أثرى به الحياة الثقافية أيما إثراء بالمغرب الأقصى خاصة مدينة مراكش

وعلى امتداد فترات تاريخية كبيرة، فقد كانت العلاقات بين البلدين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى مقصورة على المستوى الشعبي ولا دخل للدوائر الرسمية فيها فهي كانت تتميز بالعفوية التلقائية، والملفت فيها للانتباه أن هناك تكاملا بين علماء البلدين فكانوا يشكلون بحق مدرسة واحدة وهي النتيجة التي توصل اليها الباحث أرزقي شويتام بقوله: "فالتلميذ في الجزائر أصبح أستاذا في الحواضر المغربية، والأستاذ في المغرب أصبح تلميذا بالجزائر والعكس صحيح، وهذا يدل على تواضع علماء المغرب عامة"²

إنه ومن خلال استعراضنا لهذه الوضعية الثقافية التي ميّزت البلدين، خلال هذه الفترة الزمنية، نستنتج أن مسألة التأثير والتأثر بين ثقافة البلدين والشعبين الجزائري والمغربي لم تكن وليدة القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي، بل تمتد جذورها إلى فترات زمنية قديمة، وقد كان طلبة العلم هم وسيلة الاتصال بالدرجة الأولى، لم تمنعهم الاضطرابات السياسية الحاصلة في هذا البلد أو ذاك من التواصل مع بعضهم البعض

ومن خلال هذا العرض المبسط لأبرز العلماء الجزائريين الذين حطوا الرحال بالمغرب الأقصى خلال القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي فإننا نستنتج مايلي:

- أن هذا العدد الضخم من العلماء يمثل -خزائن ومكتبات علمية متنقلة- استفاد منها المغرب الأقصى استفادة كبيرة
- أن ثمة عدد هائل من العلماء استقطبتهم المدن المغربية بسبب الارتباط التاريخي للمغرب الجزائري مع المغرب الأقصى من جهة، وبسبب الظروف السياسية التي مرّ بها المغرب الأوسط والمغرب الأقصى آنذاك من جهة ثانية .

¹ - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب، ج2، مرجع سابق، ص 153

² - أرزقي شويتام، العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية (الفترة العثمانية)، مقال سابق، ص 93

- أن المدن المغربية الأكثر استقطابا للعلماء الجزائريين هي فاس (أكثر من 26 عالما) حتى قيل عنها "أمدها العربي بنبله، والبربري بصلابته، وضموده، والأندلسي برفقه، والقيرواني بحذقه ومهارته، واليهودي بحيلته وتجارته"¹. بالإضافة الى مراكش، وسجلماسة، وتارودانت، ومكناسة وتطوان وغيرهم
- أن ثمة أسر علمية بأكملها قد حطت الرحال بالمغرب الأقصى أمثال عائلة ابن الوقاد، وعائلة ابن جلال وعائلة المري..... الخ
- تعطش طلبة وعلماء المغرب الأقصى للإستفادة من العلماء الجزائريين سواء الذين استقروا بالمغرب الأقصى أو أولئك الذين كانوا يزورون المغرب الأقصى في مهمات دبلوماسية أمثال (الخروبي، والبسكري)
- أن العلماء الجزائريين الوافدين على المغرب الأقصى قد استقبلوا استقبالا متميزا (خاصة أثناء هجرة سنة 1560م) وطاب لهم المقام هناك، وفرضوا أنفسهم ليس من باب العطف عليهم من قبل المغاربة (سلطة وشعبا) بل بمميزاتهم ومكتسباتهم العلمية، ولا أدل على ذلك من تولي العديد منهم خطط، الإفتاء، والخطابة والقضاء والتدريس.... الخ
- أن غالبية الوافدين الجزائريين على المغرب الأقصى آنذاك هم من الغرب الجزائري خاصة تلمسان على وجه التحديد بسبب الماضي التاريخي للمنطقة منذ عهد الموحدين والمرابطين
- أهمية الحواضر العلمية المغربية في استقطاب العلماء الجزائريين، وعلى رأس هذه الحواضر مدينة فاس التي وصفها أحد علماء الفترة اللاحقة أبو راس الجزائري بقوله: "...ورحلت الى مدينة فاس محل العلم والايناس، والتقريب والتباعد لأناس، وهي قبة الاسلام والسلم والاستلام، المقام الأعلى والمثابة الفضلى، فهي أم قرى المغرب الوافرة، وخزائن المزائر والشهرة الساحرة، والأنباء المسافرة، ذات الأرجاء الدانية... ينبع العلم من صدور أهل العرفان، كنبع مائها من الجدران، حفظا وأذكارا"²

¹- عبد الهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، ج2، مرجع سابق، ص 369

²- محمد أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته بالتحدث بفضل ربي ونعمته، تح، محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر، 1986م، ص 101

الفصل الخامس: دور العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى في الحياة الثقافية خلال ق10هـ/16م

- أولاً: جذور التواصل الثقافي بين المغربين الأوسط والأقصى
ثانياً: عوامل التجاذب بين سكان المغرب الأوسط والمغرب الأقصى
ثالثاً: الحركة العلمية بالمغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م
رابعاً: التأليف في العهد السعودي
خامساً: المنتجات العلمية لعلماء الجزائر بالمغرب خلال العهد السعودي
سادساً: دور العلماء الجزائريين من خلال:

أ - الخطابة

ب - التدريس

ج - القضاء

د - الفتوى

إذا كانت العلاقات السياسية بين المغربين الأوسط والأقصى تتأرجح بين السلم والعداوة خلال فترة القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، فإن العلاقات الثقافية كانت نشطة لم تضع لها الكيانات السياسية في المغربين الأوسط والأقصى حواجز أو عوائق إذ كان التنقل من وإلى البلدين يتم بسهولة خاصة الفئة المثقفة من طلبة وعلماء، ممن تتوق أنفسهم لطلب العلم أو زيارة ولي من الأولياء أو هروبا من واقع سياسي حال دون بقائهم في هذا البلد، وعموما فلا غرابة في هذا النشاط والتواصل الثقافي بين البلدين إذا علمنا أن ثمة مجموعة من العوامل ساهمت في تنشيط هذا الجو ومن أبرزها: العامل الجغرافي (الامتداد الطبيعي الواحد للبلدين)، العامل التاريخي (لامتزاج السكان بعضهم في البعض، ومن أمثلة ذلك فترة دولة المرابطين (430-541 هـ / 1038-1156م) أو فترة الموحدين (541-668 هـ/1156-1269م) العامل الديني (إذ أن الدين الإسلامي والمذهب المالكي يسودان بصفة مطلقة كلا البلدين، ويحتلان مكانة متميزة لدى السكان ناهيك عن وجود بعض الطرق الصوفية التي تمثل إرثا حضاريا و فكريا لكلا البلدين وأبرزهما الطريقتان القادرية والشاذلية، والنتيجة هي أن العادات والتقاليد تكاد تكون متجانسة ومتطابقة إلى أبعد الحدود ومن أمثلة ذلك نمط المعيشة و طريقة اللباس وطرق الاحتفال في المناسبات الدينية كالأعياد مثلا، وهو ما يؤدي حتما إلى وحدة الثقافة بين البلدين

أولا: جذور التواصل الثقافي بين المغربين الأوسط والأقصى:

شكّل كل من البلدين الجزائر والمغرب شعبا واحدا وأمة واحدة، لم تفصل بينهم إلا نظم الحكم المختلفة، والأنماط السياسية المتعاقبة على البلدين قديما وحديثا¹، حيث تجلّى ذلك عن طريق الاستقرار في بقعة معينة ولمدة طويلة، يضاف إلى ذلك تعزيز الروابط والصلات بين الأفراد، يتبعه تبادل المنافع وتفاعل المشاعر والأحاسيس واحتكاك الآراء والأفكار وتبادل وجهات النظر بشأن المشكلات التي

¹ يرى بعض المؤرخين ورجال السياسة بأن الوحدة الجغرافية للمغرب كانت لبنة ومفتاحا لانصهار البلدين والشعبين في إطار الأمة. وكمثال على ذلك نرى في انعدام هاته الوحدة لم تتحقق الدولة الواحدة والأمة الواحدة بالنسبة للشعب الأمريكي والشعب البريطاني رغم توفر عامل اللغة والدين، في حين نلاحظ العكس عند السويسريين الذي يشكل دولة واحدة وشعبا واحدا رغم اختلافه في اللغة لكنه يمتلك وحدة الإقليم، والذي نميل إليه أن الغرب وإن توافرت فيه كل المقومات؛ كالمزج البشري واللغوي، فهو لا يقوم بالضرورة على وجود أمة واحدة

يراجع: عبد العزيز الدوري، أوراق في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج4، 2007، ج4، ص290.

تعتزهم، ومن ثمة تؤسس الرابطة القومية بينهم¹، وتشترك مجتمعات المغرب الإسلامي في مجموعته من الموروثات الحضارية ولعل أبرز هذه الموروثات تجانس شعوبها في العادات والتقاليد السمات اللغوية والثقافية ووحدة الفكر الديني والعقائدي لأفرادها إضافة إلى التقارب الجغرافي المتصل اتصالا طبيعيا، هذه القواسم المشتركة زادت من انتعاش التواصل الثقافي والمعرفي بينهما² ومن خلال تتبعنا لموضوع العلاقات بين المغربين الأوسط والأقصى منذ العصر الوسيط لا حظنا وجود العديد من الروابط بين الشعبين، وأبرزها الروابط الاجتماعية التي ساعدت على تخطي العديد من الخلافات السياسية ومنحت العلاقات بعدا أخويا بعيدا عن التنافس السياسي، إذ أن صلة القرابة، ليست وليدة مدة زمنية قصيرة، بل هي قديمة، تجسدت في المصاهرة، والتي هي دلالة على اللحمة والأخوة في الدين ووحدة التاريخ المشترك، ويوجد هناك تطابق في العادات والتقاليد وحتى الأصول الأمازيغية-العربية

والتي انصهرت مع بعضها البعض وكونت المجتمع المغاربي الجديد، ضف إلى ذلك التعاون الوثيق الذي شمل الجانب الثقافي فحصل هناك تبادل بين علماء البلدين في النواحي الفكرية فيتلمذ الطالب الجزائري عند المدرس المغربي أو العكس وقد زودت الجزائر المغرب الأقصى بالعلماء وساهمت من جهتها الحواضر العلمية المغرب في تكوين العلماء الجزائريين، ورغم الانقسام الذي حدث في بلدان المغرب الإسلامي بعد زوال دولة الموحدين فقد ظل التواصل الثقافي مع ذلك مستمرا وهكذا نجد العلماء يجسدون من خلال رحلاتهم وأسانيدهم ومروياتهم ومناظراتهم العلمية تلك الصلات القوية التي كانت قائمة بالفعل بين علماء المغرب العربي³

لقد سجلت لنا كتب السير والتراجم جانبا من جوانب التقارب الفكري بين علماء الجزائر والمغرب فقد كانت العديد من الحواضر العلمية في المغرب الأقصى مراكز هامة للطلبة الجزائريين والأساتذة والمشايخ للتعلم وأخذ الإجازة وتصدر مجالس التدريس خاصة بجامع القرويين بفاس، وقد كان

¹ - ساطع الحصري: ماهي القومية؟، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985، ص31

² - بوسليم صالح وابن قايد عمر، الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية، مجله العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 21 ديسمبر 2013، ص267

³ - محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، دار إفريقيا الشرق، ط1، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1991 م، ص

الأساتذة والطلبة المغاربة يقصدون بدورهم عدة مدن جزائرية لأخذ العلم والإجازات العلمية من علمائها، خاصة تلمسان وبجاية وغيرهما¹ وما شهدناه من المثاقفة بين المغربين الأوسط والأقصى يعد نموذجا لهذا التقارب الذي كانت له الثمرة المرجوة، في تبادل الخبرات الثقافية والفكرية، وقد لعبت عوامل كثيرة في هذه المثاقفة منها الرحلات العلمية لطلاب العلم وتنقل العلماء فضلا عن القرب الجغرافي بين البلدين¹

تعود أولى نفحات التواصل الفكري بين المغربين (الأوسط والأقصى) إلى أواخر القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، وبداية القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي. ومن أوائل علماء المغرب الأوسط الذين كان لهم سبق، الاتصال العلمي بفاس العاصمة العلمية والثقافية للمغرب الأقصى آنذاك العالم ابن النحوي المعروف وهو من كبار الفقهاء المالكية في عصره (433-513هـ/1042-1119م) إذ كان متقنا لعلوم اللغة ودخل سجلماسة وأقام مده في فاس، واتصل بعلمائها فأخذ عنهم وأخذوا عنه ثم عاد إلى المغرب الأوسط واتجه إلى قلعه بني حماد التي كانت في أوج ازدهارها² ولعل فترة الموحدية والمرينيين امتازت بسياسة رشيدة فيما يتعلق بالعلم والثقافة، فتنقل عدد هائل من علماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأقصى ومن بينهم الهواري حسن بن حجاج بن يوسف بن علي (ت: 598هـ/1202م)³، والوهراي محمد بن علي (ت: 601هـ/1205م)⁴. وقد استمر

¹ -رانا جبوري موسى العيساوي، المثاقفة الفكرية بين المغرب الأوسط والأقصى خلال ق 8 و 9 هـ، 14م/15، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 23، العدد 97، كلية الآداب، جامعه القادسية، العراق، 2017م، ص 313

² - نفسه، ص 515

³ - هو أديب وكاتب بليغ من ضواحي بجاية سكن مراكش وتوفي بمدينة فاس، ثم نقل جثمانه الى الى مراكش ودفن بها لتفاصيل أكثر يراجع: رانا جبوري موسى العيساوي، المثاقفة الفكرية بين المغرب الأوسط والأقصى خلاله ق 8 / 9 هـ، 14 / 15م، مرجع سابق، ص 516

⁴ - وهو قاض من كبار الفقهاء في وقته، ولد وتفقه بوهراة وانتقل الى تلمسان التي ولي قضاءها، ثم رحل الى مراكش، وتولى بها قضاء الجماعة مرتين، وكان حميد السيرة شديد الهيبة، عارفا بالأحكام، سريع الفصل بين الخصوم، موصوفا بالعدل. رانا جبوري موسى العيساوي، المثاقفة الفكرية بين المغرب الأوسط والأقصى خلال ق 8 و 9 هـ، 14 / 15م، مرجع سابق، ص 516

التواصل العلمي والثقافي بين المغربين الأوسط والأقصى خاصة في ظل الدولتين الزيانية والمرينية رغم أن الفترة شهدت نوعا من التنافس والصراع¹.

لم يؤثر وصول الأتراك إلى الجزائر وخلافهم الذي وصل حد الاصطدام مع السعديين على علاقة البلدين واستمر السكان ومنهم عدد من المثقفين يتنقلون بينهما إذ مع استواء السعديين على عرش المغرب وإقامة سلطة تركية في الجزائر في مطلع القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي استعاد البلدان استقرارهما ودبت الحركة في الحياة الثقافية وشكل هذا التطور امتدادا لما تحقق فيهما من نمو وازدهار ثقافي خلال القرن السابقة².

ظلت الروابط بين المغربين الأوسط والأقصى قائمة طوال القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي رغم وجود حواجز طبيعية وحدود فاصلة بين الإقليمين، وذلك لتوفرهما على عناصر الوحدة المشتركة والمتمثلة في وحدة الدين واللغة والعقيدة والمذهب، وبالرغم مما أحدثه استقرار الأتراك في الجزائر من خلافات سياسية إلا أن ذلك لم يؤثر على العلاقات بين البلدين واستمر السكان يتنقلون بين المنطقتين ولعل هذا التطور لم يحدث من عدم أو فراغ بل كان امتدادا لما شهدته المنطقة خلال القرون السابقة من نمو وازدهار ثقافي رغم التقلبات والعواصف التي اجتاحت الإقليمين خلال القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي³.

ثانيا: عوامل التجاذب بين سكان المغربين الأوسط والأقصى:

لعل أبرز عوامل التجاذب بين سكان البلدين (المغرب الأوسط والأقصى) نوجزها فيما يلي:

أ- العامل الديني:

التمثل في الدين الإسلامي وفي وحدة المذهب السني المالكي اللذان كانا ولا يزالان يسودان في كلا البلدين سيادة مطلقة على ما سواهما ويشداهما شدا قويا¹، ومن المذهب المالكي

¹ - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في ق10هـ/16م، مرجع سابق، ص 98

² - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية-ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 383

³ - هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 564

كانت تستخلص الأحكام الشرعية، وكان الأساس المعتمد في مجال التسيير والمعاملات، وبمجالا خصبا للدارسين و الباحثين في المنطقتين رغم وجود مذاهب أخرى (كالمذهب الاباضي في جنوب الجزائر، والمذهب الحنفي الذي أصبح معتمدا من طرف أتراك الجزائر)².

ب-العامل الثقافي:

سادت الثقافة العربية الاسلامية في البلدين وتجانست فيهما اللغة واللهجات، وطرق التدريس ومواد الدراسة³ والكتب الدراسية مما كان يزيد في قوة الروابط بين أفراد المجتمعين الجزائري والمغربي⁴

ج-الغزو الاسباني والبرتغالي لسواحل البلدين:

كان للغزو الاسباني والبرتغالي أثره السيئ عن الحياة الثقافية في البلدين والعلاقات بينهما، لأن ذلك الغزو أصاب مدنا كانت مراكز ثقافية هامة في البلدين كوهران، وبجاية، في الجزائر، وسبتة، وطنجة في المغرب، وتسبب هذا الاحتلال في هجرة الطلبة والعلماء الى المدن والقرى الداخلة⁵

¹ - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في ق10هـ/16م، مرجع سابق، ص 99

² - هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق،، مرجع سابق، ص 589

³ - المواد التي كانت تدرس في هذا العصر لم تكن تختلف من المعاهد الجزائرية سواء في العهد الزياني أو التركي عما كان يدرس في القرويين أو في مدارس ومساجد المغرب الأخرى وقد كانت هذه المواد تنحصر في نطاق المواد التقليدية التي كانت تدرس في العصور السابقة، وهي في معظمها عبارة عن مختصرات ومنظومات وشروح وحواشي، وقد ظل الحفظ هو السمة البارزة لطرق التعليم في مختلف مراحلها، حيث اعتاد الطلبة على حفظ المتون اللغوية والدينية واستعراضها أمام شيوخهم. في هذا المجال بالذات يراجع: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، صص 136-139 - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 399

⁴ - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في ق10هـ/16م، مرجع سابق، ص 100

⁵ - نفسه، ص 100

د-الهجرة الأندلسية:

كانت تأثيرات الأندلسيين أعظم من أي عنصر خارجي آخر، بحكم عامل الدين الإسلامي أولاً والجوار ثانياً، ولأن المغرب والأندلس تبادلوا التأثيرات السياسية و الحضارية منذ الفتح العربي الإسلامي¹، كان المغرب الإسلامي مركز جذب للعنصر الأندلسي عبر مراحل مختلفة، وقد انتقلت مجموعات كبيرة من الأندلسيين إلى عدد من المدن الساحلية المغربية، وقد ازداد عدد الوافدين الأندلسيين خاصة في الهجرة التي حصلت خلال القرن التاسع هجري/الخامس عشر ميلادي بسبب اضطهاد المسلمين وخاصة بعد سقوط غرناطة عام 1492، وقد استوطن هؤلاء الأندلسيين مدن الجزائر والمغرب كتلمسان والجزائر وشرشال والرباط وسلا، وتطوان وغيرها من المدن الساحلية²، وقد استفاد المغاربة من التجربة الأندلسية (وحملوا الى الحاضرة الجديدة، تجربتهم في الحياة الحضرية، وتقنياتهم العتيقة في الفلاحة والبناء والصناعة التقليدية، ومنذئذ أخذت مدينة فاس القديمة، اسم مدينة الأندلسيين)³، وقد كان من بين هؤلاء المهاجرين علماء وقضاة، وكتاب وشعراء وأدباء وفقهاء وأطباء وحرفيين وقد حملوا معهم تراثاً أندلسياً في مختلف أنواع المعرفة والعلوم مما أثرى، الحياة الأدبية والعلمية من خلال مشاركة عدد منهم في التأليف والتدريس⁴، ومما تجدر الإشارة إليه أن إعادة بناء مدينة

¹ - عبد الكريم كريمة، المغرب في عهد الدولة السعدية، دراسة لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، ط2، الرباط، المملكة المغربية، ص 279

² - هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 565 - هلايلي حنيفي، القضية الموريسكية في الفضاء العثماني الجزائري على ضوء فرمانات العثمانية (1492-1614) (الملتقى الدولي الثاني حول العلاقات الجزائرية-التركية كليه العلوم الانسانية والاجتماعية- قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر-بسكرة-شعبه التاريخ السجل العلمي لأعمال الملتقى، الجزء الأول يومي 18 / 19 فبراير 2014، ص 321

³ - روجي لي تورنو، فاس قبل الحماية، ترجمه محمد حجي والاحضر محمد ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1996، صص 76-77

⁴ - محمد عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 221

تطوان تعود الى مجهودات الأندلسيين الذين "بعثوا المدينة من جديد بعد أن ظلت خربة قرابة قرن من الزمان، وأصبحت بذلك مركزا من المراكز الثقافية النشطة في شمال المغرب¹

هـ- انتصاب الحكم العثماني في الجزائر والسعدي في المغرب:

بعد إلحاق الجزائر بالبواب العالي في الربع الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي واستيلاء السعديين على السلطة في المغرب الأقصى خلفا للوطاسيين، اشتد التنافس بين العثمانيين والسعديين على تلمسان وضواحيها "فنهضت حكومة مراكش، وحاصرت تلمسان وضيقت على أهلها الحناق مدة تسعة أشهر ثم احتلتها يوم الاثنين 23 جمادي الأولى 957هـ، 09 جوان 1550م²، وبسطت نفوذها على النواحي، ونشرت أعلامها على مستغانم وأحوازها، وجميع أعمال تلمسان إلى حدود شلف"³. غير أن حسن باشا جهز حملة عسكرية استرجع من خلالها تلمسان وانتقم ممن أيدوا التدخل السعدي (خاصة الفئة المثقفة) فنتج عن ذلك نزوح موجات كبيرة من المهاجرين الجزائريين نحو المغرب الأقصى، فرارا من اضطهاد الأتراك⁴ ونستخلص من ذلك التأثيرات الحضارية والثقافية التي أدخلها الأتراك العثمانيون معهم الى الجزائر وانتقال تلك التأثيرات الى المغرب (ومن أمثلة ذلك استحداث رتبة المفتي) التي لم تكن موجودة من قبل، وقد بدأ هذا التقليد السلطان محمد الشيخ السعدي الذي قلد منصب الإفتاء للعالم الجزائري محمد بن عبد الرحمان بن جلال⁵، هذا الوضع الذي جعل عشرات العلماء الجزائريين يتوافدون على المغرب الأقصى خاصة في

¹ - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في ق10هـ/16م، مرجع سابق، ص 103

² - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، ط2، بيروت، لبنان، 1385هـ/1965م، ص 229

³ - قاصري محمد السعيد، العلماء والفقهاء في الجزائر بين اضطهاد ونفي منظومة الحكم العثماني، واستقطاب واستغلال منظومة الحكم السعدي والعلوي في المغرب، مجلة عصور الجديدة، المجلد 07، العدد، 26، أفريل، 2017م، ص 218

⁴ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 411

⁵ - عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في ق10هـ/16م، مرجع سابق، ص 105-106

ظل المعاملة الحسنة لهم من قبل المغاربة شعبا وسلطة، وبخصوص موقع هؤلاء العلماء ومكانتهم عند السلاطين السعديين، يشير الباحث محمد حجي الى "سخي عطاياهم وهو ما سلاهم على الاغتراب، ودفع بهم الى الانكباب على التدريس والتأليف"¹

ثالثا: الحركة العلمية بالمغرب خلال القرن 10هـ/16م:

استعادت الحياة الفكرية نشاطها تدريجيا في المغرب منذ أواسط القرن 16 بعد خمول طويل، بسبب الاستقرار التدريجي لأوضاع البلاد، وأيضا تفتح المغرب على الخارج وتوافد إعداد من المفكرين من الأندلس والسودان ومن المغربين الأوسط والأدنى، مما أغنى الحركة الفكرية بما حملوه من فنون ومعارف وقد كان النشاط الفكري خلال العهد السعودي بمثابة استمرار للحركة الفكرية السائدة سابقا، بحيث شمل عدة علوم منها العلوم الشرعية أو النقلية والعلوم العقلية، إذ أنه وعلى المستوى الثقافي والأدبي نجد أن العصر السعودي من العصور المتألقة علما وأدبا وفكرا، وما الإنتاجات المتنوعة والكثيرة إلا دليل على نبوغ أبناء الفترة السعدية وتفوقهم في الميدانين الأدبي والفكري، الرصيد الهام الذي خلفه مفكروا وأدباء العصر السعودي متمثلا في "المختصرات" "الشروح" "الحواشي" إضافة إلى استنساخ الواسع للكتب وقراءتها في ظل انتشار المكاتب العامة والخاصة

ولعل الظاهرة المتميزة في نبوغ هؤلاء الأبناء هي نبوغ الملوك والأمراء السعديين، فلم يكن الحكم ولا السلطة لتشغلهم عن الدرس والعلم، ولا عن المشاركة في فنون القول شعرا ونثرا. ومن أبرز الملوك السعديين الذين نالوا شهرة سياسية وعلمية في عصرهم، وبعده السلطان أبو العباس أحمد المنصور السعدي²

¹ - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص 68

² - هو أبو العباس أحمد المنصور السعدي ابن أبي عبد الله القائم بأمر الله، ولد بفاس سنة 956 هـ، أمه من الصالحات، وهي مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد الوزكيقي، تربى في بيت العز والملك " في عفاف وصيانة" وكان والده المهدي يئبه على أنه واسطة عقد أولاده". أما صفاته وأخلاقه فقد تحدث عنها بالتفصيل ابن القاضي في كتابه "المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور"، والفشتالي في كتاب: "مناهل الصفا في أخبا الملوك الشرفا" حيث يقول عنه " كان دمث الأخلاق، ميمون النقيبة، حسن السيرة، خدن العافية، محبا للعلماء، ناجح المسعى، جماعا للأموال، مستكثرا من ذخائر الملوك، مولعا باقتناء نفيسها، طامع العين إلى كل مرمى بعيد". وتتوزع مشارب ثقافة المنصور السعدي، فتشمل الأدب

لقد ازدهرت الحياة الفكرية والعلمية بوجه خاص زمن المولى احمد المنصور ازدهارا عظيما تجلّى في تزايد معاهد العلم والدراسة، وفي كثره العلماء وطلبه العلم، وتعددت مجالات اختصاصهم، وقد أخذت الحياة الفكرية تعرف نوعا من التطور مما يتلائم والوضعية الجديدة التي كان المنصور يهدف إلى تحقيقها أي نهضة البلاد في جميع مظاهرها لتساير ركب الدول الحديثة¹.

وإذا كانت مسؤولية الجهاد بالنسبة للسعديين قد شكلت أرضية ومنطلقا لقيام دولتهم فإن المسؤولية التي احتلت الرتبة الثانية بعدها هي مسؤولية نشر العلم ورعايته، فقد وجهوا عنايتهم إلى إصلاح المدارس والمساجد القديمة، ومن ذلك توسيع مسجد القرويين كما عملوا على تعهد أهل العلم وطلبته بالعناية التي بلغت أوجها في عهد احمد المنصور، وهي ما شهد به أبو العباس المنجور في قوله "ما

واللغة والتاريخ والمنطق والفقه والحديث والرياضيات وغيرها من العلوم، فقد كان مبرزا في كل ميدان معرفي سلك شعبه، وفي ذلك يقول عنه شيخه المنجور "خليفة العلماء وعالم الخلفاء"، ومن شيوخه: المنجور (ت995 هـ) صاحب "إجازته" الشهيرة، والقاضي الحميدي (ت1003 هـ)، والشيخ الجنوي (ت991 هـ) وغيرهم من الأعلام الذين كانت لهم إسهامات ومشاركات في الفقه والحديث واللغة والأدب والطب والرياضيات. ولم يكن الملك الطالب ليكتفي بالأخذ من هؤلاء، بل إن مدارس العلم واللغة معه قد أفادت شيخه المنجور حيث يقول: "كثيرا ما سامرته، وما رأيت أجود من فهمه وأكثر من علمه، أفاد مني واستفاد، لكن ما أفاد أكثر مما استفاد". وينوه الشاعر الفشتالي بمخدمه المنصور في براعته الأدبية فيقول: "وأما منظوماته الفائقة وأدبياته الرائقة فأقول: إن هذا الإمام - أيده الله - وإن كان في سائر العلوم علما تآتم الهداة به فلا كفن الأدب، فهو الروض الذي لا تزال طيور أفكاره صادحة على أيكته، وشموس إحسانه بازغة من فلكه ... فهو - أيده الله - أخذ من شرف الشعر باسمه، وتصرف على حكمه، آية في قرضه ونقده، وحله وعقده، حسن الاختراع، لطيف التوليد...". وكما كانت له مشاركة في نظم الشعر وتوليد المعاني، فقد كانت له مشاركة في التأليف، من ذلك كتابه في "علم السياسة" وفي "الأدعية الماثورة"، و"ديوان لأبي العباس أحمد"، جمع فيه شعراء أهل البيت النبوي، أتى فيه على أزيد من ألف ترجمة. كل هذه المعلومات وغيرها، يراجع: - ابن القاضي أحمد، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق، محمد رزوق، مكتبة المعارف، الرباط، 1986 - أحمد المنجور، فهرس أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط 1396هـ / 1976م - عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، دراسة وتحقيق، عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، المملكة المغربية - محمد الصغير الوفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي صحح عباراته التاريخية السيد هوداس، تم طبعه على يد بردين صاحب المطبعة بمدينة أنجي، 1888

¹ - عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، مرجع سابق، ص 307

عهدنا بذل المئات إلا في أيام الأشراف، وما عهدنا بذل الألوفا إلا في أيام المنصور أيده الله¹ وأنشأ الملوك والأمراء السعديون كثيرا من الكراسي العلمية² بمختلف المساجد التي كان يتم بها التدريس كمسجد القرويين، وجامع الأندلس بفاس، وجامع الشرفاء، وجامع باب دكالة بمراكش، والجامع الكبير بتارودانت، وخصصوا أوقافا لتغطية مصاريف تلك الكراسي وأجور المدرسين عليها³، وقد تجسد اهتمام السعديين بالجانب الثقافي في اهتمام ملوكهم وأمرائهم بالمكتبات العام وإغنائها بالمصنفات في مختلف العلوم والفنون، وهكذا ازدهر النشاط الثقافي بالمراكز الكبرى بفضل الرعاية التي حظيت بها من طرف الدولة، فتألفت مراكش وفاس وتارودانت، واجتذبت إليها الطلاب من جميع أنحاء البلاد، ومن مدارسها ومساجدها كان يتخرج أكبر العلماء والأطر بالدولة⁴. فالعلماء كانوا يساهمون في تسيير دواليب الدولة وكان المنصور يرعاهم ويحرص على الاستفادة منهم، فقد أصبحوا قادة جيوش وكتاب دولة وقضاة، هذا بالإضافة إلى دورهم العلمي والاجتماعي المنصب أساسا على تأطير العامة⁵.

وبخصوص الدراسة فإنه لم يستجد شيء في أساليب الدراسة بالمغرب ومنهاجها بصفة عامة وإنما ظل الشعب مقبلا على التعليم إقبالا لا حد له، أما التعليم المشترك وهو ما يتعلق بالدراسة الدينية فقد

¹ - لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين الى ما قبل الحماية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1419هـ/1998م، ص 75 - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص 55

² - لا يكاد يخلو مسجد كبير في أي مدينة مغربية من مكتبه عامة تشتمل زيادة على مصاحف القرآن الكريم على كتب قليلة أو كثيرة في العلوم الدينية واللغوية وغيرها ويمكن إجمال مميزات المكتبات في العهد السعدي في: أولا اتساع الرقعة الجغرافية للمكتبات ثانيا دخول كميات كبيرة من الكتب الأندلسية إلى المغرب مع أفواج المهاجرين من الأندلس ثالثا وفرة المؤلفات المغربية وإقبال الطلبة عليها بالدراسة والنسخة رابعا توفر وسائل الكتابة بكثرة بسبب وجود الورق المصنوع داخل المغرب والمجلوب من أوروبا خامسا بقاء معظم كتب العصر السعدي الى اليوم باستثناء ماضع من المكتبة الملكية الآتلة إلى الإسكوريال، لتفاصيل أكثر حول موضوع المكتبات العامة في عهد السعديين يراجع، محمد حجي الحركة الفكرية.... ج1، مرجع سابق، صص 182-183-184-185

³ - لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين الى ما قبل الحماية، مرجع سابق، ص 76

⁴ - نفسه، ص 76

⁵ - محمد زروق، مراكش من خلال المنتقى لأحمد بن القاضي، مجله كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعه القاضي عياض أشغال الملتقى الثاني، مراكش العصر المريني والسعدي، 1990، العدد 8 / 1992، ص 51

كان يلقي في المساجد في حلقات تجمع العمال والصناع ليرفعوا عن أنفسهم عار الجهالة بأمرور الدنيا والدين، وكانت هذه الحلقات أشبه ما تكون بمؤسسات التربية الأساسية، وكان بالقرويين كرسي للعلم ويعتبر ولاية علياء وكان من هؤلاء عبد الواحد الونشريسي قاضي فاس ومفتيها وصاحب التدريس بالقرويين المتوفى سنة 955م¹، وشاع في هذا العصر الاعتماد على الذاكرة فكان التعليم يركز على الحفظ ولذلك اشتهر العلماء بقوة الحافظة، ومن هؤلاء محمد الرقادي بن أحمد المدعو القيوم بن عمر الكنتي الذي كان يحفظ ألف مجلد وكان قبله الجزولي يحفظ فرعي ابن الحاجب والمدونة²، وقد رحل في القرن العاشر علي بن ميمون³، لتلمسان وبجاية وتونس والشام والحجاز وقال مقارنا بين علماء القرويين وعلماء غيرها:

"ما رأيت في سائر مدن المغرب لا في مدينة تلمسان ولا بجاية ولا تونس، ولا إقليم الشام بأسره، ولا بلاد الحجاز فإني رأيت ذلك كله بالمشاهدة، ولا بمصر على ما تقر عندني من العلم اليقين بمشاهدة أناس من أهلها، وبرؤيتي لبعض كتب أرباب الوقت ما رأيت مثل فاس، ومثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل، وهذا الحفظ لنصوص إمامهم الإمام مالك وحفظ سائر العلوم الظاهرة من الفقه والحديث والتفسير وحفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب والتوقيت والتعديل والتوحيد والمنطق، والبيان والطب، وسائر العلوم العقلية كل لا بد فيه عندهم من حفظ نص ذلك الفن ومن لم يستحضر النص عن مسألة ما في علم ما أن تكلم فيه، لا يلتفت إلى كلامه، ولا يعبأ به ولا يحسبونه من طلبة العلم⁴ وإذا نظرنا إلى معطيات الفكر المغربي على عهد السعديين ألقيناه على العموم تقليدا عقديا يعتمد اعتمادا مطلقا على آراء القدامى من علماء الإسلام، بل وحتى على آراء حكماء الإغريق وفلاسفتهم في ميدان العلوم البحتة وحتى التجريبية، اللهم إلا ما كان من بعض

¹ - الثقافة المغربية في عصر السعديين، مجلة دعوة الحق، العدد، 65،

² - الحسن السايح، الحضارة الإسلامية المغربية، مرجع سابق، ص 292

³ - علي بن ميمون الغماري أحد المغاربة الذين عملوا على تحقيق التواصل العلمي والثقافي بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه تأليفا وتدریسا، وهو ثالث الغماريين الذين أنشأوا مدرسة للتصوف السني في المشرق، وعملوا على نشرها هناك، وأصبح لها أتباع وأنصار ومريدون... فإلى جانب أبي الحسن الشاذلي، وعبد الرحيم القنائي الترغي يذكر علي بن ميمون كثالث الثلاثة الذين طبعوا عصرهم بطابع خاص، يراجع: عمر الجيدي، مخطوطات

علي ابن ميمون الغماري بالمكتبة الظاهرية، مجلة دعوة الحق، العدد 272 ربيع 1 و2/ نوفمبر-دجنبر 1988

⁴ - الحسن السايح، الحضارة الإسلامية المغربية، مرجع سابق، ص 292-293

الإشراف في ميدان البحث والتحليل، ومبادرات في مضمار الاجتهاد والتأويل، ونكاد نجد كل الإنتاج الفكري بالمغرب لهذا العهد -على كثرته وتنوعه- مصطبغا بصبغة دينية أو أدبية¹

رابعا: التأليف في العهد السعدي:

لاشك أن التأليف هو مرآة عاكسة لروح العصر ومميزاته، ورصد حقيقي لمستوى العلوم السائدة فيه، "فإذا كانت التأليف العلمية كثيرة فإنها تعبر عن المستوى القوي الذي يعرفه الحقل العلمي، الذي ساهم في تكوين المؤلفين، وان كانت المؤلفات ضعيفة فإنها تعكس هي الأخرى تدهور المستوى العلمي الذي نمت فيه"² وقد حدد العلماء المسلمون مقاصد التأليف فكان كل واحد منهم وجهة نظره، فابن عرفة التونسي رأى في التأليف أن يشمل فوائد إضافية وإلا كان ورقا ضائعا لا فائدة منه³. وأما المقري الحفيد فقد حصر مقاصد التأليف في سبعة وهي:

1- استنباط العلم بشيء لم يسبق إليه فيؤلف

2- شيء ألف ناقصا فيكمل

3- منشور يرتب

4- خطأ يصح

5- مستغلق يشرح

6- مطول يختصر

7- متفرق يجمع⁴

وفيما يخص الفترة الزمنية -موضوع البحث - فقد هيمن الدين وعلومه على معظم التأليف في المغرب السعدي وذلك بسبب تركيز المذهب السني فيه، ووحدة العقيدة الاشعرية، ووحدة الفقه المالكي

¹ - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص 61

² - محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، مرجع سابق، ص 93

³ - جلال الدين السيوطي، التعريف بآداب التأليف، تح، علي إبراهيم، شركة الشهاب الجزائر، مكتبته التراث

الإسلامي، القاهرة، (د-ت)، صص 22-23

⁴ - ابن مريم البستان مصدر سابق، ص 192 193- محمد حجي الحركة الفكرية ج1، مرجع سابق، ص 133-

محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، مرجع سابق، صص 92-

ووحدة طريق الجنيد الصوفية الأمر الذي أعطى الدين ورجاله قوة لا تنال منها نزعة أو بدعة ولا توهنها مذهبية أو طائفية، وتتجلى الصبغة الدينية للفكر المغربي في كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية فيما يكتبه علماء هذا العصر وإقحام الأحكام الفقهية حتى في كتب الطب والأعشاب والفلك واستطراد آراء الصوفية وآدابهم في مؤلفات قواعد اللغة، كما تتجلى في الاهتمام المباشر بهذه العلوم الدينية وإعطائها الأولوية في مضمار التعليم والتأليف¹، وقد تميز هذا العصر بكثرة التأليف وتنوع الموضوعات التي تطرق لها الباحثون، وكان الذهاب إلى الحج والرحلة² في طلب العلم وراء انتشار حركة التأليف ونسخ واقتناء الكتب، وكانت هذه الرحلات كذلك فرصة للحجاج والعلماء المغاربة لنشر مؤلفاتهم وشملت تأليفهم في هذا العصر مختلف أنواع العلوم والآداب والفنون³، إن كثرة التأليف في العصر السعدي تعني بالطبع وفرة عدد القراء من العلماء والمتعلمين على أن الإقبال على قراءة الكتب وقتنائها غادا شائعا في ذلك العصر عند أصناف كثيرة من القراء من بين الوزراء والكتاب والقواد والولاة والتجار وغيرهم، والتجأ ذوو الثراء من المغاربة إلى أسواق المشرق يقتنون من أعلام (نفائس) كتبها حاملين معهم لتلك الغاية أكياس الذهب فضلا عما كانت تجلبه القوافل الرسمية من أحمال الكتب إلى مراكش⁴

رغم تعدد أصناف الكتب المؤلفة وتنوع مواضيعها ومضامينها بين دينية ولغوية وعلمية وأدبية وتاريخية فان التأليف في هذا العصر ظل خاليا من روح الاجتهاد لاسيما في العلوم، التي إعتد مؤلفوها على اجترار ما كتبه السابقون وطغى على هذه المؤلفات الطابع الديني والأدبي⁵ ومن أهم المواضيع التي تناولتها كتب و مؤلفات العصر نذكر ما يلي:

- ¹ - محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م، مرجع سابق، ص62
- ² - حول أهمية الحج والرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين، يراجع: الناجي لمين، رحلات علماء المغربين الأقصى والأوسط الملكية وآثارها العلمية من خلال ق 7-8 الهجريين، دار الكتاب المغربي، ودار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، المنصورة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1437هـ/2016م
- ³ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، 425
- ⁴ - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص134
- ⁵ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، 426

أ- كتب علوم القرآن والحديث:

ربما لم يحظ كتاب طوال التاريخ بالاهتمام والدراسة والتفسير بما حظي به القرآن الكريم، ولم يكن بإمكان أحد أن ينكر محورية القرآن في فكر المسلم وحياته رغم اختلاف المذاهب وتنوع المشارب فالقرآن عنوان يجتمع حوله الجميع¹، وقد اهتم علماء هذا العصر بشرح نصوص القرآن الكريم والتي هي مصدر للتشريع الاسلامي ووضعا تفاسير توضح معاني القرآن فألف علماء العصر السعودي عشرات الكتب في القراءات ورسم القرآن وضبطه ومن أبرز هذه الكتب التي نالت حظوة كبيرة "تقييد وقف القرآن" لمحمد الهبطي السماتي² وكتابه هذا مختصر جدا يقتصر على بيان المكي والمدني من السور مع ذكر الكلمات التي يوقف عليها مبتدئا بأمر القرآن إلى سورة الناس، ويدل مع ذلك عن طلاعة مؤلفه في علوم القرآن واللغة وقواعدها، وقد ظل هذا الكتاب معتمدا في كل أقطار المغرب³، ولعبد الجبار بن أحمد الفجيحي (ت: 920هـ/1514م) "تفسير القرآن الكريم" في اثنا عشر

¹ - أحمد فاضل السعودي، القراءة الأركونية للقرآن دراسة نقدية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، 2012م، ص 13

² - فريد عصره وأعجوبة دهره، العالم الإمام العارف بالله وبأحكامه، الشيخ العالم الزاهد المحقق جنيد زمانه وقطب دائر أوانه، كان رضي الله عنه كبير الشأن عظيم الرتبة في مقام العرفان... لتفاصيل أكثر حول شخصيته يراجع: محمد بن عسكر، دوحه الناشر، مصدر سابق، صص 07-08-09-10 - أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس جزآن، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 صص 440-441، وهناك دراسة قيمة للباحث، الحسن بن أحمد وكاك (رسالة الدبلوم في الدراسات الإسلامية العليا بدار الحديث الحسنية حصل بها المحقق على الدرجة العلمية بتقدير حسن جدا وهي عبارة عن دراسة نقدية تاريخية حول الوقف الذي أحدثه الشيخ الهبطي لأهل الأرداف بالمغرب في القرن العاشر الهجري) بعنوان تقييد وقف القرآن الكريم للشيخ محمد بن أبي جمعة الهبطي دراسة وتحقيق، ط1، 1411هـ/1991م،

³ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق،

مجلدا¹، وألف محمد بن علي الشطبي البرجي² (ت: 963هـ/1555م) كتاب اللباب المختصر لأهل العبادات والنظر، وهو مختصر لشرحه "اللباب في حل مشكل الكتاب"³ كما استأثر الحديث النبوي الشريف، باهتمام علماء العصر ومعظم ما كتب حوله جاء على شكل شروح وحواشي على صحيح البخاري ومسلم ومن أشهر الشروح "إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب" الذي وضعه الإمام محمد بن غازي على صحيح البخاري وألف محمد بن علي بن أبي الشرف التلمساني كتابا في أجزاء عبارة عن جرد لما في كتاب الشفاء للقاضي عياض سماه "المنهل الأصفى في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألقاظ الشفا" واخذ المؤلف الإجازة عن ابن غازي في كتاب الشفاء وقام بشرح ما أخذ عنه⁴

ب - التوحيد والفقه والتصوف:

معظم مؤلفات علماء المغرب السعدي يتعلق بهذه العلوم الثلاثة وملحقاتها نظرا لطغيان الروح الدينية آنذاك، وانتشار التصوف على الخصوص، كان أكثر اعتماد المدرسين للتوحيد في ذلك العصر على

¹ - عبد الجبار بن احمد الفجيجي (ت حوالي 920هـ-1514م) عالم مشارك متوسع في علوم القرآن والحديث من طبقة الامام ابن الغازي، أسس الزاوية العلمية المعروفة باسمه، وقد ولي قضاء قصور فيجيج، أنشاء الشيخ عبد الجبار بن احمد الفجيجي، مكتبه دار العدة، في فجيج، وأوقف عليها هو وأولاده كتبا كثيرة من ضمنها تأليفهم في التفسير والفقه والأدب، يراجع: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، مرجع سابق، ص 511

² - أندلسي الأصل، اعتكف على تدريس العلوم الشرعية وخاصة التفسير والحديث وكانت له فيهما رواية علمية، داعت علماء الشمال إلى التنافس في الأخذ عنه، كان الشطبي قوي البنية، قوي الإيمان، يقوم كل يوم بواجباته في جامع تازغدرة إماما ومدرسا، ويخرج للحقل لفلح الأرض وغرسها وسقي الأشجار وتعهدها، فإذا أوى إلى بيته ليلا اقبل على الكتابة تأليفا أو نسخا، يراجع: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، مرجع سابق، ص 482

³ - له تأليف أخرى متعددة منها، مفتاح اللجنة المتوقف على الكتاب والسنة/مخطوطتان بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم: 5626 و 5908 وكذلك: الجمان في أخبار الزمان والحديقة المستقلة في فتاوي علماء الملة، يراجع: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، مرجع سابق، ص 482

⁴ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق،

عقائد السنوسي الأربعة¹ وكفاية المرید لأحمد بن عبد الله الزواوي (ت: 884هـ/1479م) ومحصل المقاصد² لأحمد بن زكري التلمساني (ت: 899هـ/1493م) الذي شرحه أحمد المنجور، ونظمه لهذا الشرح الذي خصص له كتاباً سماه: "نظم الفرائد ومبدي الفوائد في شرح محصل المقاصد"³. أما عن الفقه فقد كان مذهب الإمام مالك المذهب الرسمي للمغرب ولم ينافسه أي مذهب ديني آخر كما ظل فقه مالك المصدر الوحيد للتشريع، ومنه كانت تستنبط الأحكام الشرعية، وكان هو المعتمد في المعاملات واختص كبار فقهاء المالكية بالمناصب الدينية كالقضاء والإفتاء والخطابة والإمامة⁴، وقد حظيت كتب الأقدمين في الفقه بعناية الدارسين في هذا العصر، وفي مقدمة هذه الكتب مختصر خليل⁵ إذ كان يدرس في كل المؤسسات التعليمية، وكذا رسالة ابن أبي زيد القيرواني¹، ومختصر ابن

¹ - هذه العقائد الأربع الشهيرة في التوحيد هي العقيدة الكبرى والعقيدة الوسطى وأم البراهين المعروفة بالعقيدة الصغرى، والمقدمات أو صغرى الصغرى، وانتقلت هذه الكتب إلى المغرب على يد المهاجرين الجزائريين من تلامذة الإمام السنوسي (ت: 895هـ/1490م) وانتشرت لدى المغاربة وظلت عقائد السنوسي معتمدة من قبل الدارسين في البلدين (المغرب الأوسط والمغرب الأقصى) وكتبوا عليها شروح وتعليق متعددة نذكر منها حاشية أحمد المنجور على العقيدة الكبرى والصغرى وشرحه ومختصره على العقيدة الكبرى. **يراجع:** أحمد المنجور، الفهرس، مصدر سابق، ص 80

² - اسمه بالكامل: "محصل المقاصد مما تعتبر العقائد" وهو منظومة كبرى في علم الكلام، ولا ابن زكري مؤلفات أخرى منها: بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب، ومعلم الطلاب بما للأحاديث من الألقاب في مصطلح الحديث، وغاية المرام في شرح مقدمة الإمام، ومسائل القضاء والفتيا... الخ لتفاصيل أكثر **يراجع:** الشيخ محمد المدني، منهل التوحيد، تح، نجم الدين خلف الله، دار كتاب ناشرون، books-publisher، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص 98، الهامش رقم: 01

³ - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 2997 **يراجع:** أحمد المنجور، الفهرس، مصدر سابق، ص 80، - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج2، مرجع سابق، ص 143 - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 428

⁴ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 429

⁵ - تذكر بعض كتب التراجم أن خليل بن إسحاق المالكي مكث في تأليفه 25 سنة، وقد حرر منه في حياته الثلث الأول من باب الطهارة إلى باب النكاح، ثم مات - رحمه الله - وترك الباقي في المسودة، لم يخرججه فجمعه تلاميذه وأضافوه إلى الثلث الأول المحرر، ويشتمل المختصر على اثنين وستين باباً، وثلاثة وستون فصلاً، ويحتوي على

ابن الحاجب² ومدونة سحنون³، فكتبوا حولها شروحا وحواشي عديدة وقاموا بنظمها والتعليق عليها وأبرز من ألف حول هذه المؤلفات شرح الإمام ابن غازي المسمى: **شفاء الغليل في حل مقفل خليل**¹

مائة ألف مسألة فقهية، وقد اقتصر فيه مؤلفه على الأقوال التي يفتى بها في المذهب المالكي، وقد اتفق كثير من العلماء المالكية على أن المختصر من أحسن ما ألف في الفقه المالكي، حتى قال فيه ابن غازي المكناسي: "إن مختصر خليل أفضل نفائس الأعلام وأحق ما رتق بالأحداق، وصرفت له همم الحذاق، عظيم الجدوى، بليغ الفحوى، بين ما به الفتوى وجمع مع الاختصار شدة الضبط والتهديب، واقتدر على حسن المساق والترتيب". **يراجع:** محمد المصلح، كشف المخطوطات الفقهية من خلال مختصر خليل بن إسحاق المالكي، مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي-الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، الرباط، 1435هـ/2014م، ص 60 - لتفاصيل أكثر حول كتاب مختصر خليل، يراجع: الشيخ خليل بن إسحاق المالكي، مختصر العلامة خليل، تصحيح وتعليق وترجمة للعلامة خليل، الشيخ أحمد نصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ/1981م

¹ - هو عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمان أبو محمد القيرواني، الفقيه المالكي المتوفى سنة 386هـ، له العديد من المصنفات منها: إثبات كرامات الأولياء، وإعجاز القرآن، والعقائد في التوحيد، وغيرها وأهم هذه المصنفات رسالة في الفقه والمسماة برسالة ابن أبي زيد القيرواني تحتوي على مجموعة من الأبواب المختلفة في الفقه كالوضوء و الطهارة والصلاة والصيام... الخ **يراجع:** الإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، **الرسالة في فقه الإمام مالك**، ضبط وتصحيح، الشيخ عبد الوارث محمد علي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

² - هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (570 - 646هـ/ 1174 - 1249م) فقيه مالكي من كبار العلماء كردي الأصل ولد في إسنا (من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة وسكن دمشق ومات بالإسكندرية وكان أبوه حاجبا فعرف به، من أهم تصانيفه الكافية في النحو، والشافية في الصرف، ومختصر الفقه الذي استخرجه من ستين كتابا في فقه المالكية ويسمى "جامع الأمهات" هذا المصنف الأخير يعتبر من أكبر التصانيف في الفقه **يراجع:** الإمام أبي عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر ابن الحاجب المالكي، **جامع الأمهات أو مختصر ابن الحاجب الفرعي**، تح، تع، أبي الفضل بدر العمراني الطنجي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م

³ - هو أبو سعيد عبد السلام سحنون (سمي سحنون باسم طائر حديد النظر) بن سعيد التنوخي من أشهر فقهاء المالكية في المغرب العربي (160 - 240 هـ / 776 - 854م) ولد في مدينته القيروان وتلمذ على أكبر علمائها

ج - كتب التصوف

نال هذا العلم اهتماما كبيرا من طرف الدارسين والباحثين في هذا العصر، وقد برزت في ذلك العديد من المؤلفات جاءت على شكل تقييد ورسائل وتراجم ودراسات متنوعة² تظم شروحا لبعض المؤلفات القديمة والحديثة، ومن ذلك شرح محمد الشطيبي (ت: 963هـ/1556 م) للحكم العطائية³

رحل إلى المشرق العربي طالبا للعلم فزار مصر والشام والحجاز وعاد إلى القيروان وعمل على نشر المذهب المالكي، تولى القضاء حتى وفاته، من أشهر مؤلفاته "المدونة الكبرى" التي جمع فيها مسائل الفقه على مذهب الإمام مالك بن أنس، وتحتوي المدونة على مسائل فقهية في الوضوء والصلاة والصيام والزكاة والحج وأحكام الجنائز، والجهاد، والنذور... الخ **يراجع: المدونة الكبرى للإمام مالك بن أنس الأصبحي**، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي، عن الإمام عبد الرحمان بن قاسم، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د، ت، ج1، صص 101-102-103-104-105

¹ - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص 144

² - وضع العديد من العلماء مؤلفات عديدة، يحدرون فيها من البدع ويردون فيها على أدعياء التصوف ويكشفون ادعاءاتهم، ومن بين تلك المؤلفات أرجوزة عبد الرحمان الأخضريري (الجزائري) المسماة بالقدسية في التصوف والتحذير من البدع، والفية الإمام أبي محمد عبد الله الهبطي، المسماة الألفية السنية في تنبيه العامة والخاصة على ما غيروا في الملة الإسلامية، أما أبو عبد الله محمد الخروي الجزائري فقد كان على درجة عالية من العلم والتصوف، فقد كان جريئا أكثر في انتقاداته الموجهة لأدعياء الولاية والتصوف والعلم، حيث انه كان ينتهز فرصة سفارته إلى المغرب ليتصل بعلمائه ومرابطيه ويجري معهم مناقشات دينية وعلمية هامة وجريئة لم يكن يجامل فيها أحدا. **يراجع: عمار بن خروف، العلاقات... ج2، مرجع سابق، صص 141-142 - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، صص 433-434، - ابن عسكر دوحة الناشر، مصدر سابق وفيه ترجمة مستفيضة للعالم أبو عمر القسطلبي، الذي كانت له مناظرات مع الخروي، ص 108**

³ - هي مجموعة من الحكم عددها 264 حكمة، كتبها ابن عطاء الله السكندري وهو أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عيسى بن عطاء الله السكندري، أحد أركان الطريقة الشاذلية الصوفية التي أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي، من بين هذه الحكم التي هي في غاية الأهمية نذكر ما يلي:

1. إن رغبتك البدايات زهدتك النهايات، وإن دعاك إليها ظاهر نحاك عنها باطن، إنما جعلها محلا

للأغيار ومعدنا لوجود الأكدار تزهيدا لك فيها.

2. علم أنك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها.

والمسمى "فتح الباب الملتزم الجامع لبعض معاني كتاب الحكم"¹ كما ألف أبو العباس أحمد الصومعي التادلي وهو أحد مشاهير الصوفية في القرن10هـ/16م (ت:1013 هـ/1406 م) عده تأليف في مسائل ديني مختلفة ومعظمها في التصوف والتوحيد منها "كتاب مطالع الأنوار السننية في بعض معاني الحكم العطائية"² وهو شرح في أربع مجلدات للحكم العطائية كما وضع أحمد المنصور مؤلفا في التصوف سماه: "العود أحمد"³ وهو مجموع أذكار وأدعية¹ ويقال أن أحمد المقرئ، وقف عليه وأعجب به كثيرا²

3. العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف عن القلب قناعه.
4. خير علم ما كانت الخشية معه، فالعلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك.
5. متى ألمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك، فارجع إلى علم الله فيك، فإن كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك من الأذى منهم، إنما أجرى الأذى على أيديهم كي لا تكون ساكنا إليهم، أن أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء.
6. إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عن ناصيتك بيده، جعله لك عدوا ليحوشك به إليه، وحرك عليك النفس لتدم إقبالك عليه.
7. من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا، إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثبتت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر، إذ ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ولكن المتواضع هو الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع.
8. التواضع الحقيقي هو الناشئ عن شهود عظمته، وتحلي صفتة.
9. لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف، المؤمن يشغله الشاغل لله عن أن يكون لنفسه شاكرا، وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا.
10. ليس الحب الذي يرجو من محبوبه عوضا، أو يطلب منه غرضا، فإن الحب من يبذل لك، ليس الحب من تبذل له. يراجع: ويكيبيديا الموسوعة الحرة يوم، 2018/08/30، 17.11 سا

¹ - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم:ك 2516

² - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم:ص 722

³ - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم:4911 نسخة ملكية مذهب، كتبت لأحمد المنصور في قصر البديع أواسط ذي الحجة، عام 1009هـ/ 1601 م في أوائلها وأواخرها لوحات فنية رائعة زخرفت بالذهب والألوان المختلفة وكتبت صفحات كاملة بمحلول الذهب وزخرف سائرها بالذهب والألوان والمجموعة كلها مكتوبة بخط مغربي جميل جدا. يراجع، محمد حجي الحركة الفكرية ج1، ص 148، الهامش رقم:75

د - كتب اللغة والأدب:

ألف علماء العصر السعدي عشرات الشروح والحواشي على كتب النحو والصرف والبلاغة والعروض التي اعتمدها في الدراسة، كالشافية³ لابن الحاجب والألفية ولامية الأفعال لابن مالك ووضع علماء ذلك العصر كتباً أخرى مستقلة في مواضيع متعددة، قاموا بتدريسها للطلبة مثل إمداد بحر القصيد بحري أهل التوليد⁴ للإمام ابن غازي. وتحفة الأدب في ذكر مسائل من كلام العرب⁵ لقاسم ابن القاضي وهذا الكتاب فريد من نوعه في العصر السعدي وهو مؤسس على مقدمة وسبعة عشر باباً وخاتمه تحدث المؤلف في المقدمة عن الأدب فجعله أصنافاً ثلاثة:

- 1- أدب طبعي كالكرم والمروءة والشجاعة
- 2- أدب كسبي كالنحو واللغة والشعر والتاريخ
- 3- أدب صوفي وهو ضبط الحواس ومراعاة الأنفاس⁶

ولم تشهد علوم اللغة والأدب أي تجديد خلال هذا القرن وظلت المؤلفات التي كانت معتمدة أثناء العهد المريني هي نفسها المستعملة في مجال التدريس واستأثر بعضها باهتمام الدارسين مثل

¹ - وهو في أول مجموع ضخم يضم أورادا وأحزاباً صوفية، للشاذلي وابن وفا السهروردي وابن جابر الغساني وغيرهم باختيار وجمع أحمد المنصوري نفسه، رتب المنصور كتابه العود أحمد ثمانية أبواب استعرض في أولها الوظائف اليومية والليلية من وقت الانتباه من النوم إلى وقت الإضجاع، واتي في الأبواب التالية بالأذكار الخاصة بالصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد والنكاح والأكل والشرب والسفر، وختم بذكر فضائل سور القرآن، وصيغ الصلاة على النبي عليه السلام والتعوذ بالله تعالى. - يراجع، محمد حجي الحركة الفكرية ج1، ص148

² - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، 434

³ - كنز المطالب على شافية ابن الحاجب لسعيد الماغوشي، كتبه بأمر من أحمد المنصور الذهبي، يوجد فقط الجزء الأول منه مخطوطاً بمكتبته الاسكوريال 20رقم: وهو في مجلد ضخم من 269 ورقة، من الحجم الكبير. يراجع: محمد حجي الحركة الفكرية ج1، ص150 الهامش رقم، 90

⁴ - مخطوطه في مكتبته القرويين رقم: 1314 مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم: 603

⁵ - مخطوط بالمكتبة الملكي بالرباط رقم: 53. وبعد أن أورد المؤلف في المقدمة اسم الكتاب وضع عليه خطأ وكتب بالهامش، ضوء الصباح لتكميل الإيضاح - يراجع: محمد حجي الحركة الفكرية ج1، ص153، الهامش: 112

⁶ - محمد حجي، الحركة الفكرية ج1، مرجع سابق، ص153

"الآجرومية"¹ وكتاب "سيبويه في النحو" و"تلخيص المفتاح" للخطيب القزويني فكتبوا لها مختصرات وحرروا حولها شروحا ووضعوا لها أنظاما منها شرح مقدمة ابن أحرور للحسن الزياتي²، وشرح شواهد الشريف على الآجرومية لأحمد الدقون(ت: 921هـ/1515م)³

هـ - كتب التراجم والفهارس والرحلات:

عرف التأليف في مجال التراجم خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي حركة نشيطة، ومرد ذلك الى الجانب الديني الذي صبغ هذا العصر، فجعل عددا من المؤلفين يهتمون كثيرا في مؤلفاتهم بوضع تراجم ومناقب لبعض الشخصيات التي كانت تؤثر فيهم من الصوفية والفقهاء والعلماء ممن عاصروهم، أو تتلمذوا على أيديهم⁴. ويستعرض لنا ليفي بروفنسال عددا هاما ممن ألف في التراجم في القرن 10هـ/16م، ومن أمثلة ذلك:

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن غازي من أبرز مؤلفاته "التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد" و"الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"⁵ وقد ألفه في آخر حياته وقد

¹ - إسما المقدمة الاجرومية ألفها أبو عبد الله محمد الصنهاجي، الذي يعرف باسم ابن أحرور وهو فقيه ونحوي، ولد بفاس سنة 672 هـ / 1323 م وتعتبر الاجرومية من أهم المتون في النحو. لاتكاد تحصى شروح المقدمة الاجرومية وحواشيتها وأنظامها في هذا العصر، منها الشمط المنظوم من جوهرة ابن احرور للعربي الفاسي، مخطوط بتطوان رقم 542. يراجع: محمد حجي الحركة الفكرية ج1، ص150، الهامش رقم، 93. ولمعرفة محتوى الأجرومية يراجع: أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، متن الاجرومية، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، الملكة العربية السعودية، 1419 هـ / 1998 م

² - مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط رقم: 1202

³ - مخطوطات كثيرة بالرباط وتطوان وتونس ومن احسنها مخطوط المكتبة الملكية بالرباط رقم: ر 3890 - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، 434

⁴ - هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، مرجع سابق، ص 619

⁵ - كتاب مطبوع من تحقيق عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة تراجع: الطبعة الثانية 1408هـ/1988م، المطبعة الملكية بالرباط، تحتوي على 75 صفحة

وقد جزأه الى ثلاثة أقسام، الأول لوصف الآثار والغراسات والأنهار والثاني لذكر الأحداث التاريخية والثالث للتعريف بالرجال¹

أبا عبد الله محمد بن علي بن عمر بن حسين بن مصباح المشهور بابن عسكر صاحب كتاب دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر²، يتضح من عنوانه أن ابن عسكر خصصها لتسجيل مناقب من كان بمغرب القرن العاشر هجري من مشايخ وأعلام، ولكن لم يكونوا كلهم علماء بل من أهل الصلاح والبركة و التابعين لطريقة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي، وهو بذلك يعد المؤرخ الأول للحركة الجزولية بالمغرب³

أما كتب الرحلات فهي متنوعة وفي هذا الإطار نشير إلى أبرزها خلال هذا القرن وهي:

- وصف إفريقيا لحسن الوزان المعروف بليون الافريقي، الذي سجل فيه مشاهداته وارتساماته عن البلدان التي زارها، أثناء رحلته التي قادته الى جهات مختلفة من إفريقيا

- النفحة المسكية في السفارة التركية لعلي بن محمد التمجروقي والتي دون فيها رحلته الى الديار العثمانية وزار خلالها عددا من البلدان العربية وخصص قسما من الوصف لبلدان المغرب⁴

و - العلوم العقلية : اعتنى علماء العصر كذلك بالعلوم العقلية وخصصوا لها حيزا فيما ألفوه، وإن كان لم يرق إلى مستوى العلوم النقلية، ووضع الإمام محمد بن غازي رجزا من مائتين وخمسين بيتا في الحساب سماه منية الحساب⁵ وشرحا للمنظومة المذكورة سماه بغية الطلاب على منية الحساب، واهتم المؤلفون بعلم الفلك والتنجيم والتوقيت فكتبوا شروحا على كتب ابن البناء

¹ - ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفا، تع، عبد القادر الخلاصي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ/ 1977م، صص 156-157

² - من تحقيق المرحوم، محمد حجي، ط2، الرباط، 1397هـ/1977م، يحتوي على 196 صفحة

³ - ليفي بروفنصال، مؤرخو الشرفا، مرجع سابق، صص 162-163

⁴ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 435

⁵ - مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم: 2243، يراجع: محمد حجي الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص

المراكشي¹ وألفوا في هذه العلوم كتباً مستقلة ومن ابرز العلماء الذين برزوا في هذا الميدان عبد الرحمن الأخرسي² الذي نظم رجلاً في الفلك سماه السراج وحظي كتابه باهتمام الباحثين وتناولوه بالشرح وظل عمدة للطلاب في المعاهد الإسلامية ودول المغرب والمشرق³، كما رصد لنا الباحث-المرحوم- محمد حجي مجموعة أخرى من المؤلفات العلمية، وعلى الرغم من قلتها فإنها تبدو لنا هامة جداً لأنها تنم عن روح البحث الذي امتاز به بعض علماء العصر السعدي وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منها ما يلي:

¹ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، مرجع سابق، ص 437

² - عالم ومصلح ديني (920 = 983هـ / 1514 = 1575م) نبغ في جميع العلوم العقلية والنقلية وله عدة مؤلفات في مختلف العلوم والفنون كالحساب والمنطق والفقه والنحو والكلام والتصوف، وقد حظيت مؤلفاته بإقبال كبير في المغرب والمشرق واعتنى العلماء بدراستها وشرحها، والشيخ الأخرسي لم فقيها فقط، بل كان عالماً موسوعياً، والدليل على ذلك المصنفات الكثيرة والمتنوعة التي صنّفها "الأخرسي" عليه رحمة الله، وهذه بعض مؤلفاته على سبيل المثال لا الحصر:

1- الجوهر المكنون في علم البلاغة

2- السراج في علم الفلك

3- السلم المرونق في علم المنطق

4- مختصر الأخرسي في الفقه المالكي

5- الجوهر المكنون في الأدب والبلاغة

6- الدرّة البيضاء في التروكات والحساب

7- أزهر المطالب في علم الأسطرلاب، في هيئة الأفلاك والكواكب

8- منظومة في قواعد الإعراب على كتاب مغني اللبيب

9- الدرّة البهية في نظم الأجرومية

10- رسالة في التحذير من البدع

يراجع: بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الأخرسي، العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ط2، مؤسسة بلاد للنشر، 2009م

³ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، صص 500-501-502-503

أجنحة الرغاب في معرفه الحساب¹ وهي المعروفة في سوس بالمنظومة السمالية لإبراهيم بن أبي القاسم السمالي وشرح كشف الأسرار عن علم حروف الغبار² لحسن الهشتوكي شرح كتاب أبي الحسن القلصادي الشهير في الحساب والجبر

ومن كتب الهندسة فتح الخبير بحسن التدبير لفك رموز الأكسيل في صناعه التكسير³ لأحمد بن القاضي وهو يحتوي على أشكال هندسية رسمت بعناية فائقة، وفي علوم الفلك والتنجيم والتوقيت كتبوا شروحا عديدة لكتاب اليسارة في تعديل السيارة لابن البناء المراكشي (ت:721هـ/

1321م) منها شرح لأحمد بن حميد المطرفي⁴ وخمسة شروح لروضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار لعبد الرحمان الجادري (ت:839هـ/1435م) وقد ألف الفلكيون في ذلك العصر كتب أخرى مستقلة نثرا ونظما منها جمع المهمات المحتاج إليها في علم الميقات⁵ لأحمد بن حميدة المطرفي بناه على مقدمتين وأربع وعشرين بابا مفصل القول في كيفية العمل بآلة الاسطرلاب⁶

خامسا: المنتجات العلمية لعلماء الجزائر خلال العهد السعودي:

بإشارتنا السابقة للأوضاع السياسية خاصة الجزائر في ظل التواجد العثماني، فإننا نريد بذلك وضع المتبع للأحداث إلى أن هذا الوضع السياسي له ارتباط وثيق بوضعية العلماء الجزائريين خاصة في تلمسان، إذ أن دعوة بعض أعيان تلمسان ومنهم العلماء الذين طلبوا من الإخوة بربوس ضرورة وضع حد لسياسة أبي حمو الثالث غير أن عددا آخر من العلماء التلمسانيين كانت لهم مواقف مناوئة للتواجد العثماني بالجزائر⁷ في الوقت الذي تطلع فيه السعديون لاحتلال تلمسان من طرف السلطان

¹ - مخطوط المكتبة العامة بالرباط رقم : 1647

² - مخطوط خاص بسوس، يراجع: محمد حجي الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص 157 الهامش رقم: 141

³ - مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط، رقم: 5455

⁴ - اسمه بالكامل: المقصد الأسنى في حل مقفل يسارة ابن البناء، مخطوط بالمكتبة العامة بالرباط رقم: 1596

⁵ - بالمكتبة العامة بالرباط رقم: 5471

⁶ - محمد حجي الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص 159

⁷ - محمد بوشناق، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني بالجزائر (ق10 - 13هـ/16-19م) مجلة

عصور الجديدة، العدد 02، عدد خاص، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1432هـ/2011م، ص 203 وما

بعدها

محمد الشيخ السعدي¹ وعندئذ كانت الرغبة ملحة من طرف هؤلاء العلماء لطلب النجدة من السعديين بالمقابل قامت منظومة الحكم العثماني بالجزائر بالانتقام من هؤلاء العلماء الذين فضلوا الهجرة الى المغرب² وبذلك وصلت الى المغرب أمواج كبيرة من الفقهاء والعلماء فرارا من اضطهاد الأتراك³ ويورد لنا الباحث محمد السعيد قاصري انتقال حوالي 15 عالما وفتيها الى مدينة فاس سنة 967هـ/1560م تعرّضوا الى محن وشدائد من طرف منظومة الحكم العثماني فاستجاروا بالسلطان عبد الله الغالب فاستجارهم ورحلهم من تلمسان الى فاس⁴ ومن خلال اطلاقنا على العديد من المصادر خاصة دوحه الناشر لابن عسكر وغيرها فإن مدينة فاس قد جلبت اليها معظم الفقهاء والعلماء من تلمسان ونواحيها خاصة العائلات التلمسانية الشهيرة التي اهتمت بالفقه كعائلة الونشريسي والمغيلي والمقري والعقباني ومعظم أفراد هذه العائلات كانوا يترددون بين تلمسان وفاس⁵ وقد ظلت مشكلة الحدود هي هاجس الحكام المغاربة، غير أن ذلك لم يكن يخطر ببال شعوبهم شعوبهم، خاصة العلماء والمثقفين منهم بصفة خاصة إذ أنهم لم يتقيدوا بفكرة الحدود عبر المراحل التاريخية المختلفة، وحتى في تلك الفترات التي وصلت فيها العلاقات السياسية إلى ذروة التوتر فكانوا يعتبرون الأقطار المغاربية وحدة متكاملة... إذ كان العلماء يشكلون مدرسة واحدة يتبادلون فيها المعارف⁶ كما أن أغلب حكام المغرب (وطاسين أو سعديين) كانوا يتميزون باحترامهم للعلماء

¹ -قاصري محمد السعيد، العلماء والفقهاء في الجزائر بين اضطهاد ونفي منظومة الحكم العثماني واستقطاب واستغلال منظومة الحكم السعدي والعلوي في المغرب، مرجع سابق، ص 218

² - نفسه، ص 218

³ - زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية-ثقافية خلال القرن 10هـ/ 16م، مرجع سابق، ص 411

⁴ قاصري محمد السعيد، العلماء والفقهاء في الجزائر بين اضطهاد ونفي منظومة الحكم العثماني واستقطاب واستغلال منظومة الحكم السعدي والعلوي في المغرب، مرجع سابق، ص 219

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج2، عالم المعرفة-الجزائر-طبعة خاصة 2011م، ص 67

⁶ - أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص 461

ومجالستهم ويصطحبونهم معهم، ويستشيرونهم ذلك أنهم كانوا هم آخذين من العلم بنصيب وافر¹ لقد وقع اختيارنا على مجموعة من المنتجات العلمية لبعض العلماء والفقهاء الجزائريين، الذين استوطنوا المغرب الأقصى أو هاجروا إليه ثم عاد بعضهم إلى الديار فيما بعد، والملفت للانتباه هو أن هؤلاء كان كل واحد منهم كان بمثابة مكتبة علمية متنقلة² ومن جملة هؤلاء العلماء نذكر مايلي:

1- أحمد بن يحيى الونشريسي أبو العباس التلمساني (834هـ / 1430م -

914هـ / 1509م) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، التلمساني الأصل والمنشأ، الفاسي الدار والمدفن، كان الونشريسي عالما أدبيا، وفقهيا متضلعا، وخطيبا مصقعا، ومنشأ بارعا، فاق أهل زمانه في عقد الشروط والوثائق وفي الكتابات السلطانية، لا يكاد يجاريه فيها أحد، تولى قضاء فاس مدة ثمانية عشر سنة ثم الفتيا³، يقول عنه أحمد بابا التنبكتي، "كان مشاركا في فنون العلم إلا أنه لما لازم تدريس الفقه يقول من لا يعرفه، أنه لا يعرف غيره، وكان فصيح اللسان والقلم، حتى كان بعض من يحضره يقول: لو حضر سيبويه لأخذ النحو من فيه"⁴

¹ -عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب خلال القرن

10هـ/16م، مرجع سابق، ص 122

² سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 424 . يشير سعد الله بقوله هذا إلى هجرة أحمد الونشريسي (صاحب المعيار) ونحن نعتقد جازمين أن هذا الوصف ينطبق على كل العلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى المغرب الأقصى في الفترة - موضوع البحث - فخرست البلاد على إثرها موردا هاما من موارد الثقافة الجزائرية

³ -بلشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية في المغربين الأوسط والأقصى من ق 6 إلى 9هـ، من خلال كتاب المعيار للونشريسي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي، اشراف غازي مهدي جاسم، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2010/2009م، ص 19

⁴ - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الدباج، عناية وتقديم، عبد الحميد عبد الله الهدامة، ط2، منشورات دار الكتاب طرابلس، 2000م، ص 135

مؤلفاته: يعتبر أحمد الونشريسي عالما موسوعيا شارك بكتب هامة هي من ذخائر الثقافة الإسلامية عبّرت عن طول نفس وعمق في العلم والاجتهاد¹ ومن أبرز مؤلفاته مايلي:

أ- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقيا والأندلس والمغرب: خرّجه مجموعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي ونشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، سنة 1401هـ/1981م ويحتوي على 13 جزءا² والكتاب يمتاز بنوازه الكثيرة التي تبرز الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية والفنية التي كان عليها الغرب الاسلامي، يأتي هذا الكتاب في قمة ما وصل اليه التأليف في النوازل، لأنه إعتد في مادته على المؤلفات الفقهية الضخمة التي ألفت في المغرب والأندلس طيلة القرون التي أعقبت انتشار المذهب المالكي، وكتاب المعيار لا يحتوي على نصوص الفقه النظرية فحسب بل أن قيمته الأساسية تكمن في أنه يقدم حصيلة خبرة المفتي أو القاضي النظرية منقولة الى مواقع العمل في المجتمع تطبيقا وتنفيذا في البيوت والأسواق والطرق وبيوت المال وقضايا التجارة والصناعة والزراعة والملاحة وميادين القتال والجهاد الى غير ذلك من مناحي الحياة اليومية³ وكتاب المعيار⁴ شأنه شأن كتب النوازل التي هي ليست ذخيرة فقهية فحسب، بل هي سجل شامل لسائر مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والعمرانية، وحتى العسكرية والسياسية⁵

¹ - أحمد بن يحيى الونشريسي، كتاب الولايات والخطط الشرعية ومناصب الحكومة الاسلامية، نشر وتعليق، محمد الأمين بالغيث، نشر مطبعة لافوميك، بدون تاريخ النشر، ص 11 - عن أسهاماته في الحركة الفقهية بالمغرب الاسلامي يراجع: بوشقيف عائشة، إسهامات أحمد بن يحيى الونشريسي في الحركة الفقهية ببلاد المغرب (ق9هـ/15م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 13، السداسي الأول، 2018م، صص 35-45

² - بلبشير عمر، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بالمغربين الأوسط والأقصى من ق 6-9هـ/12-15م من خلال كتاب المعيار للونشريسي، مرجع سابق صص 35-60

³ - عبد الواحد ذنون طه، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور من التواصل الحضاري مع المشرق، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، ط1435، 1هـ/2014م ص 169

⁴ - يراجع الملحقان رقمي: 04-05

⁵ - عبد الواحد ذنون طه، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور من التواصل الحضاري مع

المشرق، مرجع سابق، ص 170

ب- المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق: دراسة وتحقيق عبد الرحمان الأطرم. نشر دار البحوث للدراسات الاسلامية واهياء التراث، دولة الإمارات العربية المتحدة، حكومة دبي. احتوى هذا الكتاب على ستة عشر بابا، الخمسة عشر الأولى جعلها في بابآداب الموثق وأحكام الوثائق، و الباب السادس عشر في فتاوى ونوازل فقهية في كتابي النكاح والطلاق وما يتعلق بهما¹

ت- عدة البروق في جمع ما في المذاهب من الجموع والفروق: دراسة وتحقيق حمزة أبو فارس، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م يعتبر هذا الكتاب مرجعا مهما في مقاصد الشريعة الاسلامية باحتوائه على هذا العدد الضخم من الفروق التي تبين العلل في اختلاف الأحكام بين المسائل² إذ جمع فيه كثير من الفروق الفقهية، وذكر في مقدمته: أن الغرض من تأليفه هذا "ليستعان به على فك كثير من المتناقضات الواقعة في المدونة وغيرها من أمهات الروايات"³ وقد تنوعت مصادر هذا الكتاب ومنها المدونة ومختصر ابن عرفة و البيان والتحصيل لابن رشد وتبصرة اللخمي ونوادر ابن ابي زيد ومختصر ابن عبد الحكم ومختصر ابن الحاجب وأجوبة سحنون⁴

ث- ايضاح المسالك الى قواعد الامام أبي عبد الله بن مالك: دراسة وتحقيق الصادق عبد الرحمان الغرباني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م ذكر الونشريسي في مقدمة هذا الكتاب السبب الذي دفعه الى تأليفه وهو أن سائلا سأله أن

¹- أحمد بن يحيى الونشريسي، المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق، دراسة وتحقيق، عبد الرحمان بن حمود بن عبد الرحمان، ج1، ط1، دار البحوث للدراسات الاسلامية واهياء التراث، دولة الامارات العربية المتحدة، حكومة دبي، 1426هـ/2005م، ص13

²- أحمد بن يحيى الونشريسي، عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، دراسة وتحقيق، حمزة أبو فارس، دار الغرب الاسلامي-بيروت- 1410هـ/1990م، ص 52

³- عبد التواب سيد محمد ابراهيم جاد، جهود علماء الجزائر في خدمة الفقه الاسلامي، مجلة المدونة، العدد

03، السنة الأولى، ربيع الأول 1436هـ/كانون الثاني 2015م، ص 16

⁴- نفسه، ص54، 53

يجمع له ملخصا في الفقه يربط الفروع بأصولها ويكون سهلا للمأخذ محكم البناء¹. وقد اشتمل كتاب الونشريسي هذا على 124 قاعدة اشتملت في مجموعها على ما يزيد على ألف قاعدة فقهية مطبقة على تلك القواعد، وبعد أن ينتهي المؤلف من ذكر قاعدة وتطبيقها، كثيرا ما يذيلها بذكر تنبيه يحمل اعتراضا أو مناقشة لبعض أقوال العلماء التي مرّت في القاعدة² وقد تناول الونشريسي موضوعات شتى من أبواب الفقه وفي هذا الكتاب تناول ثلاثة أنواع من القواعد

- قواعد عامة متفق عليها بين الفقهاء

- قواعد عامة غير متفق عليها بين الفقهاء

- قواعد خاصة (ضوابط) مختلق عليها بين الفقهاء³

ج- كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية: نشر وتعليق محمد الأمين بالغيث، دار النشر، لافوميك، بدون ذكر تاريخ النشر، يتناول هذا الكتاب، والكتاب حسب المحقق يساعد على معرفة النظم في المغرب الإسلامي وتطور خطة القضاء⁴ وأحمد الونشريسي يعالج بالخصوص في رسالته هذه (أي هذا الكتاب) القضاء الذي يعتبر من أهم المناصب التي يطمح إليها العالم في ذلك العصر⁵

2- الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون أبو العباس (ت: 920هـ/1514م) جاء في سلوة الأنفاس للكتاني قوله: "هو الشيخ الفقيه العالم العلامة، الأستاذ المقرئ المتكلم الحافظ الضابط المطلع، المحقق المشارك أبو عبد الله، يعرف بسيدي شقرون لأنه كان أشقر اللون أحمر

¹ - أحمد بن يحيى الونشريسي، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله بن مالك، دراسة وتحقيق الصادق عبد الرحمان الغربياني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م

² - أحمد بن يحيى الونشريسي، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله بن مالك مصدر سابق، ص 39

³ - نفسه، ص 40

⁴ أحمد بن يحيى الونشريسي، كتاب الولايات والخطط الشرعية ومناصب الحكومة الإسلامية، مصدر

سابق، ص 05

⁵ نفسه، ص 15

العينين جهير الصوت، قدم على فاس ودرس بها، وكان من الفقهاء الأعلام¹ ويروي عنه صاحب دوحة الناشر قوله "أخذت عنه بواسطة، ولقيت من لقيه، توفي في العشرة الثالثة رحمه الله"²

ومن أبرز مؤلفاته مايلي :

أ- الجيش و الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين :قامت دار الصحابة للتراث - مصر- بتحقيقه ضمن الطبعة الأولى سنة 1412هـ/1992م ، كما عثرنا على رسالة ماجستير بجامعة الجزائر-معهد التاريخ- للطالب الباحث عبد القادر فكاير بإشراف الدكتور جمال قنان للسنة الدراسية 1995/1996 وهي دراسة للمخطوط، وهذا الكتاب هو فريد من نوعه يعرض للحائر دليل الرشاد والسكينة، و الكتاب يعرض للقارئ مسائل فقهية هامة وجليلة وهي من أخطر قضايا العصر وتمثل في تكفير العوام من المسلمين أو بالأحرى قضية إيمان المقلد وما أثير حولها من شبهات وتحليل³ ومن أبرز الأسئلة التي يجيب عنها هذا الكتاب هل إيمان المقلد في العقائد ولا يعرف الدلائل والبراهين وينطق بالشهادتين لأكثر. صحيح أم هو كافر وإيمانه فاسد؟ وهل تصح إمامته وشهادته أم لا؟ وهل يطلب من عوام المسلمين الذين لا قابلية فيهم معرفة الدليل والبرهان أم لا⁴

ب- جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان: حقق هذا الكتاب وعلق عليه كل من أحمد جلولي البدوي ورابع بونار، وقد صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر- بدون ذكر تاريخ النشر، أهمية الكتاب لا تتجلى في دراسة أساليب التعليم وطرقه، ولا في تفصيل موضوعات العلوم، وإنما تتجلى في اعطائه

¹ - الشريف أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3، مرجع سابق، ص 353

² - محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحة الناشر، مصدر سابق، صص 125-126، ينظر كذلك: عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والاسلامية، مرجع سابق، ص 118

³ -الجيش والكمين لقتال من كفر عامة المسلمين، ط1 ، دار الصحابة للتراث -مصر- 1412هـ/1992م، ص4، (انظر الملحق رقم: 02)

⁴ نفسه، ص 5

صورة حية عن واقع تاريخي للتعليم الابتدائي في المكاتب القرآنية لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة بتلمسان والمغرب عامة كما تتجلى في دراسة الأحكام الفقهية التي تتصل بالمعلمين وأجورهم وبالتلاميذ ومايدفعونه من أثمان مقابل تعليمهم، والكتاب يغلب عليه الطابع الفقهي أكثر من غيره¹

ت- تقييد على مورد الضمان: وهو عبارة عن فوائد قيدها مما تلقاه عن شيوخه بفاس، من تقاريرهم على «مورد الضمان»²

ث- تقريب المنافع للطرق العشر لنافع: وتعتبر هذه القصيدة نموذجاً من نماذج النظم التعليمية الذي برع فيه المغاربة بوجه خاص في هذه القراءة - قراءة الإمام نافع- واشتهروا فيه شهرة كبيرة وقد ألفها متأثراً بقصيدة الإمام المقرئ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن الصغار، وهي تقع في ثلاثمائة بيت، وقد نظمها وهو في العشرين من عمره. "يقول عبد الله سبحانه وتعالى محمد بن شقرون بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي النسب الوهراني المولد والنشأة لطف الله به آمين: بدأت بحمد الله معتصماً به = نظاماً بديعاً مكملًا ومسهلاً وثبتت بعد بالصلاة على الرضا = محمدنا والآل والصحب والملا وبعد فلما كان مقرأ نافع = أجل مقارئ القرآن وأفضلاً لما قيل فيه: إنه سنة بدار = هجرة خير المرسلين وكيف لا وقد أخذ الثبت المقدم مالك = به لا سواه من مقارئها العلا أتيت بنظمي في روايته التي = بعشر سمت مما يكون محصلاً

¹ - الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون أبو العباس، جامع جوامع الاختصار والبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق وتعليق، أحمد جلولي البدوي ورايح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر- بدون ذكر تاريخ النشر، ص7 (انظر الملحق رقم: 03)

² - للإطلاع على هذا المورد وما يتعلق به يراجع: محمد بن محمد الأموي الشريسي، الشهير بالخراز، منظومة الضمان في رسم القرآن والذيل في فن الضبط، ضبطه وصححه، عامر السيد عثمان، ط2، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، 1365هـ/1945م، كذلك: أبوعبد الله محمد بن عبد الله التنسي، الطراز في شرح ضبط الخراز، دراسة وتحقيق، أحمد بن أحمد شرشال، مكتبة الملك فهد الوطنية، المملكة العربية السعودية، 1408هـ/1987م

رواية ورش ثم قالون مثله = والأنصاري إسماعيل إسحاقهم ولا فالاثنان منهم الأولان ثلاثنة = لكل وباقيهم له اثنان فاعقلا¹

ج- فتوى محمد شقرون الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليما .

إخواننا القابضين على دينهم، كالقابض على الجمر، من أجزل الله ثوابهم، فيما لقوا في ذاته، وصبروا النفوس والأولاد في مرضاته، الغرباء القرباء إن شاء الله، من مجاورة نبيه في الفردوس الأعلى من جناته، وارثو سبيل السلف الصالح، في تحمل المشاق، وإن بلغت النفوس إلى التراق، نسأل الله أن يلطف بنا، وأن يعيننا وإياكم على مراعات حقه، بحسن إيمان وصدق، وأن يجعل لنا ولكم من الأمور فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، بعد السلام عليكم، من كتابه إليكم من عبيد الله أصغر عبيده، وأحوجهم إلى عفو، ومزيده، عبيد الله تعالى أحمد ابن بوجمعة المغراوي ثم الوهراني، كان الله للجميع بلطفه وستره، سائلا من إخلاصكم وغربتكم حسن الدعاء، بحسن الخاتمة والنجاة من أهوال هذه الدار، والحشر مع الذين أنعم الله عليهم من الأبرار، وموكدا عليكم في ملازمة دين الإسلام أمرين به من بلغ من أولادكم. إن لم تخافوا دخول شر عليكم من إعلام عدوكم بطويتكم، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وإن ذكر الله بين الغافلين كالحى بين الموتى، فاعملوا أن الأصنام خشب منجور، وحجر جلمود لا يضر ولا ينفع، وأن الملك ملك الله ما اتخد الله من ولد وما كان معه من إله. فاعبدوه، واصطبروا لعبادته، فالصلاة ولو بالإيماء، والزكاة ولو كأنها هدية لفقيركم أو رياء، لأن الله لا ينظر إلى صورتكم ولكن إلى قلوبكم، والغسل من الجنابة ولو عوما في البحور، وإن منعتم فالصلاة قضاء بالليل لحق النهار، وتسقط في الحكم طهارة الماء، وعليكم بالتييم ولو مسحاً بالأيدي للحيطان، فإن لم يمكن فالمشهور سقوط الصلاة وقضاؤها لعدم الماء والصعيد إلا أن يمكنكم الإشارة إليه بالأيدي والوجه إلى تراب ظاهر أو حجر أو شجر مما يتييم به، فاقتصدوا بالإيماء، نقله ابن ناجي في شرح

¹ - نقلا عن موقع المكتبة الشاملة، يوم 2018/01/23 الساعة: 17:00

الرسالة لقوله عليه السلام: فأتوا منه ما استطعتم. وإن أكرهوكم في وقت صلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية، وأنووا صلاتكم المشروعية، وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم، ومقصودكم الله، وإن كان لغير القبلة تسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الإلتحام، وإن أجبروكم على شرب الخمر، فاشربوه لا بنية إستعماله، وإن كلفوا عليكم خنزيرا فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم، ومعتقدين تحريمه، وكذا إن أكرهوكم على محرم، وإن زوجوكم بناتهم، فجائز لكونهم أهل الكتاب، وإن أكرهوكم على إنكاح بناتكم منهم، فاعتقدوا تحريمه لولا الإكراه، وأنكم ناكرون لذلك بقلوبكم، ولو وجدتم قوة لغير تموه. وكذا إن أكرهوكم على ربا أو حرام فافعلوا منكرين بقلوبكم، ثم ليس عليكم إلا رؤوس أموالكم، وتتصدقون بالباقي¹

3 - الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت 955هـ / 1549م)

تتفق كل المصادر التي ترجمت للونشريسي على أن إسمه هو عبد الواحد بن احمد بن يحيى الونشريسي الفاسي، ويكنى بأبي محمد، ولد بفاس بعد سنة 880 هـ/ وتوفي قتيلا سنة 955 هـ. يعد العلامة عبد الواحد الونشريسي واحدا من أساطين العلم والفكر في المغرب الاقصى خلال النصف الاول من القرن العاشر كما تدل عليه شهادات من ترجموه وتؤكدده المصنفات و المؤلفات التي خلفها خاصة في الفقه واللغة، فهو فقيه نحوي أديب جمع بين الفتيا والقضاء والتدريس²، ويقول عنه أحمد المنجور في فهرسه: "شيخنا الفقيه النحوي الأديب المحقق الفصيح العبارة اللطيف الاشارة المفتي الخطيب"³ ومن أبرز مؤلفاته مايلي :

أ- **النور المقتبس من قواعد مذهب مالك بن انس**: قام بتحقيق هذا الكتاب كل من سالم أنيس والحسان بوقدون، الطبعة الأولى صدرت عن دار ابن حزم-بيروت-

¹ - جمال يجياوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين، دار هومه، الجزائر، 2000م، ص 265، 266 و 267

² - أبي محمد عبد الواحد بن أحمد الونشريسي، **النور المقتبس من قواعد مذهب مالك بن أنس**، تق، تح، تع، سالم أمين، الحسان بوقدون، ط1، دار ابن حزم ، بيروت، لبنان، 1437 هـ/2016م، صص 19-20

³ - أحمد المنجور، **فهرس أحمد المنجور**، تح، محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط،

2016، يعتبر هذا الكتاب¹ نظماً فريداً في بابهِ فهو نظم شامل جامع مهذب الفصول مبني الأصول، وقد نظم فيه كتاب أبيه "إيضاح المسالك" نظماً مستوفياً في أرجوزة زادت على ألف وخمسمائة بيت، وزادها قواعد بأمثلتها وصوراً من مختصر ابن عرفة وغيره وأضحت المنظومة تميماً وتكميلاً لعمل والده²، ومن أبرز ما جاء في هذه النظم قوله:

هذا كتابٌ من سنّاه يُقتبس
أوردت فيه ما عليه يئني
مُجلياً عنها غياهب العسق
حدوث فيه حدو والدي قضى
فَهُم قَوَاعِدُ الإِمَامِ ابْنِ أَنَسٍ
مِنَ الفُرُوعِ لِلْفَقِيهِ المَعْتَنِ
وَنَاطِماً مِنْهَا الشَّيْثِ فِي نَسَقٍ
رِي لَهُ بِالْعَفْوِ عَنْهُ والرَّضَى
مُنْتَقِياً لُبَابَ مَا حَصَلَهُ
كِتَابُ إِيضَاحِ المَسَالِكِ لَهُ

ولم يكتب الناظم بنظم كتاب إيضاح المسالك بل زاد عليه جملة من القواعد، وهو ما صرح به في قوله:

فالنذكر القواعد المزيدة مستوها من ربا تسديده³

وله كذلك: شرح رسالة بن أبي زيد القيرواني⁴ وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي⁵
وله كتاب: "إيضاح المسالك الى قواعد الإمام مالك"، إذ جمع فيه كثيراً من القواعد الفقهية التي بناها على الخلاف الفقهي المالكي¹

¹ - انظر الملحقان : 12 - 13

² - احمد بابا التمكني، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مصدر سابق، ص 289

³ - موقع الرابطة المحمدية للعلماء المملكة المغربية، مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي، يوم 2018/02/23 الساعة: 3:16

⁴ - للإطلاع على رسالة ابي زيد القيرواني يراجع: الإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، الرسالة في فقه الإمام مالك، ضبط وتصحيح الشيخ عبد الوارث محمد علي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

⁵ - يراجع في هذا المجال، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر بن ابي بكر ابن الحاجب المالكي، جامع الأمهات أو مختصر ابن الحاجب الفرعي، تحقيق وتعليق، أبي الفضل بدر العمراني الطنجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م

4- المقري أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس (ولد سنة 986 هـ/1578م توفي

سنة: 1041 هـ /1631م) أبو العباس احمد بن محمد بن أحمد المقري القريشي التلمساني ثم الفاسي،العلامة الكبير الاديب البارع المؤلف الشهير،صاحب كتاب نفع الطيب،وازهار الرياض وغيرها كان أعجوبة الزمان في القدرة على الكتابة المسجعة المنمقة،وقرض الشعر المحلى بأنواع البديع،كما كان فقيها محدثا،أقام مدة في الزاوية الدلائية يدرس الحديث علي يد محمد بن ابي بكر الدلائي،وكان هذا الشيخ يعجب بقوه حافظه المقري وسرعة إدراكه،ولكنه كان يفتقد فيه الثبت والتحري اللازمين في الروايه فيحرجه على طريقة المحدثين ويقول عنه إنه "حافظ ظابط غير ثقة"²،تولى أحمد المقري منصب الفتوى والخطابة سنة 1022هـ،واشتغل بالتدريس في كل من فاس ومراكش،كثير الآخذون عنه وأقبل الفقهاء والعلماء والمثقفون على قراءة كتبه الدينية والأدبية والعلمية،وتنافسوا في استنساخها،ومن بين المواد التي كان يدرسها:موطأ الامام مالك،ورسالة ابن أبي زيد القيرواني،ومختصر خليل،وابن الحاجب³

وعائلة المقري عائلة عريقة مالا وعلما أشهر أفرادها(علما وثقافة)ثلاثة وهم:أولهم عبد الله محمد المقري الكبير المتوفى سنة759هـ/1359م،وهو شيخ لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون،وقاضي الجماعة بفاس على عهد السلطان أبي عنان المريني.وثانيهم هو أبو عثمان سعيد المقري،عم أبو العباس المقري،وشيخه ومريه،وعالم تلمسان ومفتيها ستين سنة،وخطيب مسجدها أكثر من أربعين سنة،وثالثهم هو أبو العباس أحمد المقري (الذي نحن بصدد الحديث عنه)⁴

مؤلفاته: بلغت مؤلفات المقري ثمانية وعشرين تأليفا طبع بعضها وبقي أغلبها مخطوطا وأهمها:

¹ - عبد التواب سيد محمد ابراهيم جاد، جهود علماء الجزائر في خدمة الفقه الاسلامي،مرجع سابق،ص 16

² - محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مرجع سابق، ص 115

³ - الباشي سالم، الحركة الحديثة بالمغرب في العهد السعودي،مرجع سابق،صص 61-64

⁴ - عن حياة أبو العباس المقري وجذور أسرته يراجع:- أبي العباس أحمد المقري، رحلة المقري الى المغرب والمشرق، تح، محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1425هـ/2004م، صص 5-

15- محمد عبد الغني حسن، المقري صاحب نفع الطيب،الدار القومية للطباعة والنشر(د.ت)ص 12

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: الكتاب يعتبر موسوعة أدبية وينقسم الى قسمين، القسم الأول يخص الأندلس تاريخيا وجغرافيا وبشريا، والقسم الثاني يخص التعريف بابن الخطيب أسرة وموطنا ونشأة وتكويننا وقد حقق هذا الكتاب تحقيقا علميا الدكتور إحسان عباس في ثمانية مجلدات¹

- أزهار الرياض في أخبار عياض وما يناسبها مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض: الكتاب عبارة عن موسوعة أدبية وتاريخية ألفها حول حياة القاضي عياض وكل ما يتصل بأخباره، وفيه كثير من الفوائد التاريخية والأدبية والدينية وغيرها وما يتصل بالأندلس والمغرب الأقصى، طبع الكتاب في خمسة أجزاء من طرف اللجنة المشتركة لنشر التراث العربي سنة 1978م²

- روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيتهم من اعلام الحضرتين مراكش وفاس: موضوع الكتاب تراجع للعلماء والأدباء الذين لقيهم واجتمع بهم في المغرب أثناء رحلته الأولى إليه وبث فيه نصوصا نثرية ومقاطع شعرية كما ترجم فيه لشيوخه الذين أجازوه وأخذ عنهم هناك³

وهناك العديد من المؤلفات الأخرى بعضها في حكم المفقود منها:

- حاشية على شرح السنوسية في التوحيد

- أنواء نيسان في أنباء تلمسان

- عرف النشق في أخبار دمشق

- فتح المتعال في وصف النعال

- حسن الثنا في العفو عن جنى

- الدر المختار من نوادر الأخبار

¹ - محمد عبد الغني حسن، المقري صاحب نفع الطيب، مرجع سابق، ص510

² - أحمد بن محمد المقري التلمساني، رسائل المقري، دراسة وتحقيق، أسماء القاسمي الحسني، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011، ص200

³ - أحمد بن محمد المقري التلمساني، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، المكتبة الملكية-الرباط-ط1403، 2هـ/1983م

- زهر الكمامة في أخبار العمامة¹

ونظرا لما تقتضيه هذه الورقة البحثية فإننا نقتصر على ذكر هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر، إذ أن هناك عدد هائل من العلماء الذين هاجروا الى المغرب الأقصى ومكث عدد كبير منهم هناك وتولوا عدة مناصب هامة أبرزها الإمامة والخطابة والقضاء ومنهم: أحمد بن محمد العبادي التلمساني (توفي حوالي 940هـ/1533 م) ابن جيدة الوهراني أحمد بن محمد بن يحيى (ت 951هـ / 1544م) علي بن موسى بن علي بن هارون أبو الحسن (871 هـ - 1466م / 951هـ - 1545م) العقباني أحمد بن محمد أبو العباس (ت 980هـ / 1572 م) أحمد بن يعقوب العبادي أبو العباس التلمساني (ت 980هـ / 1572 م) ابن جلال الوعزاني المغراوي التلمساني محمد بن عبد الرحمان (908هـ - 1502 م / 981 هـ - 1573م) محمد شقرون الوجديجي بن هبة الله التحيني التلمساني (ت 983 هـ / 1575م) محمد الحاج بن أحمد المري التلمساني (ت: 989هـ / 1581 م) محمد بن أحمد التلمساني (ابن الوقاد التلمساني) (ت 1001هـ / 1592 م) محمد بن أحمد التلمساني (ت: 1018هـ / 1609 م)²

وخلاصة القول :

- أن هناك تواسلا ثقافيا من خلال هجرة هؤلاء العلماء، لأنهم نقلوا علومهم وأفكارهم الى المغرب، وأنهم علماء دين بالدرجة الأولى من خلال مؤلفاتهم أولا ومن خلال المناصب التي أسندت إليهم كالخطابة والقضاء والإفتاء ثانيا
- أن المغاربة شعبا وسلطة لم ييخلوا من تقديم يد المساعدة لهؤلاء المهاجرين بل وصل بالبعض من سلاطينهم الى تفضيلهم عن العلماء المغاربة، وذلك لأهداف وغايات سياسية أكثر منها دينية
- إن هجرة علماء الجزائر (خاصة من تلمسان) الى المغرب الأقصى، في الفترة المدروسة، لم تكن إعتباطية بل كانت انعكاسا لأوضاع متردية عاشها العلماء منذ نهاية القرن 09 هـ / 15 م

¹ - أبو عمران الشيخ وناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، مرجع سابق، ص 511

² - للإطلاع على مناصب هؤلاء العلماء وتأثيرهم في الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى آنذاك يراجع: مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال ق10هـ/16م، مرجع

وطيلة القرن الموالي فكانت وجهتهم مدينة فاس حاضرة المغرب الأقصى آنذاك ومنازة العلم و العلماء وإنّ المتتبع قوائم أسماء أولئك العلماء الذين هاجروا من تلمسان وضواحيها إلى المغرب الأقصى خاصة مع منتصف القرن ال 10 هـ / 16 م يدرك يقينا بأن كنوزا ثقافية قد هاجرت أو هجرت، لسبب أو لآخر، وهو ما نتج عنه استفادة المغرب الأقصى من تواجد هؤلاء العلماء استفادة علمية وسياسية معا، وبالمقابل تراجعت الثقافة الجزائرية وتدنى مستواها بسبب ما تركه هؤلاء العلماء من فراغ كبير¹.

دور العلماء الجزائريين في الحياة الثقافية (العلمية) بالمغرب:

لعب العلماء الجزائريون دورا هاما في الحياة العامة بالمغرب الأقصى، وخاصة الجانب العلمي، واتضح ذلك جليا في تقلدهم الخطط العلمية الهامة والتي كانت همزة وصل بينهم وبين الشعب المغربي، ولولا قدرتهم على تقلد هذه المناصب الحساسة لما منحت لهم، ولما تمكن سلاطين المغرب آنذاك، من الوثوق بهم. ومن أبرز هذه الخطط نذكر مايلي:

أ- الخطابة:

جاء في المعجم الوجيز: خطب الناس وفيهم وعليهم خطابة وخطبة، ألقى عليهم خطبة وخاطبه مخطابة وخطابا كالمه وحادثه ووجه إليه كلاما، ويقال خاطبه في الأمر حدثه بشأنه، والخطيب من يقوم بالخطابة في المسجد وغيره² والخطابة جمع لكلمة خطبة وهي لون من ألوان النثر الفني وهي مصدر كالخطاب، بمعنى توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ويعتني بما التحدث الى جمهور من الناس في أمر من الأمور مشافهة بقصد استمالتهم وإقناعهم بهذا الأمر³.

عرف الأقدمون علم الخطابة بأنه مجموع قوانين تعرف الدارس التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب فهو يعنى بدراسة طرق التأثير ووسائل الإقناع وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات وما ينبغي

¹ - مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال ق10هـ/16م

، مرجع سابق، ص 115 وما بعدها

² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، دار التحرير، للطبع والنشر، 1989م، ص

202

³ - عبد المنعم صبحي أبو شعيشع أبو دنيا، فن الخطابة استعداد وإعدادا، كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

بطنطا، جامعة الأزهر، الجمهورية المصرية، (د.ت) ص 22

أن يتجه إليه من المعاني المختلفة وما يجب أن تكون عليه أفاض الخطبة وأساليبها وترتيبها¹، والإمامة هنا ليست الإمامة الكبرى التي هي الخلافة وإنما إمامة الصلاة أو الإمامة الصغرى، والتي يقول عنها ابن خلدون "إنها أرفع الخطب الدينية الشرعية كلها"² والإمام هو الذي يخطب في جموع المصلين يوم الجمعة وتتضمن الخطبة موعظة جامعة بكلمات فيها ترغيب وترهيب تكون بليغة مرتبة مبنية الموضوع يعالجه فيه أمرا ونهيا³. وقد كان الخطيب يؤدي صلاة الجمعة والعيدين، وقد يجمع له بين الخطابة والإمامة في مسجد واحد، كما كان بعضهم يعمل كإمام في مسجد وخطيب في آخر، وتستلزم الخطابة شروطا كإفصاح وجودة الصوت وسعة الاطلاع والجرأة الأدبية⁴

إن الخطيب لا يواجه فردا أو اثنين ولكنه يلاقي جمهورا غفيرا ومع كثرته متعدد المستويات متنوع الثقافات ويفرض ذلك صوتا عاليا وانفعالا بما يقول، ويتميز الخطيب بلون من الأداء فليس هو بالقاص الذي يسرد الوقائع سردا، ولا مؤرخا يحكي أحداث التاريخ بصوت رتيب لكنه يعبر عن معانيه بما يناسبها من الأداء الصوتي علوا وانخفاضا رقة وقوة، مدا وقصرا وبذلك يشترك الأداء المعبر مع اللفظ في إحداث التأثير لدى المستمعين⁵ وربما كانت الخطابة أقدم الفنون الأدبية، والخطيب الملهم يخاطب العواطف، وقل أن يأبه للعقل وذلك أن الناس إذا اجتمعوا شملهم إدراك آخر غير إدراكهم الشخصي، وأنهم اذا اجتمعوا تغلبت عواطفهم على عقولهم، ولهذا كانت عيون الخطب التي حفظها التاريخ قليلة معدودة، لأن الخطبة ينطق بها الخطيب أمام الحشد ويعبرها فيضا من شخصيته من حيث

¹ - محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، مطبعة العلوم، ط1 مصر، 1335، هـ/1934م، ص01

² - ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 408

³ - نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان (ق7هـ الى ق10م) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، اشراف محمد بن معمر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبي بكر بالقايد، 2010/2009م، ص191

⁴ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 395 - فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، (1830/1520م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، اشراف، محمد بن معمر، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2014/2013م، ص431

⁵ - عبد المنعم صبحي أبو شعيشع أبو دنيا، فن الخطابة استعداد وإعدادا، مرجع سابق، ص24

انطلاق اللسان ورشاقة الحركة وجهارة الصوت¹، وتعدد الخطب وتباين حسب موضوعاتها، ومنها الخطب السياسية والخطب القضائية والخطب الدينية والخطب العسكرية والمحاضرات العلمية وخطب التأبين وخطب المدح والشكر²

اشتهر علماء تلمسان خاصة في عهد الدولة الزيانية بالخطابة، وكان للبيوتات العلمية³ دور هام في ذلك ونذكر على سبيل المثال لا الحصر:

خطيب مسجد العباد: محمد بن مرزوق هو عم ابن مرزوق الخطيب والذي ذكره في المناقب فقال "عمي الحاج الصالح أبو عبد الله فعلمه وصلاحه دفع السلطان أبا الحسن المريني إلى تعيينه في منصب إمامة وخطبة مسجد العباد العظيم، وقال عنه ابن خلدون "وكان مرزوق عمه محمد بن خطيبا به على عادتهم بالعباد"⁴

خطيب الخطباء ابن مرزوق الخطيب: بعد عودته من المشرق في رحلته الثانية إلى المغرب سنة 737 هـ / 1337م أقام بتلمسان وتولي الخطابة بمسجد العباد، ومن العباد بدأ يبرز ابن مرزوق

¹ - سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، مطبعة الهلال، مصر، 1924م، صص 5-6
² - محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، مرجع سابق، ص 176. يشرح الباحث محمد أبو زهرة هذه الأنواع من الخطب بنوع من السلاسة والإسهاب وإعطاء أمثلة دقيقة في مجموعة من صفحات هذا الكتاب ابتداء من ص 177 إلى غاية ص 251. كما أن هناك نماذج متعددة من الخطب في مجالات شتى عربية وفرنجية يراجع: أنور أحمد خطباء صنعوا التاريخ، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة (د، ت) - سلامة موسى، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، مطبعة الهلال، مصر، 1924م

³ - البيوتات العلمية: لغة: بيت مفرد جمعه "بيوت" وأبيات وجمع جمع بيوتات وأبيات، والبيت هو السكن الذي يأوي إليه الإنسان، ويتفق اللغويين في أن من معاني البيت الشرف، وهو ما ذهب إليه ابن منظور بقوله من أن العرب تقول فلان بيت قومه، أي شريفهم، ويقال بيت العرب أي شرفها، والبيت من بيوتات العرب الذي يضم شرف القبيلة، إصطلاحا: أكثر التعاريف دقة ما ذهب إليه ابن خلدون من أن "معنى البيت أن يعد الرجل في آباءه أشرفا مذكورين، تكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجلته في أهل جلدته، لما قر في نفوسهم من تجلته سلفه وشرفهم بخلالهم" يراجع: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق العربية، مصر، 2004م، ص 78 - جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص 393 (مادة بيت) - ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 137

⁴ - نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان (ق7هـ إلى ق10م)، مرجع سابق، ص 193

بصاحة لسانه وبيان خطبه وجزيل عباراته حتى وصفه يحيى بن خلدون بقوله: "الخطيب المصقع¹ ذو وجهة عند السلطان" فهو البليغ المتفنن في مذاهب القول كان في خطبه يوسف السلطان أبي الحسن ويشيد بذكره فأصبح من مقربيه ومن خاصته². ومن المنابر التي خطب عليها ابن مرزوق، منبر جامع الحمراء، وجامع غرناطة، ثم استدعاه سلطان المغرب أبو عنان فأكرمه، كما تولى الخطابة في جامع الموحدين بتونس سنة 765هـ/1364م³

وفيما يخص العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى -خلال الفترة موضوع البحث - في فن الخطابة "خاصة في المجال الديني" فقد اشتهر منهم كل من:

- علي بن موسى بن علي بن هارون أبو الحسن(871هـ - 1466م / 951هـ - 1545م)
- ابو زيد عبد الرحمان بن محمد التلمساني ابن الوقاد (ت: 1075 هـ / 1649)
- الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت 955هـ / 1549م)
- ابن جلال الوعزاني المغراوي التلمساني محمد بن عبد الرحمان(90هـ - 1502 م / 981 هـ - 1573م)
- محمد شقرون الوجدجي بن هبة الله التجيني التلمساني (ت 983هـ / 1575م)
- أبو الطيب البسكري (ت: بعد 987هـ / 1579م)
- محمد الحاج بن أحمد المري التلمساني (ت: 989هـ / 1581م)
- محمد بن أحمد التلمساني (ابن الوقاد التلمساني (ت : 1001هـ / 1592م)
- ابو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت: 999هـ / 1594م)
- احمد بن يوسف الزياتي (ت: 1003هـ / 1594م)
- احمد بن محمد بن عبد الرحمان بن جلال (ت 1045 هـ / 1635م)

¹ - المصقع: هو الخطيب البليغ العالي الصوت من لا يرتج عليه في كلامه ولا يتتبع يراجع: فيروز آبادي القاموس المحيط، ص 665

² - يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشره ألفريد بل، المجلد الثاني، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية في الجزائر، 1911م، ص 115

³ - نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان (ق7هـ الى ق10م)، مرجع سابق، صص 195-196

-ابو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة(ت:1066هـ/ 1656م)¹

ب- القضاء: تعريفه لغة

كلمة القضاء مصدر جمعها أقضية، وفعلاها قضى يقضى أي حكم، وفي القاموس القضاء ممدود ومقصور وقضى عليه قضاء وقضيا، ورجل قضى، سريع القضاء واستقضى صار قاضيا² والقضاء لفظ مشترك بين عدة معان، ويستعمل بعده استعمالات منها:

القضاء بمعنى إحكام الشيء وإمضائه ومنها قوله تعالى: "وقضينا إلى بني إسرائيل"³ ويأتي القضاء بمعنى الفراغ من الشيء ومنه قولهم قضى حاجته أي نالها وبلغها وفرغ منها، ويكون بمعنى الآداء والإنهاء ومنه قولهم قضى دينه، وقوله تعالى "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض"⁴ أي أدبتم صلاة الجمعة

التعريف الشرعي:

عرف الفقهاء القضاء بتعريفات كثيرة ولكنها متشابهة وكلها ترجع إلى معنى واحد، فعرفه فقهاء الشافعية بقولهم "القضاء هو فصل الخصومة بين اثنين فأكثر بحكم الله تعالى" وقالوا أيضا هو إمضاء الشيء وإحكامه⁵، ويعرف كذلك بأنه: "سلطة الفصل بين المتخاصمين وحماية الحقوق العامة بالأحكام الشرعية"⁶ ويعتبر القضاء جزء من أجزاء الشريعة الإسلامية، ويهدف القضاء إلى إقامة العدل، وتحقيق القسط، وحفظ الحقوق والأموال والأنفس والأعراض، وحماية الحقوق العامة، وتطبيق أحكام الشرع وآدابه، وقيم حدود الله تعالى، ويصون القيم والأخلاق، ويمنع العدوان والظلم والبغي بمختلف أشكاله وأصنافه⁷.

¹ - يراجع الملحق رقم 01

² - الفيروزبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، ج4 ص 371

³ - سورة الاسراء، الآية 17

⁴ - سورة الجمعة، الآية 62

⁵ - محمد الزحيلي، تاريخ القضاء في الإسلام، دار الفكر المعاصر - بيروت - دار الفكر - دمشق -

ط1995، م1، ص11

⁶ - نفسه، ص13

⁷ - نفسه، صص 13-14

ومن الأحاديث الواردة في تقلد القضاء قوله ﷺ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ من جعل قاضيا فكأثما ذبح بغير سكين¹ وأخرج أحمد والطبراني في الأوسط والبيهقي بسند جيد عن عائشة سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أن لم يقض بين اثنين في ثمرة فقط"². وقد وضع الفقهاء شروطا لمن يتقلد هذا المنصب، أهمها أن يكون المرشح عدلا، و متمكنا من وسائل الاجتهاد كاحذق في اللغة العربية وعلوم الشريعة³

يعتبر القضاء من الخطب الدينية الداخلة تحت مسؤولية الخلافة، لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتشاجر وفق المبادئ الإسلامية المنبثقة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة⁴، لقد اهتم ولاة الأمر بالمغرب الإسلامي منذ نهاية الفتح الإسلامي بالنظم الإسلامية وعلى رأسها النظام القضائي إذ نجد موسى بن نصير عندما أتم فتح بلاد المغرب الإسلامي وتطلع إلى فتح بلاد الأندلس عين أول قضاة إفريقيا بالقيروان وهو أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي وذلك سنة 80 هـ/ 699 م، وهذه هي النواة الأولى للقضاء في إفريقيا⁵، وبالنسبة لمكان القضاء فقد كان

¹ - حديث صحيح أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه وأقره الذهبي والبيهقي في السنن الكبرى، يراجع: جلال الدين السيوطي، مارواه الأساطين في عدم المجئ الى السلاطين، ذم القضاء وتقلد الأحكام ذم المكس، تحقيق ودراسة، مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1411، 1هـ/1991م، ص79 الهامش رقم:10

² - حديث ضعيف أخرجه أحمد، والطيبالسي، وابن أبي الدنيا، وابن حبان، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في سننه الكبرى، يراجع: جلال الدين السيوطي، مارواه الأساطين في عدم المجئ الى السلاطين، ذم القضاء وتقلد الأحكام ذم المكس، مصدر سابق، ص80، الهامش رقم:13

³ - مصطفى أحمد بن حموش، المدينة والسلطة في الاسلام (نموذج الجزائر في العهد العثماني) مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دمشق، 1999، ص95

⁴ - ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص408، يراجع كذلك:

- Emile Tyan, Histoire de l'organisation judiciaire en pays Dislam, edition, leden, Brille, 2ed, 1960, p, 112

⁵ - عدنان حسن محمد النواصرة، القضاء في عهد الدولة الحفصية بإفريقية 1227/1553م دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، اشراف، إبراهيم بكير بحاز، كلية الآداب والعلوم، قسم التاريخ، جامعة آل البيت، 2002/2003م، ص22-23

المسجد هو مكان الحكم في الغالب، أما أعوان القاضي فقد كان نفر يساعدونه في اتخاذ الأحكام كالفقهاء والحاجب الذي ينظم دخول المتخاصمين، و الكتاب الذين يقومون بكتابة ما يقضي به القاضي، ومن المعروف أن الفقه المالكي هو الذي يتم عليه الاعتماد في الأحكام¹ وفيما يخص العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى -خلال الفترة موضوع البحث - في مجال القضاء فقد اشتهر منهم كل من :

- محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الوقاد تلمساني: (ق10هـ/16م)
- احمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الوقاد التلمساني: (ق10هـ/16م)
- الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت955هـ / 1549م)
- محمد بن أحمد التلمساني (ابن الوقاد التلمساني (ت:1001هـ/ 1592 م)
- ابو محمد عبد العزيز بن علي المغراوي (ت: 1014هـ/ 1605 م)
- ابو عبد الله بن أحمد الوهراني (ت:1017 1608م)
- أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلاي(ت:1018هـ/1609م)²

ج- الفتوى:

لغة: جاء في كتاب العين (والفقيه يفتي أي يبين المبهم، ويقال الفتيا فيه كذا، وأهل المدينة يقولون الفتوى³، وقال ابن سيده: الفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من الأحكام ويقال استفتيته فأفتاني بذا، قال تعالى "ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن"⁴ وقال الراغب الأصفهاني والفتيا والفتوى: الجواب عما يشكل من الأحكام ويقال وأفتاه في الأمر: أبانه له، وأفتى الرجل في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء، وفتى⁵، وقال الزركشي فالمفتي من كان عالماً بجميع الأحكام الشرعية

¹ - عدنان حسن محمد النواصرة، القضاء في عهد الدولة الحفصية بإفريقية "1553/1227م" دراسة تاريخية، مرجع سابق، ص 26

² - يراجع الملحق رقم 01

³ - أحمد متفكر، من أعلام الفتوى بمراكش عبر العصور، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، ط2013، ص1، ص09

⁴ - سورة النساء، الآية 127

⁵ - أحمد متفكر، من أعلام الفتوى بمراكش عبر العصور، مرجع سابق، ص 10

بالقوة القريبة من الفعل، والمستفتي: من لا يعرف جميعها¹. ويقول الشاطبي²: "المفتي مخبر عن الله كالنبي، وموقع للشرعية على أفعال المكلفين بحسب نظره كالنبي، ونافذ أمره في الأمة بمنشور (المنشور هو ما كان غير محتوم من كتب السلطان) الخلافة كالنبي، ولذلك سموه أولى الأمر وقرنت طاعتهم بطاعة الله ورسوله في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)³

التعريف الاصطلاحي والشرعي للفتوى:

عرفها العلماء بتعريفات عديدة منها (أنها الجواب عما يشكل من المسائل الشرعية فالإفتاء هو إبانة الأحكام في المسائل الشرعية، والفتوى شرعا هي بيان الحكم الشرعي في مسألة من المسائل مؤيدا بالدليل من القرآن الكريم أو السنة النبوية أو الاجتهاد⁴ وتشكل الفتوى وسيلة هامة لتبليغ الأحكام الشرعية للمكلفين، والمفتي بمثابة النائب عن الله تعالى في إبلاغ شريعته⁵.

وإن ما يبين أهمية وعظمة الفتوى قول الرسول صلعم: "إن العلماء ورثة الأنبياء"⁶، فأثبت للعلماء خاصية فاقوا بها سائر الأمة، وتتمثل هذه الخاصية في وراثته الأنبياء في مهمة التبليغ عن رب العالمين التي يبينها قوله تعالى: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس"⁷ وحسب العلماء هذه الدرجة مجدا وفخرا، وهذه الرتبة شرفا وذكرًا، فكما لا رتبة

¹ - أحمد متفكر، من أعلام الفتوى بمراكش عبر العصور، مرجع سابق، ص 10

² - إبراهيم اللقاني، منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى، تق، تح، عبد الله الهلالي، وزارة لأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1423هـ/2002م، ص 11

³ - سورة النساء، الآية، 58

⁴ - إبراهيم اللقاني، منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى، مرجع سابق، ص 11

⁵ - قندوز ماحي، صناعة الفتوى عند الشريف التلمساني وولديه، مجلة البحوث والدراسات، المجلد 15، العدد، 01، شتاء 2018م، ص 129

⁶ - أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم رقم: 3641 و 3642، والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة رقم: 2683 و 2684، وابن ماجه في كتاب المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم رقم: 223

⁷ - سورة المائدة، الآية 69

رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة¹، ورغم ماهذه الرتبة من أهمية فلها حظورة كذلك، ويتجلى ذلك في قول محمد بن المنكدر: "الفقيه-أو-العالم- الذي يحدث الناس إنما يدخل بين الله وبين عباده فلينظر بما يدخل"². وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلي (مات سنة ست وثمانين للهجرة) أنه قال أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول وفي رواية "ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه، ولا يستفتي عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا" وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال "من أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون"³ وهناك شروط للمفتي أهمها: إسلامه، وعدالته، وتيقضه وقوة ضبطه، وأهلية الاجتهاد⁴. وتعتبر هذه الوظيفة أعلى وظيفة يتولاها العالم، وذلك نظرا لما تحتاجه من درجة عالية في العلم، وتعمق في مسائل الفقه، ومعرفة جيدة للقرآن الكريم وعلومه، والحديث الشريف، والتبحر في اللغة العربية، بالإضافة الى النزاهة والصلاح والشجاعة، وقد كانت شهرة العالم بين الناس بهذه الأوصاف هي التي ترشحه لهذه الوظيفة⁵

وفيما يخص العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى -خلال الفترة موضوع البحث - في مجال الفتوى فقد اشتهر منهم كل من:

-الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون أبو العباس (ت: 920هـ/1514م)

¹ - إبراهيم اللقاني، منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى، مصدر سابق، ص12

² - أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمان المعروف ب"ابن الصلاح الشهرزوري"، أدب المفتي والمستفتي، دراسة وتحقيق، موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، ط1، 1407هـ/1986م، ص74 -

إبراهيم اللقاني، منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى، مصدر سابق، ص 12

³ - أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمان المعروف ب"ابن الصلاح الشهرزوري"، أدب المفتي والمستفتي، مصدر سابق، ص75

⁴ - إبراهيم اللقاني، منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى، مصدر سابق، ص243. ولتفاصيل أكثر حول شروط المفتي والمستفتي، يراجع: أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمان المعروف ب"ابن الصلاح الشهرزوري"، أدب المفتي والمستفتي، مصدر سابق، صص 85 وما بعدها

⁵ - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 391 - فوزية لزغم، البيوتات والأسر

العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي، (1830/1520م)، مرجع سابق، ص

- علي بن موسى بن علي بن هارون أبو الحسن 871هـ - 1466م / 951هـ - 1545م)
-الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت955هـ / 1549م)
-ابن جلال الوعزاني المغراوي التلمساني محمد بن عبد الرحمان(908هـ - 1502م/981هـ - 1573م)
-محمد شقرون الوجدجي بن هبة الله التجيني التلمساني (ت 983هـ / 1575م)
-أبو الطيب البسكري(ت: بعد 987هـ / 1579م)
-محمد بن أحمد التلمساني (ابن الوقاد التلمساني (ت:1001هـ / 1592م)
-محمد بن أحمد التلمساني (ت: 1018هـ / 1609م)
-أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلاي(ت:1018هـ/1609م)
-أبو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة(ت:1066هـ / 1656م)¹

د- التدريس (الطرق التعليمية)

لم تختلف طرق التعليم في العصر السعودي اختلافا جوهريا عنها في العصور السابقة اللهم إلا بعض الاجتهادات الشخصية لبعض رجال التدريس من تجارهم الخاصة أو اختاروها من أسس مدارس التعليم القديمة، ولما كان الفقه من أول العلوم الشرعية التي تصدى لها علماء الإسلام نالت المدونة² عناية فقهاء المالكية السابقين واختلف طرق تدريسهم لها شرقا وغربا، وبرزت بذلك ثلاث أساليب متميزة طبقت فيما بعد على غير المدونة من كتب الفقه وقواعد اللغة

¹ - يراجع الملحق رقم 01

² - تعد المدونة من أوائل المصنفات الفقهية وهي للإمام سحنون (ت:240هـ / 854م) وأصلها الأول الأُسدية لأسد بن الفرات (ت:212هـ / 827م) أخذها تلميذه سحنون ورحل بها إلى مصر واهتم بها علماء العهد المريني وبرز العديد من العلماء الذين اشتهروا بتدريسها كعبد الرحمن بن عفان الجزولي(ت:741هـ/1340م)و الذي قيل عنه إنه كان يحضر مجلسه العلمي أكثر من ألفي فقيه مالكي معظمهم يستظهر المدونة، وعبد المؤمن بن محمد الجاناتي(ت: 746هـ / 1345م) فقد كان أعرف الناس بالمدونة وكان حسن الإلقاء للمسائل الفقهية، وإبراهيم التسولي (ت:749هـ / 1348) والذي كتب على المدونة تقييدين. لتفاصيل أكثر حول الموضوع يراجع: مصطفى عيد أحمد القيم، المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى في العهد المريني (1464/1240م)، مرجع سابق، ص 116

وسائر ماتدارسه المسلمون¹، وقد تأثرت طرق التعليم (التدريس)² في العصر السعدي بالمدارس القديمة، وتأثرت أكثر بقضية الاختصار والنظم، والذي تفاقم خطره بمرور الزمن بتضخم عدد الشروح والحواشي، وتنطلق جميع الدروس من نص الكتاب يقرؤه أنجب الطلبة بين يدي الشيخ في بداية الدرس ويتخذ هذا الطالب الذي تسميه الفهارس ساردا أو قارئاً مجلسه وسط الحلقة الأولى، ويجلس الى يمينه وشماله المتقدمون من الطلبة على شكل نصف دائرة تحيط بالأستاذ الجالس على كرسي أو المستند الى سارية، ويجلس الطلبة الآخرون في أنصاف دوائر خلفية موازية، ولا ينته دور السارد عند القراءة الأولى، وإنما يظل طوال الدرس حاملاً الكراسية مستعداً لقراءة الفقرات أو التعليقات التي قد يطلب منه الأستاذ أن يقرأها³

وفيما يخص العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى - خلال الفترة موضوع البحث - في مجال التدريس فقد اشتهر منهم كل من:

- أحمد بن يحيى الونشريسي أبو العباس التلمساني (834هـ / 1430م - 914هـ / 1509م)

¹ - المدارس الثلاث هي: مدرسة العراق: إذ اتخذ العراقيون الكتاب المدرس منطلقاً للخوض في المسائل المتعلقة بالموضوع، دون التقييد بحرفية النص أو الاهتمام بالألفاظ، مدرسة القيروان: هي عكس حال العراقيين إذ اتجهت عناية القيروانيين إلى نص الكتاب بالدرجة الأولى، فشرحو الألفاظ وصححو الروايات، ونبهوا إلى ما فيها من اختلاف أو تناقض. المدرسة المغربية - الأندلسية: سلكت طريقاً وسطاً بين أسلوب العراق والقيروان، فاهتمت بالموضوع أصوله وفروعه واعنتت بالألفاظ والروايات ووجوه الاحتمال فيها، ويعتبر عياض بن موسى السبتي دفين مراکش رائد هذه المدرسة. لتفاصيل أكثر حول الموضوع يراجع: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، صص 93-94

² - هناك أربع طرق للتدريس في العهد السعدي أولها، طريقة حل المتن، يتم فيها شرح النص المدرس دون الرجوع الى كلام الشراح السابقين. ثانيها، طريقة حك المسائل: وهي الطريقة الغالبة في العهد السعدي ويتم فيها بحث المسائل وتطرح فيها الإشكالات وتجلب النقول وتناقش. ثالثها، طريقة المحاضرة: وهي طريقة نخبية من المدرسين من المفسرين والمحدثين، والفقهاء ويعتمدون على تنسيق العرض وحسن الأداء، مع الإشراف على آراء المتقدمين ومناقشتها والترجيح عند الاقتضاء، رابعها، طريقة المناظرة: وهي أرقى طريقة تعليمية في العصر السعدي وهي محدودة بين فئة من العلماء المحققين، ويشارك الحاضرون من أساتذة وطلبة في القراءة والمناقشة يراجع: محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، صص 94-95-96-97-98-99

³ - محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1، مرجع سابق، ص 94

- الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون أبو العباس (ت: 920هـ/1514م)
-موسى بن سعيد الزواوي (ت 1524هـ)
-عبد الله بن إبراهيم الخياط (ت: 1532هـ)
-أحمد بن محمد العبادي التلمساني (توفي حوالي 940هـ/1533 م)
-ابن جيدة الوهراني أحمد بن محمد بن يحيى (ت 951هـ / 1544م)
-ابو زيد عبد الرحمان بن محمد التلمساني ابن الوقاد (ت: 1075 هـ / 1649)
-الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت955هـ / 1549م)
-أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي:(ت 963هـ - 1556م)
-أحمد بن عزوز الديلمي: (ت بعد 986هـ/1560م)
-العقباني أحمد بن محمد أبو العباس (ت 980هـ / 1572 م)
-أحمد بن يعقوب العبادي أبو العباس التلمساني(ت 980هـ/1572 م)
-ابن جلال الوعزاني المغراوي التلمساني محمد بن عبد الرحمان(908هـ - 1502م/981هـ -
1573م)
-علي بن يحيى السلماني التلمساني (ت: 980هـ / 1573)
-عبد الرحمن الزواوي (995 هـ / 1588)
-محمد بن أحمد التلمساني (ابن الوقاد التلمساني(ت:1001هـ/ 1592 م)
-احمد بن يوسف الزياتي (ت:1003 هـ/1594م)
-ابو محمد عبد العزيز بن علي المغراوي (ت: 1014هـ / 1605 م)
-ابو عثمان سعيد بن احمد المقرئ (ت: 1020 هـ / 1611م)
-المقرئ أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس (ت: 1041هـ / 1631م)
-عبد العزيز ابن الحسن الزياتي (ت: 1055هـ/1645م)
-أبو زكريا يحيى بن عاشور (ق 10هـ/16م)¹

¹ - يراجع الملحق رقم: 01

خاتمة

وأخيرا وليس آخرا، فقد سعت هذه الدراسة الى إلقاء الضوء على فترة زمنية عاشها المغرب الاسلامي في ضوء تحديات داخلية وأخرى خارجية، رسمت ملامحه السياسية والثقافية على حد سواء، وتبين لي من خلال هذه الدراسة الخروج بالنتائج التالية:

- ليس من السهولة الحديث عن مفهوم العلم دون وضعه في سياقه التاريخي، وبعده الديني، أو الديني، والمتمعن لهذا المصطلح يدرك حقيقة صعوبة تحديده، واختلاف نظرة ذوي الاختصاص له على مستوى مجتمع واحد (أمة واحدة)، فما بالك إذا كان هذا المجتمع يختلف حضاريا وتاريخيا وعقائديا .
- رغم اختلاف مفهوم الثقافة في مدلولها وخصائصها من حيث الزمان والمكان إلا أنها ذوق وفن وسلوك، وهي خاصية تميز المجتمعات عن بعضها البعض
- إن إختلاف النظرة الى الحياة (الوجود) هو الذي يحدد (في نظرنا) نوعية الفرد أو المجتمع ولعل الصبغة الدينية أو القناعات التي تميز فرد من الأفراد أو مجتمع من المجتمعات هي التي تحدد سلوكه ونمط عيشه في هذه الحياة، وهو ما تصفت به فترة العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة، والتي تمت بصلة كبيرة الى موضوعنا هذا، خاصة من طرف العلماء الأوربيين ونظرائهم في العالم الاسلامي - آنذاك -
- أن توتر العلاقة بين (الجزائر العثمانية) والمغرب الأقصى (الوطاسي، السعدي) مرده الى تدخل بعض حكام الأسر الحاكمة بالمغرب الأقصى، في الجهة الغربية من المغرب الأوسط، أملا منهم في إحياء تاريخ دولة الموحدين، وهو ما نتج عنه ظهور حروب دامية بين البلدين، خاصة خلال منتصف القرن (10 هـ / 16 م)، والتي ساهمت الى حد بعيد ليس في إضعاف الكيانين الناشئين فقط بل زاد من حدة الأطماع الخارجية (الاسبانية والبرتغالية)
- إن البيئة السياسية للقرن 10هـ/16م، كان لها أكبر الأثر في هجرة وانتقال الفئة المثقفة - من وإلى المغرب الأوسط - ناهيك عن العوامل الخارجية وفي مقدمتها الغزو الاسباني والبرتغالي لسواحل البلدين (المغرب الأوسط، والمغرب الأقصى)، والتي ساهمت هي الأخرى بدورها في عملية الحراك التي شهدتها المنطقة كذلك
- إن الظروف الداخلية التي ميّزت المغرب الأقصى - طوال تعاقب الدول الثلاث - المرينية، والوطاسية، والسعدية، كان له الأثر البارز في تمزيق المغرب الأقصى سياسيا وهو ما عبّر

عنه أحد المؤرخين بوجود فسيفساء سياسية، والتي ساهمت الى حد بعيد في تقهقر الحياة الثقافية (ونعني بذلك الجمود واجترار ما فات) أي عدم الأخذ بما وصلت اليه الثقافة الأوربية في طابعها العلمي، (والذي كان يمكن أن يتحقق جزء منه لو توفرت الإرادة السياسية) "غير أن روح العصر حالت دون ذلك" رغم تلك المحاولات المحتشمة التي حدثت في عهد المنصور الذهبي.

- أنه رغم كل ما قيل عن سلاطين الدولة السعدية، في كونهم قد استولوا على السلطة بنوع من الدهاء والحيلة، فإن تحريرهم لعدة ثغور بالمناطق الساحلية من يد البرتغاليين قد كان له أكبر الأثر في ازدياد شعبيتهم، وطموح هؤلاء السلاطين (خاصة أبناء مؤسس هذه الدولة) لم يكن فقط الهيمنة على السلطة في المغرب الأقصى فحسب بل تاقت نفوس بعضهم الى إعادة ولو جزء من مجد دولة الموحدين، ومن ذلك محاولة الاستيلاء والسيطرة على الجزء الغربي للجزائر (خاصة تلمسان وضواحيها) مستغلين في ذلك ضعف الدولة الزيانية، فاصطدموا بالقوة العثمانية، التي حرمتهم من تحقيق هذا الحلم، وهو ما نجم عنه ثلاث مواجهات (حملات) عسكرية مع منتصف القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي التي استنزفت قوة (الإخوة الأعداء) التي كان يفترض أن توجه إلى العدو المشترك الجاثم على المناطق الساحلة أي (الأسبان)، هذه الحملات وهذا الصراع المتنامي بين الجارتين، هو الذي كان له بالغ الأثر في تنقل العديد من العلماء من الجزائر الى المغرب الأقصى

- أن ثمة قاسم مشترك - في نظرنا - بين الأسر الحاكمة في المغربين الأوسط والأقصى خلال الفترة موضوع البحث، ونعني بها ظاهرة التنافس على الحكم، سواء ما تعلق بالأسرة الزيانية، أو الأسرة السعدية (بعد وفاة المنصور)، ولعل الملفت للإنتباه في هذه المسألة هو ملاحظناه في المغرب الأقصى والادعاء بالإنتماء الى النسب الشريف (السلالة الهاشمية) وذاك (ما ادّعت) الأسرة السعدية، وهو ما جعلها تدخل في صراع ليس مع القوى المحلية في المغرب الأقصى أو مع أترك الجزائر، بل مع سلاطين الدولة العثمانية أنفسهم خاصة في النصف الثاني من القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، ولولا طبيعة المرحلة (خاصة ظروف الدولة العثمانية) لتغير مجرى التاريخ بمنطقة المغرب الاسلامي

- امتاز المناخ الثقافي في المغرب الأوسط خلال فترة القرن 10هـ/16م بالركود والجمود، واجترار ما فات بالرغم من وجود العديد من المؤسسات الثقافية كالمدارس والمساجد والكتاتيب، ومرّد ذلك في نظرنا الى البيئة السياسية (التي سبق ذكرها) والتي جسّدت الجمود في مختلف نواحي الحياة، ومما زاد في هذا التقوقع الفكري الكبير هو وجود ظاهرة التصوف (التي أصبحت سمة العصر) وانتشار الزوايا على نطاق واسع والتي أصبحت مؤسسوها يوجّهون الأفراد في الأرياف كما في المدن إلى حياة التقشف والبساطة والزهد وعدم إعطاء قيمة للحياة الدنيا، والاستعداد للرحيل (وياليت هذا الاستعداد كان حقيقياً، مبنيًا على الكتاب والسنة) بل كان في معظمه بؤس وحرمان من ملذات ما منحه الله من حلال لعباده، وقد غدّى هذه الفكرة أولئك الذين وصفوا بأدعياء التصوف من مشعوذين ودجالين، تركوا بصماتهم في المجتمع آنذاك فظهرت بذلك اللامبالاة في كل شيء وهو ما زاد في تقهقر المجتمع بمختلف طوائفه (المثقفين وغير المثقفين) ومما زاد الطين بلّة هو عدم أكثرات حكام الجزائر من الأتراك العثمانيين بالجانب الثقافي (في الفترة موضوع البحث) ذلك أنهم لم يكونوا أعاجم فقط بل كانوا رجال حرب وسياسة، هدفهم جعل الجزائر (بل المغرب الاسلامي عامة) جزءاً لا يتجزأ من الدولة العثمانية غير مباليين بالواقع الثقافي، ذلك أنه لم يكن لهم مشروع ثقافي أو حضاري في المنطقة وهو ما ذهب إليه جلّ الكتابات التاريخية، التي تناولت موضوع التواجد العثماني ليس في المغرب الاسلامي، بل في العالم العربي ككل

- إنه ورغم العواصف السياسية التي عصفت بالمغرب الأقصى، مع نهاية القرن (9هـ/15م) - ومطلع القرن 10هـ/16م) إلا أن الوضع الثقافي كان أرقى منه في المغرب الأوسط، ومرّد ذلك في نظرنا الى عوامل متعددة ولعلّ أبرزها هجرة الأندلسيين (خاصة العلماء والطلب) وتأثيرهم الكبير في مختلف مناحي الحياة خاصة الجانب الثقافي، ناهيك عن وجود عدة حواضر ثقافية كانت منارات علم وحضارة ورفي وازدهار متعدد الجوانب خاصة "فاس" و"مراكش"، وغيرهما بالإضافة إلى الظاهرة التي كنا قد أشرنا إليها في بحثنا والمتمثلة في اهتمام سلاطين المغرب الأقصى بالعلم والعلماء، ولعلّ أبرزهم محمد الشيخ المهدي، وبصفة أخص السلطان أحمد المنصور الذهبي.

- رغم الصفة العامة التي امتازت بها العلوم والمعارف - في الفترة موضوع البحث - ألا وهي الجمود والاجترار وكثرة الحواشي إلا أن التمسك بها والحفاظ عليها كان بسبب الظرفية التاريخية المميزة لهذا العصر ليس في بلدان المغرب فقط بل في العالم الاسلامي ككل.

شكّلت عملية الهجرة والانتقال من المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى (رغم الظروف المحيطة بذلك) تواسلا ثقافيا حقيقيا، بحيث نقل هؤلاء العلماء علومهم وكتبهم، وهو ما ساهم في ازدهار الحياة الثقافية (خاصة العلوم النقلية) التي كان لهم فيها باع كبير، والملفت للنظر كذلك هو مكانة هؤلاء العلماء المهاجرين عند حكام المغرب الأقصى ولا أدل على هذه المكانة من المناصب التي أسندت لهم كالحظابة والقضاء والافتاء

- أن المغاربة شعبا وسلطة لم ييخلوا من تقديم يد المساعدة لهؤلاء المهاجرين بل وصل بالبعض من سلاطينهم الى تفضيلهم عن العلماء المغاربة، وذلك لأهداف وغايات سياسية أكثر منها دينية - إن متتبع قوائم أسماء أولئك العلماء الذين هاجروا من تلمسان وضواحيها إلى المغرب الأقصى خاصة مع منتصف القرن ال 10 هـ / 16 م يدرك يقينا بأن كنوزا ثقافية قد هاجرت أو هجرت، لسبب أو لآخر، وهو ما نتج عنه استفادة المغرب الأقصى من تواجد هؤلاء العلماء استفادة علمية وسياسية معا، وبالمقابل تراجعت الثقافة الجزائرية وتدنى مستواها بسبب ما تركه هؤلاء العلماء من فراغ كبير .

- إن الحفاظ على بعض الكتب المتداولة آنذاك خاصة من حيث تدريسها وحفظ البعض منها عن ظهر قلب من طرف علماء - الفترة المدروسة - كصحيح البخاري والمدونة والموطأ وغيرهم، هي التي حافظت على الشخصية العربية الاسلامية للمجتمع المغربي، وجعلته في منأى عن الانسلاخ عن ما ضيه المجيد، ولا بد لي من وقفة اجلال لذلك الرعيل من العلماء الذين لم تنهم الصعوبات والعراقيل من أن يخلدوا أسماءهم ليس بتأليفهم ولا بإقدامهم على تحمل المسؤوليات (كتولي الخطابة والفتوى والقضاء والتدريس) فحسب بل بمواقفهم الشجاعة من أجل اعلاء كلمة الحق ولا أدل على ذلك من مواقف العالم الجليل عبد الواحد الونشريسي (رحمه الله) وصدق من قال: أن العالم لاتحده حدود ولا تعرفه قيود، فعالمه أوسع من كل العوالم، وبمقدار ماله من العلم والأدب وحسن السيرة، يكون جاهه وتكون منزلته داخل بلده وخارجها، لافرق في ذلك.

هذه مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات كانت حوصلة لموضوع الدراسة، وإنني مهما حاولت من جهد في هذه الدراسة فلن أوفي الموضوع حقّه، وصدق من قال: "لو أريد لكتاب الكمال لما أنتهي منه أبداً" وحسبي أنني حاولت محاولة متواضعة، لإمطة اللثام عن فترة زمنية من حياة بعض العلماء الذين تركوا بصماتهم في زمن عاش فيه العالم الإسلامي الركود والجمود، ولعل هذه الدراسة التي قمت بها ستبعتها دراسات أخرى تعطي للموضوع حقّه وللعلماء مكانتهم، وهو مشروع مستقبلي سأعمل على تجسيده مستقبلاً - إن شاء الله - فإن وقّقت فمن الله عز وجل، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني قد اجتهدت، ولكل مجتهد نصيب، ورحم الله قول القائل: سلام على من مرّ على مرّنا فحلّاه، ولسان حاله في الأخير يقول للجنة المناقشة سلام على من مرّ على خطئنا وقال: هاقد صلّحناه .

وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الملاحق

التدريس	الفتوى	القضاء	الخطابة
-أحمد بن يحيى الونشريسي أبو العباس التلمساني(834هـ/1430م - 914هـ / 1509م) -الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون أبو العباس(ت: 920هـ/1514م) -الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون أبو العباس(ت: 920هـ/1514م) -موسى بن سعيد الزواوي (ت 1524هـ) -عبد الله بن إبراهيم الخياط (ت: 1532هـ) -أحمد بن محمد العبادي التلمساني (توفي حوالي 940هـ/1533م) -ابن جيدة الوهراني أحمد بن محمد بن يحيى (ت 951هـ / 1544م) -ابو زيد عبد الرحمان بن محمد التلمساني ابن الوقاد (ت: 1075 هـ / 1649) -الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت 955هـ / 1549م) -أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي:(ت 963هـ- 1556م) -أحمد بن عزوز الديلمي: (ت بعد 986هـ/1560م) -العقباني أحمد بن محمد أبو العباس (ت 980هـ / 1572م) -أحمد بن يعقوب العبادي أبو العباس التلمساني(ت 980هـ/1572م) -ابن جلال الوغزاني المغراوي التلمساني محمد بن عبد الرحمان(908هـ- 1502 م/ 981هـ - 1573م) -علي بن يحيى السلماني التلمساني (ت: 980هـ / 1573) -عبد الرحمن الزواوي (995 هـ / 1588) -محمد بن أحمد التلمساني (ابن الوقاد التلمساني(ت:1001هـ/ 1592م) -احمد بن يوسف الزياتي (ت:1003هـ/1594م) -ابو محمد عبد العزيز بن علي المغراوي (ت: 1014هـ/ 1605م) -ابو عثمان سعيد بن احمد المقرئ (ت: 1020 هـ / 1611م) -المقرئ أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس (ت: 1041هـ/ 1631م) -عبد العزيز ابن الحسن الزياتي (ت: 1055هـ/1645م) -أبو زكريا يحيى بن عاشور (ق 10/16م)	-الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون أبو العباس(ت: 920هـ/1514م) -علي بن موسى بن علي بن هارون أبو الحسن 871هـ - 1466م / 951هـ - 1545م) -الوهراني أحمد بن أبي جمعة شقرون أبو العباس(ت: 920هـ/1514م) -الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت 955هـ/ 1549م) -ابن جلال الوغزاني المغراوي التلمساني محمد بن عبد الرحمان(908هـ- 1502 م/ 981هـ - 1573م) -محمد شقرون الوجديجي بن هبة الله التجيني التلمساني (ت 983هـ / 1575م) -أبو الطيب البسكري(ت: بعد 987هـ/ 1579م) -محمد بن أحمد التلمساني (ابن الوقاد التلمساني (ت:1001هـ/ 1592م) -أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلالي(ت:1018هـ/1609م) -أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عثمان السلالي(ت:1018هـ/1609م) -ابو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة(ت:1066هـ/ 1656م)	-محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الوقاد تلمساني:(ق:10هـ/16م) -أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الوقاد التلمساني:(ق:10هـ/16م) -الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت 955هـ / 1549م) -محمد بن أحمد التلمساني (ت: 1017 1608م) -أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلالي(ت:1018هـ/1609م) -أبو الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن عثمان السلالي(ت:1018هـ/1609م) -أبو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت: 999هـ/ 1594م) -احمد بن يوسف الزياتي (ت:1003هـ/1594م) -أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن جلال (ت 1045 هـ / 1635م) -ابو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة(ت:1066هـ/ 1656م)	-علي بن موسى بن علي بن هارون أبو الحسن(871هـ - 1466م / 951هـ - 1545م) -ابو زيد عبد الرحمان بن محمد التلمساني ابن الوقاد (ت: 1075 هـ / 1649) -الونشريسي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي (ت 955هـ / 1549م) -أحمد الونشريسي (ت 955هـ / 1549م) -ابن جلال الوغزاني المغراوي التلمساني محمد بن عبد الرحمان(908هـ- 1502 م/ 981هـ - 1573م) -أبو الطيب البسكري(ت: بعد 987هـ/ 1579م) -محمد شقرون الوجديجي بن هبة الله التجيني التلمساني (ت 983هـ / 1575م) -أبو الطيب البسكري(ت: بعد 987هـ/ 1579م) -محمد الحاج بن أحمد المري التلمساني (ت: 989هـ / 1581م) -محمد بن أحمد التلمساني (ابن الوقاد التلمساني (ت : 1001هـ/ 1592م) -ابو القاسم بن سلطان القسنطيني (ت: 999هـ/ 1594م) -احمد بن يوسف الزياتي (ت:1003هـ/1594م) -أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن جلال (ت 1045 هـ / 1635م) -ابو عثمان سعيد بن ابراهيم قدورة(ت:1066هـ/ 1656م)

الجدول من إنجاز الطالب الباحث اعتمادا على مصادر ومراجع البحث:

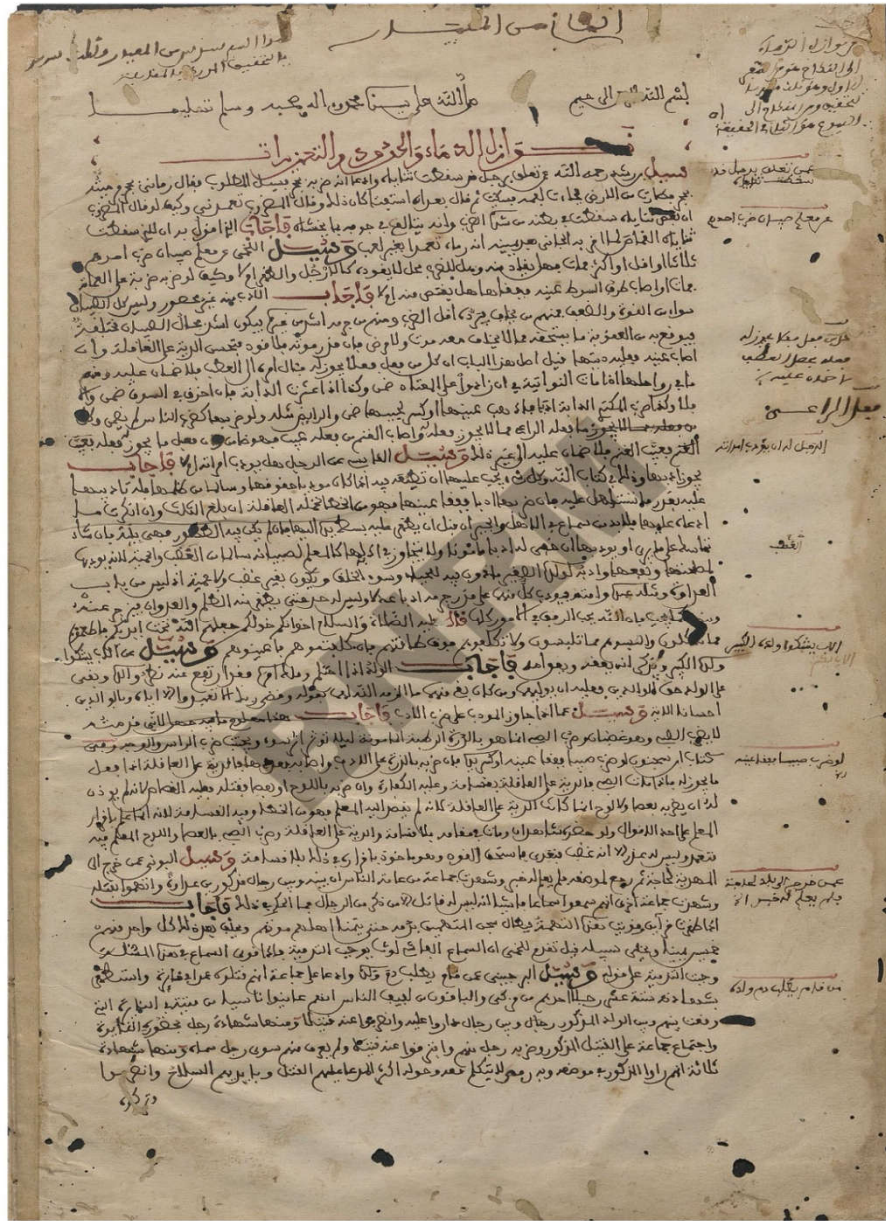
ملحق رقم: 02

مخطوط الجيش و الكمين لأبي جمعة شقرون الوهراني: المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 2301

(1) قسم العقيدة

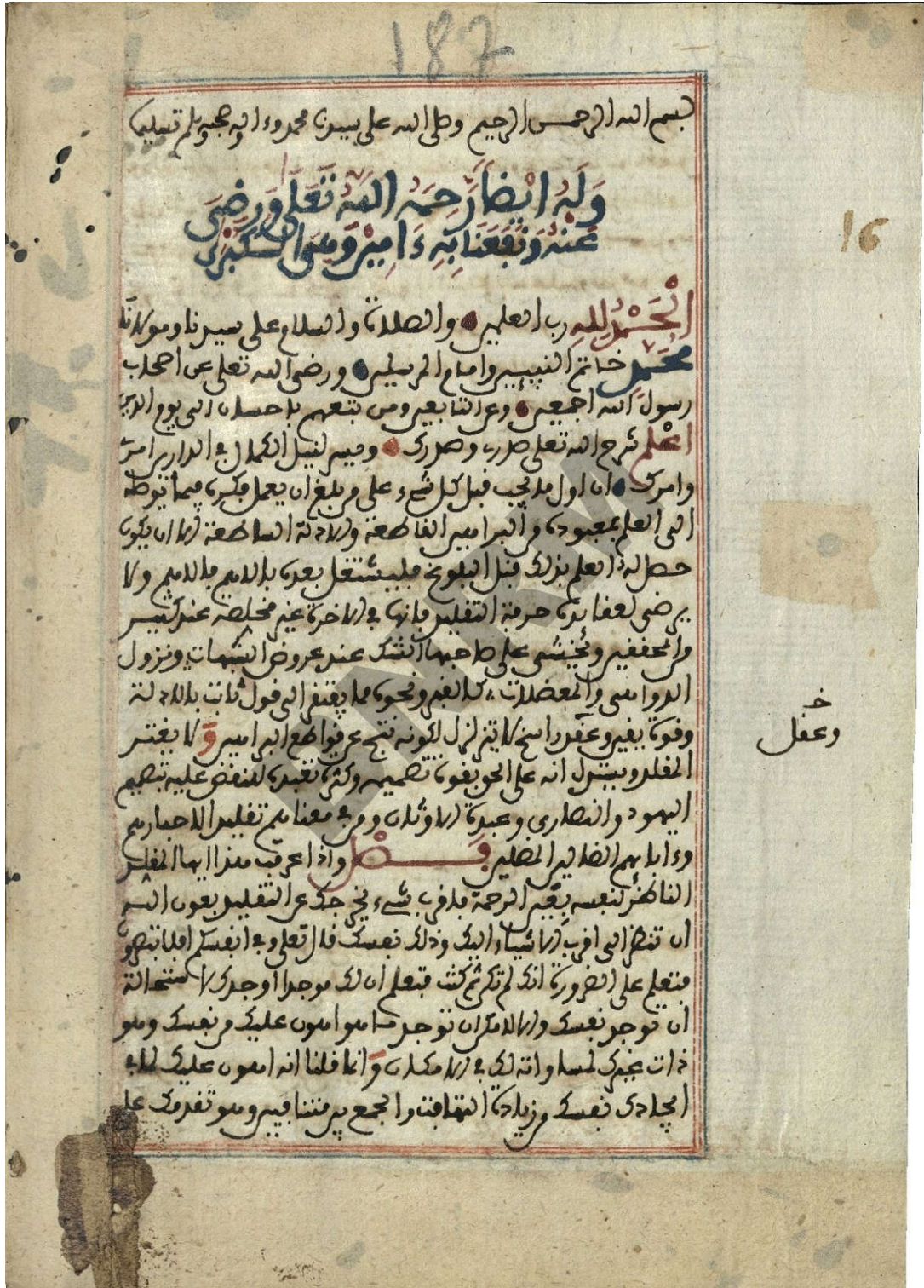


ملحق رقم: 04 الوثائقي "المعيار" الجزء الأول: ورقة 1



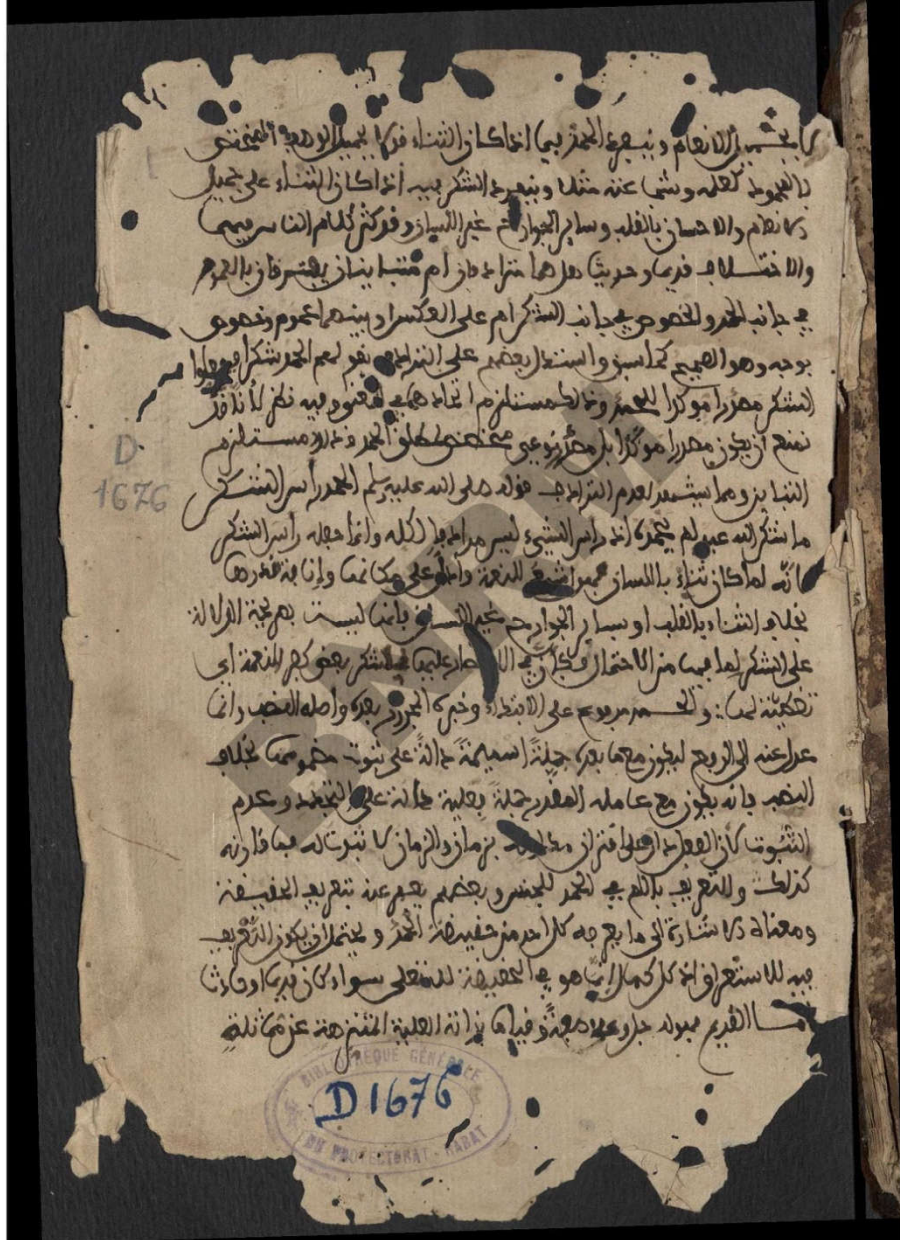
المصدر: المكتبة الوطنية المغربية رقم: 400 د

ملحق رقم 07: محمد السنوسي، "أم البراهين" ورقة رقم: 187



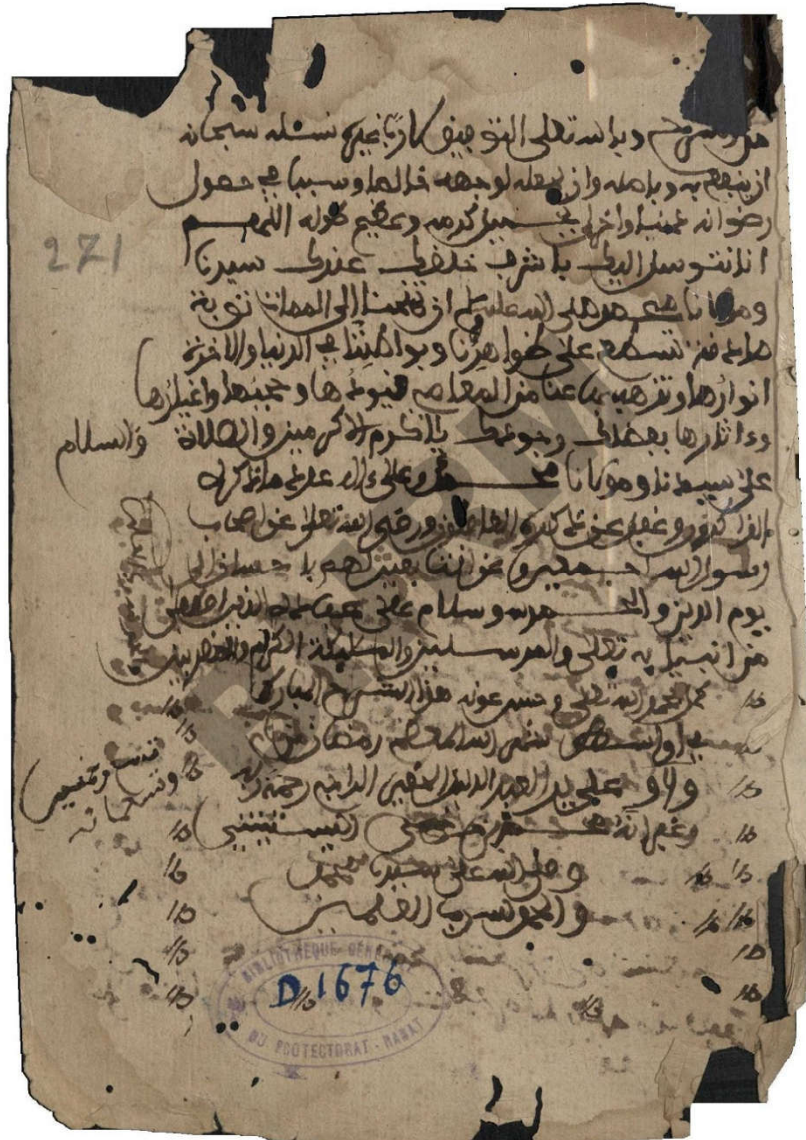
المصدر المكتبة الوطنية المغربية رقم: 65 ك/17

ملحق رقم 08: شرح اللامية في التوحيد ورقة رقم: 125



المصدر الوطنية المغربية المكتبة رقم: 1676 د

ملحق رقم 09: شرح اللامية في التوحيد ورقة 271



المصدر المكتبة الوطنية المغربية رقم: 1676 د

ملحق رقم 10 : السلم المروثق ورقة رقم: 213

213

مركبة وشع، ومسا ونقيض اما اذ اكلت وكنت والشيء، وغير نقيض
 لم يغير الانتاج، وان التبعته ح تصير غير الاستثناء، وبنوع فيه القطار
 عن الملوحة، والتتابع، بمنزلة القياس اربعة اشكال، ووضع الاستثناء، وبنوع
 لا حول الكفر غير واثنان، ووجهها لا حرمها، وان كانت لانه حينئذ مانعة جمع
 ان تحت راو، وان كانت مانعة، خلوا تحت الاخيرين، وبنوعه تعالى التبيين
 للرابع غير، ولا يعبود سوا، وطل الله على سيره، محرو على الله، وصح على
 تسليم، ورضي الله تعالى عن اهل بيته، رسول الله اجمعين، والحمد لله رب العالمين

2

بسم الله الرحمن الرحيم وطل الله على سيره، محرو على الله، وصح على تسليم

19

الحمد لله الذي فرأنا حيا	تتابع العيني للرباب المحمدا
ووقف عنهم من ساء العفل	كل عاب من سحاب الجمل
حتى يوت لهم شوم العرف	راوا الخوار انما من كشمه
نحو جل على الانعلاج	بنوعه راو علىه والاسلاج
من خصنا بخير من قدر سلا	وخير من حلاز القلمات العدا
محل سير كل مفتقبى	العربوا لها شئى الصلحى
طل عليه الله ما ادع المحمدا	يخوض من بحر العاني بحمدا
ورأته وعجمه خوة المشرى	وشمو ابا نوح في الافترا
وتفسر ما انهن للجنا	فسيبته كالنحو للسان
يقصم الاكل من غنى الخفا	وعر فيوا ليعم تيشف انفلا
فهاك من اصوله فوا عسر	تجمع من بنونه جوا نسر
نسيته بالسلم المروثى	يرقى به ساء، على المنطوى
وانه ارجوا ان يكونه خالصا	لوجه الكرى ليس فالصا

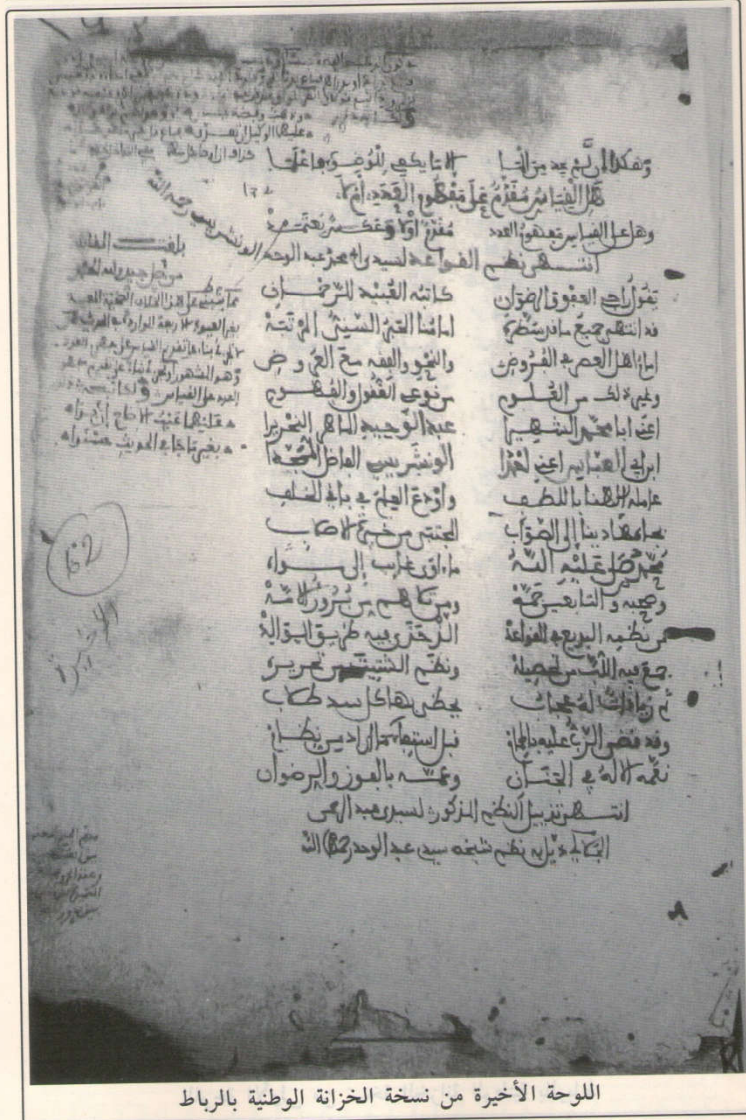
ملحق رقم 11: السلم المروتنق ورقة رقم: 216

216

<p> قباين مثل الرديف ملخزا بذات صري بلهم الخاصه أوناخ احدى الفرمات وجعل كل قطع غير الفقع وتترك شريح النسخ من التاله وامهات النطق المحمود مارفته من علم المنطق لرعة التوتى العليم القنتر الشرقي من ربه المنان وتكشف الغم عن الغلوب بلنه اكرو من تفضلا وقن اصلح العباد ذامعا وان بربونه فلا قبول للاجل كونه بهم فيهما العز من واجب للبت معزوا مقبولة مستحسنه ذمها جمال العباد واعتونه تاييد من الرجز المنكس من بعوتسعة من الميسر على رسول الله خير وسرى انساكين سبل النجات وطلع ابرار المنير ارجا </p>	<p> في اللغه كاشف او يجعل ذا وه المعاني البنائ الكاذب كشمل جعل العرضي كاشفاتي وانتم للجنس كتحكم التسوع والثناء كاشف وجع عن امدانه مصراتع الغرض المقصود فرا تهمي بخر رب العلى نظمه ان عباد الزيل المقنفر لا خفى على بر امرعى مغربا تحيك با النروب وان يثينا بجنة العلى وكس اخى للبتنر مطامعا واقطع العباد بل التامل اذ قيل سم مزيب صحيا وقل لمن لم يتقف لقصود ولكن احدى وعشرين سنة لا سيما عاشر الفرون وقلان او اهل المحرم من سنة احدى واربعين الصلاة والسلا وسرمد والله وحيد المتفلات ما فطعت شمس النهار ارجا </p>
---	---

2

المصدر: المكتبة الوطنية المغربية رقم: 65/ك/21



ملحق رقم: 13، النور المقتبس الورقة الأخيرة "مصدر سابق"

مصادر ومراجع البحث (مكتبة البحث)

القرآن الكريم- برواية ورش عن نافع

المصادر العربية:

- 1) الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين ج1، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2009م.
- 2) ابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت: 617هـ / 1220م) التشوف الى رجال التصوف و أخبار العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، 1997
- 3) المكناسي أحمد ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور للطباعة و الوراقة، الرباط، 1973م
- 4) المنجور أحمد، فهرس أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط 1396هـ / 1976م
- 5) المغراوي أحمد بن أبي جمعة، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان، تحقيق وتعليق أحمد جلولي البدوي و رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (د.د.ت.)، الجزائر
- 6) المقري أحمد بن محمد، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2 تقديم، عبد الوهاب بن منصور، المكتبة الملكية، (د.د.ت.)، الرباط
- 7) المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة، يحيى بوعزيز ط 1، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2007
- 8) ابن خلدون يحيى بن محمد بن محمد بن الحسن، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة، ببيرونطانا الشرقية ، الجزائر، طبعة 1331هـ / 1903م
- 9) التمبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الجزآن 1 / 2، ط1، إشراف وتقديم، عبد الحميد عبد الله الهدامة وضع هوامشه وفهارسه طلاب من كلية الدعوة الإسلامية منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، 1989

- 10) التمجروقي علي بن محمد، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتحقيق، عبد اللطيف الشاذلي، الرباط 2002 م
- 11) التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمد بوعياض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 م.
- 12) (ليون الإفريقي)، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983
- 13) ديكودي طوريس، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب
- 14) التنوخي سحنون بن سعيد، المدونة الكبرى، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004 م
- 15) ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، دمشق سوريا، 1433 هـ، 2012 م
- 16) الفشتالي عبد العزيز، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، دراسة وتحقيق د، عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافي، المملكة المغربية
- 17) الجزنائي علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، ط2، المطبعة الملكية . الرباط، 12 هـ / 1991 م
- 18) الغبريني أحمد بن عبد الله أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط1، 1969 م.
- 19) كاربخال مارمول، إفريقيا، ج1، ج2، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المغرب، 1984 م.
- 20) الوفرائي محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، صحح عباراته التاريخية السيد هوداس، تم طبعه على يد بردين صاحب المطبعة بمدينة أنجي، 1888 م.

- 21) ابن عسكر محمد الحسني الشنفاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.
- 22) ابن مريم محمد التلمساني، البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1908م
- 23) ابن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972
- 24) مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، ط1، تقديم وتحقيق، عبد الرحيم بن حادة. دار تينمل للطباعة والنشر 1994م
- 25) مؤرخ مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تحقيق وتقديم وتعليق، عبد الله حمادي، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2009م
- 26) مؤرخ مجهول، غزوات عروج وخير الدين، الطبعة الأولى، ترجمة د. محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1431هـ / 2010م

المراجع العربية:

- 1) الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج، 4/5/6، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1955م.
- 2) أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ذ.ت.ط
- 3) أحمد سالم علي، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر . 2011م
- 4) أحمد فاضل السعدي، القراءة الأركونية للقرآن دراسة نقدية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، بيروت، 2012م.

- 5) أحمد فؤاد محمود، أضواء على الثقافة الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م
- 6) أيوب أبو ديه، علماء النهضة الأوروبية، دار الفارابي للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2011م.
- 7) بشاري لطيفة، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط، منشورات وزارة الشؤون الدينية، 2011م
- 8) التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال ق4هـ/10م، دار المدار الإسلامي، ط1 بنغازي-ليبيا- 2003م
- 9) بن بركة محمد، التصوف الإسلامي من الرمز الى العرفان، ط1، دار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع الجزائر، 2006م
- 10) بن شقرون محمد بن أحمد، مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406 هـ / 1985م
- 11) بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر
- 12) بوزياني الدراجي، عبد الرحمان الأخضرى العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ط2، مؤسسة بلاد النشر 2009م
- 13) بوعزيز يحيى، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، عين مليلة، (د.ت.)، الجزائر
- 14) بوعيايد محمود آغا، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ق 9 هـ / 15م، ط2 منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر 2011م.
- 15) التازي عبد الهادي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الى اليوم، المجلد السابع، عهد بني مرين والوطاسين، 1408هـ / 1988م
- 16) الترغي عبد الله المرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة الى نهاية القرن 12هـ، منهجيتها تطورها قيمتها العلمية ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، المغرب، 1420هـ/ 1999م

- 17) التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي للبلاد التونسية 1881 / 1939، منشورات كلية الآداب بمنونة، تونس 1992م.
- 18) التميمي عبد الجليل، دراسات في التاريخ العثماني المغربي خلال القرن 16م، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ماي 2009م.
- 19) المدني توفيق، حرب 300 سنة بين الجزائر واسبانيا (1492 - 1792) ط1، دار البصائر للتوزيع والنشر 2007م.
- 20) السيوطي جلال الدين، الاتقان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1408 هـ/ 1988م
- 21) الجهاني جلال علي القذافي، من خزانة المذهب المالكي، درا ابن حزم، ط1، بيروت، 1427هـ/ 2006م
- 22) قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، طبعة وزارة المجاهدين بمناسبة الذكرى الـ 45 لعيد الاستقلال والشباب
- 23) الجمل شوقي عطالله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس - الجزائر - المغرب)، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977م.
- 24) الجيدي عمر، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993م .
- 25) الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث، شركة دار الأمة، الجزائر، طبعة 2009م .
- 26) الحبيب بن طاهر، الفقه المالكي وأدلته في ثلاثة أجزاء (العبادات، المعاملات، الأحوال الشخصية) دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1998م .
- 27) حجي محمد، جولات تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1995م .
- 28) حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين الى نهاية السعديين، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1978

- 29) حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية ج 2، الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات دار الحضارة، 2009م .
- 30) الحسن السايح، الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1986م
- 31) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م .
- 32) الحسيني أسماء القاسمي، رسائل المقرئ، دراسة وتحقيق، دار المعرفة الدولية، للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م.
- 33) الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف ج 1 + ج 2، ط1، دراسة وتحقيق : خير الدين شترة، دار كردادة، للنشر والتوزيع . 1433هـ / 2012م
- 34) حمادو نذير، المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، دار الفجر للطباعة والنشر، قسنطينة، 2008م.
- 35) حمادي عبد الله، الموريسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، والدار التونسية للنشر، 1994م.
- 36) حمادي عبد الله، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، دار القصبه للنشر، 2009
- 37) حميش عبد الحق ومحفوظ بو كراع بن ساعد، موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان و توات، طبعة خاصة، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
- 38) دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر، منير السعيداني، مراجعة، الطاهر لبيب، المنظمة العربية للترجمة، الحمراء، بيروت، ط1، مارس، 2007
- 39) السرجاني راغب، العلم وبناء الأمم، دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة، مؤسسة إقرأ، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م
- 40) الراقد محمد عبد المنعم، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، د.ذ.ت.ط. القاهرة
- 41) زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012م

- 42) زهراء النظام، العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، دار الأمان، الرباط، ط1436، 1هـ/2015م
- 43) زيد بن محمد الرماني، كيف تقرأ كتابا قواعد وأساليب، دار الحضارة للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، د، ذ، ت، ط،
- 44) زهير هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ط8، دار الآفاق الجديدة، 1986م.
- 45) سامعي إسماعيل، دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن 8م / 11م - (2هـ / 5هـ) ، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر . 2005 .
- 46) سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م
- 47) سعد الله أبو القاسم تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، 1500 م / ، 183 معالم المعرفة ، طبعة خاصة، الجزائر 2011
- 48) سعد الله أبو القاسم تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث، 1500 م / 1830 معالم المعرفة، طبعة خاصة، الجزائر 2011
- 49) سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني 1500 م / 1830 م، عالم المعرفة، طبعة خاصة الجزائر 2011
- 50) سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول 1500 م / 1830 م عالم المعرفة الجزائر، طبعة خاصة ، 2011 م
- 51) سعيد مراد، الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديما وحديثا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر، 1997م.
- 52) شريط عبد الله، المليلي محمد مبارك، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985م.
- 53) شوقي أبو خليل، وادي المخازن، معركة الملوك الثلاث، القصر الكبير، ط1 دار الفكر دمشق، سوريا، 1988م.

- 54) شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519م/ 1830م ط 1 . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الجزائر، 2009م.
- 55) الشيخ أبو عمران، وناصر الدين سعيدوني، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، 1995م.
- 56) صادق محمد الحاج، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، د.م ج، الجزائر، 1964م.
- 57) فركوس صالح، تاريخ الجزائر - من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال - المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع (د.ت)
- 58) الأشوح صبري، إعجاز القراءات القرآنية - دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء - مكتبة وهبة، ط 1، القاهرة، 1419هـ/ 1998م
- 59) صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر. تاريخها ونشاطها، دار البرق، بيروت. 2002.
- 60) الطمار محمد بن عمرو، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1983م.
- 61) الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984م.
- 62) طه جمال أحمد، مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين، 1056 - 1269 دراسة سياسية و حضارية ، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر الإسكندرية ، مصر (د. ت. ط)
- 63) غطاس عائشة وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها - سلسلة المشاريع الوطنية للبحث - منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. بمناسبة الذكرى ال 45 لعيد الاستقلال والشباب، (د.ت)
- 64) عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1514م - 1830م . ط 3، دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع . الجزائر 2011م.

- 65) قابة عبد الحليم، القراءات القرآنية، تاريخها وثبوتها وأحكامها، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1999م
- 66) عبد الحليم محمود، موقف الاسلام من الفن والعلم والفلسفة، دار الرشاد، ط2، القاهرة، 1424هـ/2003م
- 67) حاجيات عبد الحميد، أبو حمو موسى الزباني، حياته وآثاره ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982
- 68) عبد الرحمان عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب و السنة، ط4، دار الحرمين للطباعة القاهرة، 1993
- 69) فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزباني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م
- 70) عماد عبد الغني، سوسولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات من الحداثة الى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، فيفري 2006م.
- 71) فكاير عبد القادر، الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910 هـ - 1206 م / 1505 هـ - 1792 م) دراسة تتناول الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر
- 72) غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1426هـ/2005م
- 73) شريط عبد الله، الملي محمد مبارك، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
- 74) كريم عبد الكريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية
- 75) سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة 2012م.

- 76) فراج عز الدين، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1423هـ/2002م
- 77) العزاوي قسي جواد، الدولة العثمانية. قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت 1994
- 78) بن خروف عمار، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري / السادس عشر ميلادي ج1/ج2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1427 هـ ، 2006م
- 79) علي جمعه محمد وآخرون ، بناء المفاهيم دراسة معرفيه ونماذج تطبيقيه، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، الطبعة الاولى، القاهرة، 1418 هـ / 1998 م.
- 80) علي عبد الفتاح، أعلام المبدعين من علماء العرب و المسلمين، مكتبة ابن كثير، ط1، الكويت، 1431هـ/2010م
- 81) علي محمد إبراهيم، إصطلاح المذهب عند المالكية، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية، 1421هـ / 2000 م
- 82) علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، د.م.الجامعة، الجزائر. 2008.
- 83) الأشقر عمر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، دار النفائس، ط13، الأردن، 1432هـ
- 84) عميرايو احميدة علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس، أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي، دار البعث، قسنطينة (د. ت. ط)
- 85) عميرايو احميدة، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م.
- 86) عميرايو أحميدة، رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، دار الهدى ط.ن. ت. , عين مليلة، الجزائر
- 87) العوايشة حسين بن عودة، الفصل المبين في مسألة الهجرة ومفارقة المشركين، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر و التوزيع، لبنان، 1423هـ/ 2002 م

- 88) الغالي الغربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288م - 1916م) . ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 2007م.
- 89) الغنيمي عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي (بني حفص، بني زيان، بني مرين، بني وطاس والسعديين، وظهور الأشراف العلويين)، دراسة في التاريخ الإسلامي، ج5-6 مكتبة مدبولي. 1994م)
- 90) فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط2 مكتبة الشرق، بيروت، 1979
- 91) الفاسي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972
- 92) فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.
- 93) فيليب دي طيرازي، عصر العرب الذهبي، مؤسسة هندايو للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة (د. ت)
- 94) القاضي عادل، الهجرة والاغتراب ، تأسيس فقهي لمشكلة اللجوء والهجرة، ط1، مؤسسة العارف للمطبوعات بيروت، لبنان، 1419هـ / 1999م
- 95) قسّوم عبد الرزاق، عبد الرحمان الشعالبي والتصوف، ش.و.ن. ت.، الجزائر، 1978م.
- 96) الكتاني محمد بن جعفر، سلوة الأنفاس ومحادثاة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، حققها، حفيد المؤلف الشريف محمد حزة بن علي الكتاني ج1، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس (04)
- 97) غلاب كريم، أزمة المفاهيم وانحراف التفكير مركز دراسات الوحدة العربية سلسلة الثقافة القومية ، الطبعة الأولى بيروت ، لبنان ، مارس ، 1998م.
- 98) كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل النشرسي، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م.
- 99) كنون عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي ط2، الأجزاء، 1 / 3، (د. ت.)

- 100) لحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1419هـ/1998م
- 101) لطفي عيسى، مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن 17 م. سراس للنشر. تونس . 1994م.
- 102) لقبال موسى، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، سياسة ونظم، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
- 103) لويس عوض، ثوره الفكر في عصر النهضة الأوروبية، الطبعة الأولى، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1407 هـ / 1987،
- 104) بن نبي مالك، مشكلات الحضارة (مشكلة الثقافة)، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق، 1420هـ/2000م
- 105) محمد المصلح، كشف المخطوطات الفقهية من خلال مختصر خليل بن اسحاق المالكي، مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي - الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، الرباط، 1435هـ/2014م
- 106) امطاط محمد، الجزائريون في المغرب ما بين 1830-1962م، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط1، 2008م.
- 107) الجزائري محمد بن عبد الكريم، التصوف في ميزان الإسلام، مطبعة النهضة، وهران (د.ت)
- 108) ابن الجزري محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، طيبة النشر في القراءات العشر، تح، محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى، ط2، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1414هـ/1994م
- 109) حجي محمد، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1409هـ/1988م.
- 110) حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، جزآن، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر المملكة المغربية، 1396هـ/1976م،

- 111) محمد حسين محاسنة، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2001/2000
- 112) محمد سبيلا وبنعبد العالي، الثقافة والطبيعة-سلسلة دفاتر فلسفية-دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1991م.
- 113) محمد سي يوسف. أمير أمراء الجزائر عالج علي باشا، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2009م.
- 114) المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، إحسان حقي محقق، دار النفائس، 1981
- 115) محمود اسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الاسلامي طور الازدهار(3)، العلوم الآداب الفنون، سينا للنشر، ط1، بيروت لبنان، 2000م .
- 116) محمود علي عامر، محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي والحديث، المغرب الأقصى، ليبية، منشورات جامعة دمشق 1999. 2000
- 117) مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007
- 118) مصطفى أحمد عبد الرحيم، في أصول التاريخ العثماني . دار الشروق، بيروت، 1982
- 119) مروش لمنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطير والواقع، ج2، دار القصة للنشر الجزائر، 2009م
- 120) المليي مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج3. مكتبة النهضة الجزائرية.
- 121) المليي مبارك بن محمد، رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق وتعليق، أبي عبد الرحمان محمود، دار الراية للنشر والتوزيع (د. ت. ط)
- 122) نبيل بن محمد ابراهيم آل إسماعيل، علم القراءات نشأته أطواره أثره في العلوم الشرعية، مكتبة التوبة، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م

123) نصر محمد عارف، الحضارة، الثقافة، المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلاله المفهوم، الطبعة الثانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي هيرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، 1414 هـ / 1994 م.

124) نويهض عادل، أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة و النشر، بيروت، لبنان 1400 هـ / 1980 م

125) هلال عمار، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيها بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3 / 14 هـ) ط2 ديوان المطبوعات الجامعية، 2010

126) هلايلي حنيفي، أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي الموريسكي، دار الهدى، عين مليلة، 2010

127) الهنتاني نجم الدين، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، منشورات تبر الزمان ، تونس ، 2004

128) القرضاوي يوسف، العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة، 1416 هـ / 1996 م

129) بدري يوسف علي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصاله، الجزائر 1431 هـ / 2010 م

المراجع المعرّبة:

1) إدوار دو نوفو، الإخوان، دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر، ترجمة وتحقيق، كمال فيلاي، دار الهدى، عين مليلة، د.ذ.ت. ط، الجزائر

2) ألفريد بيل، الفرق والمذاهب الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي الى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، ط3 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987

3) أندرو ديكسون وايت، بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، ترجمة اسماعيل مظهر، مؤسسه هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة جمهورية مصر العربية، د،ذ،ت، ط،

4) جب هاملتون وهارولد باوون، المجتمع الإسلامي والغرب ج 1 / 2، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة 1970

- 5) جون .ب. وولف .الجزائر وأوروبا 1500 / 1530. ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، 2009 عالم المعرفة للنشر والتوزيع
- 6) عزيز سامح آلتر، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ترجمة محمود علي عامر ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1409هـ / 1989م
- 7) كورين شوفاليه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر (1510 – 1541)، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية 2007

مصادر و مراجع بالفرنسية:

- 1) AUGUST COUR létablissement des dynasties des chérifs au Maroc et leur rivalité avec les turcs de la régence d'Alger (1509- 1830), lérroux éditions, paris, 1904
- 2) Boyer, la politique religieuse des turcs, in revue de l occident musulman et de la méditerranée, n 11, semestre 1^{er} 1966 archives d'outre mer, Aix en Province
- 3) La Jonquière . histoire de l'empire ottomane depuis les origines jusqu'au traité Berlin 2vols .paris . 1914
- 4) -Diego de Haedo, Histoire des rois d' Alger, traduction de l'espagnol et notes de, henri delmas degrammont, éditions, Grand-alger livres(G,A,L), alger, 2004
- 5) -Fernand.Braudel.LaMéditerranée et le monde méditerranéen al' époque de Philippe II. T2 2eme édition librairie armand colin; Paris. 1966
- 6) -Grammont (Henri-Delmas) Histoire d'Alger sous la domination turque(1515-1830), présentation de lemnaouar merouche, Editions bouchene , 2002

7) -Hammer Joseph . histoire de l'empire ottomane depuis son origine jusqu'a nos jours 18 vol .Paris .1836

المذكرات والرسائل العلمية:

- 1) أحمد لبزة، أثر العلماء في الحياة السياسية دوله بني حماد نموذجاً، مذكره مقدمه لنيل درجه الماجستير في العلوم الإسلامية تحت إشراف احمد شريفني جامعه الجزائر 1 كليه العلوم الإسلامية قسم اللغة والحضارة العربية الإسلامية الموسم الجامعي 2013 /2014م
- 2) الباشي سالم، الحركة الحديثة بالمغرب في العهد السعودي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في السنة وعلومها، اشراف، فاروق حمادة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة الدراسات الإسلامية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1991/1992م
- 3) بجدة طاهر، الهجرة في المغرب الأوسط واقعها وأثارها من منتصف القرن السادس الى أواخر القرن الثامن الهجري (ق 12-14م) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، اشراف بوبايا عبد القادر، كليه العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار جامعه وهران 1 احمد بن بلة، 2016 -2007م
- 4) بركات اسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، دراسة وتحقيق، مذكرة مكمله لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي الوسيط، اشراف، عبد العزيز فيلاي، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري-قسنطينة- 2009/2010م
- 5) بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري التجانية والعلوية والقادرية دراسة أنتروبولوجية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنتروبولوجيا، بإشراف سعيدي محمد، جامعة أبو بكر بالقائد، تلمسان، كلية الآداب، والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، 2008/2009م
- 6) بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب (1711 - 1830) معسكر ومازونة نموذجاً، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي، مصطفى اسطنبولي، معسكر، 2008م.

- 7) بوخضار فايزة، مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية-دراسة تاريخية أثرية- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الاسلامية، اشراف، د، صالح بن قرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2010، 2011/2م.
- 8) جلول المكي، مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب، 1234 - 1847 م، وأثرها على العلاقات بين البلدين، رسالة ماجستير بإشراف د. مولاي بالحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993م.
- 9) جلول بن قمار، معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات مع دول غرب أوروبا (البرتغال، اسبانيا، فرنسا) 986 - 1012 هـ / 1578 م - 1603 م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث بإشراف الدكتور عمار بن خروف ،جامعة غرداية 2010 - 2011م.
- 10) حسين تواتي، حكامه التسيير في الدولة الزيانية في المجالين السياسي والاقتصادي من خلال أنموذجي يغمراسن بن زيان وأبي موسى الثاني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط، اشراف الدكتور مبخوت بودواية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية-قسم التاريخ-جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان- 2018/2017
- 11) حوسني عبد الرحمان، العلماء في المجتمع المغربي خلال ق19م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ المعاصر، اشراف محمد المنصور، كلية الآداب والعلوم الانسانية، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1993/1994م
- 12) دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، اشراف، د، محمد دادة، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ والآثار، جامعة وهران، 2013/2014م
- 13) رزيوي زينب، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7هـ، 9هـ/13 و15م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، اشراف، بلعربي خالد، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة سيدي بلعباس، 2015/2016م

- 14) زدك إبراهيم، الفتوى عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني 1518-
1830م، ماجستير في التاريخ الحديث كلية الآداب واللغات، جامعة معسكر 2011 /
2012م.
- 15) شوهنדה محمد حامد محمد الخطيب، مصادر التاريخ المحلي لبلاد المغرب خلال
القرنين 8/9هـ/15/15م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، اشراف، طاهر راغب
حسين، وجمال فوزي محمد، كلية دار العلوم، قسم التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، جامعة
القاهرة، 1437هـ/2016م
- 16) الصالح السالم، التواصل الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال: 1549-
1664م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، اشراف اسماعيل
سامعي، كلية الآداب والحضارة الاسلامية-قسم التاريخ-جامعة الأمير عبد القادر
قسنطينة، 2013-2014م.
- 17) الطاهر بوناني، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرن (6 - 7 هـ /
12 - 13 م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي بإشراف د . عبد العزيز فيلاي -
جامعة الجزائر . 2000 م
- 18) عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية بالجزائر في العهد العثماني 1518-
1830، تأثيراتها الثقافية والسياسية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة علوم في التاريخ الحديث
والمعاصر، اشراف، د، عبد الحميد حاجيات، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم التاريخ
وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2015/2016م.
- 19) عبد الرحمان بلعرج، العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، مذكرة ماجستير
في تاريخ المغرب الاسلامي اشراف، مبخوت بودواية، كلية الآداب والعلوم الانسانية
والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة تلمسان، 2007-2008م.
- 20) قادة سبع، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن 5 هـ /
11م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2003 /
2004م.

- 21) قاصري محمد السعيد، المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى (1830 - 1930)، رسالة دكتوراه بإشراف د. عميراي أحميدة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008 / 2009م.
- 22) كرتالي أمين، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال ق (9-10هـ/15-16م) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الاسلامية، اشراف، محمد بوركبة، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية-قسم الحضارة الاسلامية-جامعة أحمد بن بلة-وهران-2013/2014م
- 23) لامعه زكري، الرحلة العلمية بين الاندلس والدولة المرينية ودورها في تمثين الصلات الثقافية خلال القرنين (7-9هـ/13-15م) رساله ماجستير في التاريخ السياسي والثقافي للمغرب الإسلامي جامعه أبي بكر بلقايد تلمسان 2009 / 2010م.
- 24) لغشيم مصطفى، هجرة العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى دراسة اجتماعية ثقافية (ق7-9هـ/13-15م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاسلامية، اشراف، د، محمد عبد الحليم بيشي، كلية العلوم الاسلامية، قسم اللغة والحضارة العربية الاسلامية، جامعة الجزائر 2012، 2013/1م
- 25) ليلي غويني، التفاعل الثقافي بين دول المغرب في العهد العثماني من خلال الرحلات الحجازية الجزائرية، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث بإشراف د، عائشة غطاس، جامعة الجزائر، معهد التاريخ . 2010 / 2011 م
- 26) محمد بن أبو بكر بن حسن الصعب، الواقع الثقافي الاسلامي للمغرب العربي أثناء دولة المرابطين-دراسة تحليلية-رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الثقافة الاسلامية، اشراف، محمد هلال الصادق هلال ،كلية الدعوة وأصول الدين -قسم الدعوة والثقافة الاسلامية-جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (د،ت)
- 27) محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، اشراف، عبدلي لخضر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،قسم التاريخ وعلم الآثار،شعبة التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010/2011م

28) محمد سعداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط (ق7هـ/ق9هـ) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف الدكتور، محمد بن معمر، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة-وهران-2016/2015م

29) محمد شقرون بن أبي جمعة المغراوي، مخطوط الجيش الكمين لقتال من كفر عامة المسلمين، مذكرة ماجستير، للطالب عبد القادر فكاير، إشراف د. جمال قنان، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، 1995 / 1996 م

30) مسعود بقادي، هجرة علماء تلمسان الى فاس ودورها الثقافي بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف، د، عبد المجيد قدور، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، قسنطينة، 2013/2014م

31) نجيب دكاني، الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن 10هـ / 16 م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف، د. ناصر الدين سعيدوني جامعة الجزائر، 2001 / 2002م.

32) نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من ق 7هـ الى ق10هـ) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف د. محمد بن معمر، كلية العلوم انسانية والعلوم الاجتماعية-قسم التاريخ وعلم الآثار-جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-2010/2009م

33) هوارية بكاي، العلاقات الزبانية المغربية سياسيا وثقافيا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف، بودواية مبخوت، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، تخصص تاريخ المغرب الاسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان- 2007/2008م

المقالات العلمية:

1) إبراهيم حركات، الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب، مجلة الأصالة، عدد 25، جويلية-أوت، 1975

- 2) أحمد توفيق المدني، تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين، مجلة الأصالة، عدد 2، جويلية أوت، 1975
- 3) أرزقي شويتام/العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية (الفترة العثمانية) ،مجلة الدراسات التاريخية ، عدد، 13، جامعة الجزائر ، 1433هـ/2011م
- 4) بن سولة نور الدين، العلم في العصور الوسطى، مجله مركز جيل البحث العلمي، مجلة الكترونية متعددة التخصصات، العدد 4 ديسمبر 2014م.
- 5) بن عتو بلبروات، سلاطين مملكة تلمسان الزيانية في مواجهة الإخوة بربروس (1517-1546)، مجلة عصور الجديدة، العدد، 02، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الاسلامي، 1432هـ/2011م
- 6) بوسليم صالح وابن قايد عمر، الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية، مجله العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 21، ديسمبر 2013م
- 7) بوشناني محمد، هجرة العلماء الجزائريين الى المغرب وبلدان المشرق العربي خلال العهد العثماني (1520 - 1830) مجله المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع الجزائري، عدد 04 ديسمبر، 2009 .
- 8) رانا جبوري موسى العيساوي، المثقفة الفكرية بين المغرب الأوسط والأقصى خلاله ق 8 و 9 هـ، 14 و 15م، مجله كلية التربية الأساسية، المجلد 23، العدد 97، كليه الآداب، جامعه القادسية، العراق، 2017م
- 9) عبد الجليل التميمي، أول رسالة من الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519، المجلة التاريخية المغربية، عدد 6، جويلية 1976
- 10) عبد الله بن بجاد العتيبي ازمة المفاهيم والمصطلحات جريده الرياض عدد 14134 الثلاثاء 16 سفر 1428 هجري 6 مارس 2007م
- 11) عثمان المنصوري، ملاحظات حول علاقة العلماء بالمخزن في مغرب القرن السادس عشر الميلادي، مجله أمل، العدد الثاني، السنة الأولى، الدار البيضاء، المغرب، 1992م.

- 12) علي تابلت، الجزائر في القرن 16، مجلة بحوث، العدد 05، جامعة الجزائر 1998م،
- 13) عمار بن خروف، ملامح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 03، 1987
- 14) عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب في عهد أبناء المنصور. مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، عدد 4 جامعة الجزائر، 2003 / 2004 م.
- 15) عمار هلال، العلماء الجزائريون في فاس في ما بين القرنين 20، 10 م مجلة الدراسات التاريخية، عدد 09، سنة 1995
- 16) العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سرتا، عدد 03، 1400 هـ / 1980 م
- 17) فهد بن محمد، السويكت، مواقف الأشراف السعديين بالمغرب من مسألة الخلافة العثمانية، مجلة جامعة الملك سعود للآداب، م19، الآداب (1)، 1427 هـ / 2006 م
- 18) قاصري محمد السعيد، العلماء والفقهاء في الجزائر بين اضطهاد ونفي منظومة الحكم العثماني، واستقطاب واستغلال منظومة الحكم السعدي والعلوي في المغرب، مجلة عصور الجديدة، المجلد 07، العدد 26، آفريل، 2017م،
- 19) كمال فيلاي، هجرة علماء غريس وتلمسان الى فاس في العهد العثماني، مجلة المواقف للبحوث و الدراسات في المجتمع والتاريخ، عدد خاص، آبريل 2008
- 20) ليلي الصباغ، ثورة مسلمي غرناطة عام 976 هـ أواخر عام 1568 م والدولة العثمانية، مجلة الأصالة، عدد 27، سبتمبر، أكتوبر، سنة 1975
- 21) محمد الفاضل بن عاشور، المحاضرات المغربية، مجلة الثقافة، عدد 01، ش.ج.ن.ت.، الجزائر، 2005م.
- 22) محمد بن عبد الكريم الجزائري، رسالة الإمام مالك بن انس في آداب الدنيا والدين إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، عدد 05، مارس، 1994 م.

- 23) محمد بوشناق، موقف علماء تلمسان من التواجد العثماني في الجزائر (ق10-13هـ/16-19م)، مجلة عصور الجديدة، عدد: 02، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1432هـ/2011م
- 24) محمد دادة، تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الاسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن 16م، مجلة عصور الجديدة، العدد 02، عدد خاص بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 1432هـ/2011م
- 25) محمد رزوق، مراكش من خلال المنتقى لأحمد بن القاضي، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعه القاضي عياض أشغال الملتقى الثاني، مراكش العصر المريني والسعدي، 1990، العدد 8 / 1992
- 26) محمد مزين، المصادر والوثائق المغربية المتعلقة بالجزائر في العهد العثماني الأول، والقرنان 16م / 17م، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 1415، 09هـ / 1995م
- 27) مسعود بقادي، هجرة التلمسانيين الى المغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م-العلماء أنموذجا-، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 14، السداسي الأول، 2018م
- 28) بوشقيف عائشة، إسهامات أحمد بن يحيى الونشريسي في الحركة الفقهية ببلاد المغرب (ق9هـ/15م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 13، السداسي الأول، 2018م
- 29) نبيل شريخي، المنظرات والمناقشات العلمية لعلماء تلمسان في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرنين 14/15م، دورية كان التاريخية، عدد، 13، 2011م.

La Revue Africaine

- Charles, Feraud, les ben djelleb, sultans tougourt, R, A, n° 23, 1879
- De la primaudie, Les espagnoles en Afrique, Revue Africaine, 1875

- F.braudel, les espagnols et l'Afrique du nord, Revue Africaine, 1928

-A,berbugger,des frontiere de l'Algérie,R.An°24 ,octobre,1860

-Berbugger.Andrien. la mort du fondateur de la Régence d'Alger (aroudj Barberousse in Revue Africaine,n°4.1859.1860

الملتقيات والندوات:

1) حبيب وداعة الحسناوي، الصراع التركي السعودي 1549 – 1557 وسفارة الشيخ أبي

عبد الله محمد بن علي الخروبي للمغرب عام 1552 بشأنه، أعمال ندوة التواصل

الثقافي بين أقطار المغرب العربي، تنقلات العلماء والكتب اشراف، عبد الحميد عبد الله

الهدامة، كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العظمى، طرابلس، ليبيا 1995م .

2) عبد السلام شقور، التواصل العلمي بين بلدان المغرب العربي من خلال التراث الصوفي

للشيخين أبي العباس زروق وأبي عبد الله الخروبي، الطرابلسي، أعمال ندوة التواصل

الثقافي بين أقطار المغرب العربي، تنقلات العلماء والكتب مراجعة وتقديم، د. عبد الحميد عبد

الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا ط1، 1998م.

3) لبصير سعاد، دوافع الهجرة الدينية والعلمية من الجزائر في العهد العثماني 1516 –

1830م، أعمال الملتقى العلمي الأول سوسولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي

والحاضر، مايو ، 2008 (بحث نشر في مجلة الهجرة والرحلة بجامعة منتوري – قسنطينة

) بإشراف د. كمال فيلاي

4) مراد زوين، دور ومكانة العلم والعلماء في الحضارة العربية الإسلامية، ورقة بحثية أقيمت في

ندوة "الدين والعلم من منظور فلسفي" مؤسسة مؤمنون بلا حدود المنعقدة

بتاريخ 01/02/2015م تنسيق، عبد النبي الحري

5) نفيسة الذهبي، الدولة العثمانية في مجالها المتوسطي خلال القرن 16م بين إستراتيجية

الجهاد وصراع الهيمنة، سلسلة ندوات ومناظرات رقم، 109 بعنوان، العثمانيون والعالم

المتوسطي، مقاربات جديدة، تنسيق، عبد الرحمان المؤذن، عبد الرحيم بنحادة، ص 81،

ط 2003، 1م .

المعاجم والموسوعات والمواقع الإلكترونية:

1) <http://www.alsoufia.com>

2) ابن منظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط وندم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، (د.ت) مج 1

3) جميل صالبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

4) شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، 2004م،

5) شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، جمهورية مصر العربية، 1425هـ/2004م

6) فؤاد إفرايم البستاني، منجد الطلاب، دار المشرق بيروت، ط27

7) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ/2004م

8) محمد مصطفى عبد القادر، الطريقة الشاذلية، الموقع الإلكتروني :

9) مختار جبار، عن التصوف والصوفية في الجزائر، الموقع الإلكتروني :
<http://www.almahdy.net>

10) المنجد في الأعلام ط2، دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية)، بيروت لبنان

11) المنجد في اللغة والأعلام، ط43، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2008م.

12) الموسوعة العربية العالمية، الجزء 8، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية، 1999م

13) موقع : مركز القاسمي للدراسات والأبحاث الصوفية

14) ويكيبيديا الموسوعة الحرة

أ - فهرس الأعلام:

أ

ابن خلدون 43-46-90-109-123-145-156

آدم 24

آدم ميتز 28

أفلاطون 21

أحمد بن حنبل 20

أبو موسى الأشعري 19

ابن القيم 23

أنس بن مالك 22

أبو حمو 47-49-55-56-82-84-89-90

أبو تاشفين الثالث 49

أبو زيان 55

أبو عبد الله محمد الرابع 49

أبي عبد الله بن الحمراء 49

أبي الدرداء 22-23

أبي هريرة 26

ألكسندر السادس 50

اسحاق بن يعقوب 56

ابن القاضي 58-152

ابن الخطيب لسان الدين 64-145-146-147-161

أندري دوريا 58

أبو حسون 62-71-

أبو عنان المريني 63-64-122

أبو الحسن المريني 63-144

- أبو العباس أحمد المريني 64
 ابن أبي يغلوسن 64
 أبي محمد الادريسي 65
 أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي البرتغالي 66-69
 أحمد الأعرج 68-69-70-103
 أحمد المنصور (الذهبي) 73-74-75-76-77-103-153-154-157-158-163-
 166-239-248-288
 ابن أبي زرع 82
 ابن مرزوق الخطيب 85 أبو اسحاق بن يخلف التنسي 88
 الآبلي 90-116-133
 ألفونسو السادس 92
 أحمد بن يوسف الملياني 94-196
 ابن منصور المغراوي 101
 أبي القاسم السلوي 101
 أبي زيد القيرواني 102-145
 أحمد بن محمد القسطلاني 112
 أحمد بن زاغو 113-123-192
 ابن مرزوق الحفيد 117-121-131
 ابن تومورت 122
 أبو الأسود الدؤلي 130
 ابن سينا 133 ابن الفحام 133
 الأخضريري عبد الرحمان 136 ابن حمادوش 138
 ابن مريم 142
 ابن للو التلمساني 196
 ابن الغازي 170

- ابن مرزوق 192
أحمد بن زاغو 198
ابن عسكر الشفشاوي 202
ابن الوقاد أبو زيد 207
ابن الوقاد محمد بن عبد الرحمان 207
ابن الوقاد أحمد بن عبد الرحمان 207
ابن جلال الوعزاني 211
ابن ماجة 20
ابن منظور 14
ابن القيم 21
ابن مجاهد 29
أحمد المري التلمساني 213
أحمد المنجور 246-175-169-160
ابن الوقاد محمد بن أحمد التلمساني 214
أبو زكريا يحيى بن عاشور 220
ابن النحوي 232
ابن الجزري 30

ب

- بن سولة نور الدين 07
بيكون روجر 09-08
بطليموس 12
البيهقي 20
ابن بطال 22
البوصيري 160-116
اليسكري أبو الطيب 213

بيكون فرانسيس 183
بن جلال أحمد بن محمد 219

ج

جاليليو 09
جابر بن أفلح 36
جبريل بن يحنشوع 36
جابر بن يوسف 46
جيرار 36
جون وولف 62
الجزولي (الامام) 72 - 240
جؤذر باشا 76

د

دانوبرينو جيور 13
داوود (أبي) 20
الدلائي محمد الحاج 166
الديلمي 209

هـ

الهيثم 34

و

وطاس بن المعز 65
الورياكلي 178
الوهراني شقرون 203
الوهراني ابن جيدة 206
الوهراني أبو عبد الله 216
الونشريسي أحمد 157-162-169-189-202-256

الونشريسي عبد الواحد 178-263-208

ز

زكريا أبو حفص 45

زيان بن ثابت 46

الزواوي أبو العباس أحمد الجزائري 125

الزواوي موسى بن سعيد 205

الزواوي عبد الرحمان 214

الزياتي أحمد بن يوسف 2217

الزياتي عبد العزيز 220

ح

حسين فوزي 07-

حنين بن اسحاق 36

حسن الوزان 149

حميدة العبد 56

حسن آغا 58

حسن باشا 60

ط

الطبراني 20

ي

يغمراسن 88-46-44

يعقوب المنصور 82

يحي بن خلدون 90-47

يعقوب بن عبد الحق 100-63 يوسف بن يعقوب 63 اليفراني 71

يوحنا كالفن 100

اليسيثني 226

ك

- كامبانيا 10-09 كوبرنيك نيكولاس 13-12-11
 كبلر كوهان 12 الكندي 36
 كمال فيلاي 200-191

م

- مونتيסקيو 06
 مسلم أبو الحسين 20
 معاوية 22-26-188
 مالك (الامام) 115-20
 المأمون 36
 محمود الغزنوي 81
 مارتن لوثر 99
 محمد بن سليمان الجزولي 102
 محمد المهدي 103
 محمد الغالب 103
 محمد السنوسي 113
 المغيلي محمد بن عبد الكريم 118-113
 المنداسي 194-175
 المقري الجد 130-122-121
 المقري أحمد أبو العباس 265-218-160
 محمد حجي 177-149
 المغراوي أبو محمد 216
 المقري أبو عثمان 217
 محمد بن يوسف السنوسي 118-113
 محمد شقرون الوجديجي 212

المديوني أبو عبد الله

المريني ابو الحسن 44-46

موسى الثاني 47

المتوكل 49

محمد دادة 56

ن

نيوتن اسحاق 12

النسائي 20

نبيل بن محمد 29

س

السرجماني راغب 20

سالم يفوت 33

سالم التومي 50-55

سليم الأول 57-200

سباستيان 73

سيدي أبو الحسن 83

سيدي بومدي الغوث 83

سعيد قدورة 138-175-220

سعيد العقباني 113

سليمان الجزولي 165

السلالي أبو الحسن علي 220

سقين 225

السملالي ابراهيم 254

ع

عميراوي احميدة 02-183

عبد القادر(الأمير)02 _

عبد الكريم غلاب 03 -

العقاد محمود عباس 06

عبد الله بن مسعود 26

عبد الكريم الخطيب 38

عروج 54-55-56-57-78-94-95-195-196

العقباني 192

عبد القادر بن ذي النون 92

عبد القادر الجيلالي 102-150

عبد الرحمان الثعالبي 113

عبد الوارث يصلوتي 165

عبد العزيز القسنطيني 206

علي بن موسى 206

العقباني 210

العبادي التلمساني 210 علي بن يحي التلمساني 212 علي بن ميمون 241

عبد الملك السعدي 62

ف

فولتير 05

فوزي حسين 07

الفارابي 36

فرناندو زافارا 50

الفشتالي 74 - 161

الفراهيدي الخليل بن أحمد 131

الفاسي عبد الرحمان بن محمد 168

ص

صالح ريس 59-71

ق

القرطي 20

القاضي عياض 116

القلصادي 134

القسنطيني أبو القاسم 215

القصار 226

ش

الشافعي (الإمام) 189-

الشرط أبو سرحان 218

ت

تيليسيو 09

الترميذي 20

تيمور لنك 39

تواتي محمد 52

التنسي 116

التازي ابراهيم 127

التبكي 169

التوجيني 209

التلمساني محمد بن أحمد 216

ث

ثابت بن قرّة 35

الثعالي 52-128

خ

الخوارزمي 35

خير الدين 55-57-58-59-78

خيمينيس الكاردينال 50

الخروبي محمد بن علي 209

الخياط عبد الله بن ابراهيم 205

غ

غلاب عبد الكريم 03

الغزالي أبو حامد 116

غارودي روجيه 39

غليوم بيرا 171

ب - فهرس الأماكن والقبائل

أ

- اسبانيا 04- -46-47-48-49-50-54-
اسطانبول 49-54-
آسفي 61-
آزمور 61-
اشبيلية 32-
ايطاليا 34-
ألمانيا 34-
انجلترا 69-
أوربا 05- 07-29-32-34-69-
أصيلا 61-
الأندلس -45-58-59-

ب

- بولندا 11- 34-
بادوفا(جامعة) -11-
بني عبد الواد-40-41-42-
بني مرين-40- 43-
بني راشد(قلعة) 52-
بني هنتانة 61-
بجاية 47-48-50-55-206-209-
البرتغال 61-
بني جلاب(تقرت) 172-

ج

الجزائر (مدينة) 47-50-51-55-57-65-174-210-

جيجل 50-

جربة 50-

الجبل الأخضر- 61 -

د

دير بلاكانيكا 09 -

دلس 47-

دبدو 61-

دكالة 61-142-

ه

هيروشيما 36-

الهند 31-

هولندا 69 -

و

وادي ملوية 44-

وهران 47-52-169-209-

وطاسيون 60-63-86-132-

وادي اللبن (معركة) 65-

وادي المخازن (معركة) 66-67-152-

وجدة 172-

ز

زناتة (قبائل) 58-

الزيتونة (جامع) 76-

ح

الحفصيين 41-

حلق الوادي 50-

ط

طرابلس الغرب-40-

طنجة 151-207-

ي

اليونان 07-30-

ينبع 62-

ك

الكنيسة 09 -

كوكو(امارة) 46-173-

م

المغرب -15-

المغرب الأوسط-39-40-41-44-55-58-71-92-114-160-168-170-

المغرب الأقصى-39-40-41-58-59-60-61-62-71-73-85-86-119-

124-154-168-170-

المرسى الكبير 47-

مستغانم 47-51-57-

ملوية(نهر) 54

مراكش 48-63-65-70-137-210-

المرينيون 58-59-124-125-

مراكش 58-61-115-142-143-144-151-152-

المنصورة 59-

ن

نابولي 09-

نورنبورغ 33-

س

- السريون 07 -
- سوريا 34 -
- السودان الغربي 44-67-69 -
- السعديون 61-63-69-131 -
- سوس (اقليم) 63-64-154 -
- سبتة 151-207 -
- سجلماسة 153-154-207 -

ع

- العالم الاسلامي 02-04 -
- العالم المسيحي 02-04
- عنابة 47-57 -
- عرب الشراقة (قبائل) 171 -

ف

- فارس (بلاد) - 31 -
- فاس 39 - 40-57-58-59-60-64-65-66-82-125-136-137-151 -
- 153-169-200-206 -
- فرنسا 34-69 -

ص

- صقلية-33 -49 -

ق

- قرطبة 33 -
- القبائل (بلاد) 46 -
- القصر الكبير 61 -

قصر البديع 68-70-

القرويين 68-76-135-136-137-138-206-215-

شرشال 47-57-

شفشاون 61-

شنتوف (امارة) 61-

ر

روما 11-

ت

تونس - 40-41-50-

تلمسان 40-41-46-51-52-54-55-58-59-60-64-74-75-76-77-

79-80-93-95-117-119-169-171-175-200-206-210-

تنس 47-51-80-

تيطوان 61-155-

تارودانت 61-142-154-

تادلا 64-145-

تدسي 61-

تمكروت 145-

تافياللت 154-

ث

الثعالبية 46-

غ

غرناطة 76 - 210 -

ج - فهرس المحتوى

الإهداء

قائمة رموز الاختزالات

مقدمة (أ-ص)

الفصل التمهيدي: ص01

إشكالية المفاهيم (العلم- الدين - الثقافة) ص02

العلم ودلالته ص04

العلم والعلوم عند الأوربيين ص06

نماذج من رواد العلم في أوربا ص07

الثقافة ومدلولاتها ص12

علاقة الدين بالثقافة ص16

فضل العلم الديني ص24

نموذج من العلوم عند المسلمين في المجال الديني(العلوم النقلية) ص26

فضل العلم العقلي(الديني) ص29

نموذج من العلوم عند العلماء المسلمين في المجال العقلي(الديني) ص32

الفصل الأول:

الأوضاع السياسية في المغربين الأوسط والأقصى خلال القرن10هـ/16م ص39

أولاً: المغرب الأوسط: "الدولة الزيانية:" ص40

التاريخ السياسي للمغرب الأوسط "الدولة الزيانية"633هـ-962هـ/1235م-1554م.ص43

مراحل تطور الدولة الزيانية: ص45

التحديات الاسبانية ونتائجها: ص46

الاستنجد بالإخوة بربروس وظهور الدولة الجزائرية الحديثة ص50

ثانياً: الأوضاع السياسية في المغرب الأقصى خلال القرن10هـ/16م: ص59

من المرينيين الى السعديين ص59

قيام الدولة السعدية ص63

أهم خصائص دولة المنصور الذهبي.....ص 68
الفصل الثاني:

- الأوضاع الثقافية بالمغربين الأوسط والأقصى خلال ق10هـ/16م ص 73
الحياة العلمية والأدبية بالجزائر أثناء العهد الزياني(نهاية القرن15م ومطلع القرن16م)....ص74
التعليم في العهد الزياني (المؤسسات العلمية والتأليف).....ص74
1- المسجدص76
2- المدرسة ص77
3-الزاوية ص79
4- التأليف..... ص80
5- اهتمام السلاطين بالعلم و العلماء..... ص81
الحياة العلمية في الجزائر خلال القرن 10هـ / 16م (العهد العثماني) ص83
العوامل المؤثرة في الواقع الثقافي ص84
الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى مع نهاية ق 9هـ-15م وطيلة القرن 10هـ-16م:.....ص86
1 - الوضع الثقافي بالمغرب خلال فترة الدولة المرينية.....ص86
2 - الوضع الثقافي بالمغرب خلال فترة الدولة الوطاسية.....ص87
3-الحياة الثقافية في المغرب خلال فترة الدولة السعدية النصف الثاني من ق 1هـ/16م.ص89
الفصل الثالث:

- العلوم والمعارف بالمغربين الأوسط والأقصى خلال القرن 10هـ/16مص91/ 92
العلوم والمعارف بالمغرب الأوسط.....ص93
العلوم النقلية(الدينية) وأنواعها ص95
1 -علوم القرآن الكريمص97
2 - التفسير ص98
3 - علم الحديث ص99
4 - علم الفقهص104
5- علم أصول الفقهص106

- 6- علم الكلام والعقائد..... ص 108
- 7 - علم التصوف..... ص 110
- العلوم اللسانية: ص 112
- 1- اللغة وآدابها ص 113
- 2- علم الصرف والنحو..... ص 114
- العلوم العقلية وأهم روادها: ص 115
- الحركة العلمية بالجزائر مع بداية العهد العثماني..... ص 118
- المؤسسات الثقافية أثناء العهد العثماني..... ص 123
- الحركة العلمية بالمغرب الأقصى..... ص 125
- الحركة العلمية في عهد المرينيين..... ص 125
- العلوم الدينية ص 127
- العلوم العقلية ص 127
- الحركة العلمية في عهد الوطاسيين..... ص 130
- العلوم والمعارف في عهد الدولة السعدية..... ص 132
- عوامل وأسباب ازدهار الحياة الفكرية في عهد الدولة السعدية..... ص 134
- 1 عناية الأشراف السعديين بالعلم واهتمامهم بالعلماء..... ص 134
- 2 تأسيس المكتبات والخزائن..... ص 137
- 3 تأليف الكتب ص 138
- 4 - انتشار المؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية..... ص 142
- 5 - الزوايا ودورها العلمي..... ص 144
- العلوم النقلية والعقلية في العهد السعدي..... ص 147
- 1 - العلوم النقلية ص 147
- 2 - العلوم العقلية..... ص 150
- المراكز الثقافية في العهد السعدي..... ص 152
- مراكش..... ص 154

- فاس ص 153
 - سجلماسة ص 154
 - تارودانت ص 155
 الكراسي العلمية بالمغرب ص 156

الفصل الرابع:

انتقال العلماء من المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى خلال القرن

- 10هـ/16م ص 160
 أولا: الرحلة: أهميتها ودوافعها ص 161
 ثانيا: الهجرة وأنواعها ص 166
 ثالثا: أسباب الهجرة الجزائرية ص 172
 رابعا: هجرة علماء المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى ص 177
 خامسا: نتائج انتقال العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى ص 199
 أ- نتائج هجرة العلماء على الجزائر ص 199
 ب- نتائج هجرة العلماء على المغرب الأقصى ص 202

الفصل الخامس :

- دور العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى في الحياة الثقافية خلال ق10هـ/16ص 206
 أولا: جذور التواصل الثقافي بين المغربين الأوسط والأقصى ص 207
 ثانيا: عوامل التجاذب بين سكان المغربين الأوسط والأقصى ص 210
 ثالثا: الحركة العلمية بالمغرب الأقصى خلال القرن 10هـ/16م ص 214
 رابعا: التأليف في العهد السعودي ص 218
 خامسا: المنتجات العلمية لعلماء الجزائر بالمغرب خلال العهد السعودي ص 230
 سادسا: دور العلماء الجزائريين بالمغرب الأقصى من خلال :

- أ الخطابة ص 244
 ب القضاء ص 248
 ج الفتوى ص 250

د التدريس.....	ص 253
خاتمة	ص 256
الملاحق	ص 262
مصادر ومراجع البحث (مكتبة البحث).....	ص 276
الفهارس العامة	
أ - فهرس الأعلام	ص 302
ب - فهرس الأماكن والقبائل	ص 312
ج - فهرس المحتوى	ص 317
ملخص الأطروحة	ص 322

ملخص الأطروحة بالعربية:

يتناول موضوع البحث عملية انتقال ثلثة من العلماء الجزائريين إلى المغرب الأقصى خلال القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي في ظل ظروف سياسية وثقافية متميزة عاشها المغربان الأوسط والأقصى على المستويين الداخلي والخارجي ولعل أبرز ما يميز هذا البحث هو طرحه لإشكالية العلم والدين والثقافة باعتبارها مفاهيم سادت فترة العصور الوسطى والحديثة في العالمين الإسلامي والمسيحي، وتوج هذا البحث بالتطرق لمؤلفات مجموعة من العلماء الجزائريين الذين أثرو الحياة الثقافية والعلمية خلال تواجدهم بالمغرب الأقصى في الفترة الزمنية موضوع البحث

الكلمات المفتاحية: العلم-الدين-الثقافة- العلماء-المؤلفات-الهجرة-المغرب الأوسط-المغرب الأقصى

Les Mots clés: Science- La religion- Culture- Scientifiques- Les travaux- Migration- Moyen-Orient- Maroc, Extrême-Orient

Résumé :

La présente thèse a pour objet l'étude de la participation active des savants algériens qui ont vécu au Maroc durant le 16eme siècle dans des conditions politico-culturelles spécifiques que se soit sur le plan interne ou externe, ce qui caractérise cet exposé, c'est qu'il traité la problématique de la science, la religion, et la culture, autant que concepts qui ont été largement débattu dans le monde musulman et chrétien durant le moyen âge et l'âge moderne

Cet exposé s'intéresse aussi a l'ensemble des ouvrages écrits par ses savant algériens qui ont fructifies la vie culturel et scientifique au Maroc lors de leurs séjours

KeyWords: Science- religion- the culture- Scientists- The writings- Migration- Middle East- Far Morocco

Abstract :

The subject of the research is the process of the transfer of a number of Algerian scientists to Morocco during the tenth century AH / AD 16th century under the conditions of political and cultural excellence experienced by the Maghreb and the middle and the maximum on the internal and external The most prominent characteristic of this research is to raise the problem of science, religion and culture as concepts dominated the period The Middle Ages and the modern in the Islamic and Christian worlds, and culminated in this research to address the writings of a group of Algerian scientists who enriched the cultural and scientific life during their presence in the Far Morocco in the period of time under discussio